التسامح والتعصب

بين اليهوديه والمسيحيه والاسلام

الجزء الثاني

التعصب الصليبي

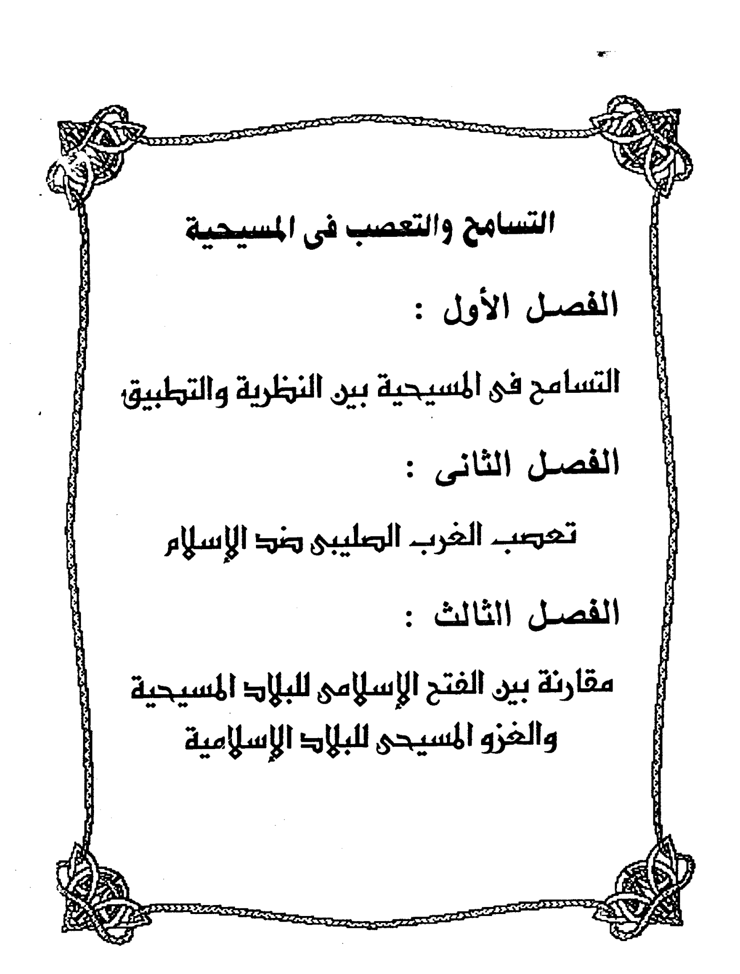
رسالة دكتوراه أجيزت من جامعة الأزهر الشريف

دكتور

عمر عبد العزيز قريشي

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ ١٩٩٦م



التسامح والتعصب فى المسيحية

الفصل الأول :

التسامح فى المسيحية بين النظرية والتطبيق

الفصل الثانى :

تعصب الغرب الصليبى ضد الإسلام

الفصل الثالث :

مقارنة بين الفتح الإسلامى للبلاد المسيحية
والغزو المسيحى للبلاد الإسلامية

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ،ونستهديه ونستغفره، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، و من يضلل فلا هادى له ..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا ضد له ولا ند له ولا صاحبة له ولا ولد له ولا كفوء له ، تعالى عن إفك الشياطين ،وخرص الكاذبين ، وتقدس عن شرك المشركين ،وأباطيل الملحدين .. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، وصفوته من خلقه ، وخيرته من بريته ،وأمينه على وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده ، ابتعثه بخير ملة ،وأحسن شرعه وأظهر دلالة ، وأوضح حجة .. اللهم صلّ وسلم وبارك على سيد الخلق وحبيب الحق ،سيدنا محمد النبى الكريم ، والرسول العظيم ،الذى بشرت به الكتب السالفة ، وأخبرت به الرسل الماضية ، وجرى ذكره فى الأعصار والأمصار والأمم الخالية ،وقد منحه الله من علمه ، وأسبغ عليه من فضله ، فتركنا على النور والهدى ، فاللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا ، واجعلنا هداة مهتدين .

أما بعد ..

فإن الله جل وعلا جعل لنا الإسلام شرعة ومنهاجا ،وضمنه كل ما ينفع الخلق فى معاشهم ومعادهم ، وتعبدهم بامتثال أمره ، واجتناب نهيه ، فجمعت شريعته،سبحانه – مصالح العباد ،وسدت ذرائع الفساد ، فكانت نعمة كاملة ،ودينا كاملا ، فيه الجواب الكافى و العلاج الشافى،ورضيه الله دينا ،ونصب لنا الدلالة على صحته برهانا مبينا ،وأوضح السبيل إلى معرفته واعتقاده حقا يقينا ، فهو دينه الذى ارتضاه لنفسه ولأنبيائه ورسله وملائكة قدسه ،فبه اهتدى المهتدون ،وإليه دعا

الأنبياء والمرسلون ﴿ أفغيـر دين الله يبغون وله أسلم من فى السـموات والأرض طوعا وكرها وإليـه يرجعون ﴾ (١) فلا يقبل من أحد دينا سواه من الأولين والآخرين ، ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ (٢)

فالحمد لله الذى أغنانا بشريعته التى تدعو إلى الحكمة والموعظة الحسنة، وتتضمن الأمر بالعدل والإحسان ،والنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، فله المنة والفضل على ما أنعم به علينا وآثرنا به على سائر الأمم .

أهمية الموضوع

لقد عرف الإسلام بسماحته ، وعدله ،ورحمته .

ومجال هذا واضح مع أتباعه وأبنائه ، كذلك مع خصومه وأعدائه، عرف ذلك القاصى والدانى والعدو والصديق ، ولكن فريقا من الناس أساءوا إلى الإسلام وأضمروا له العداء ،فحاولوا – بغباء – الهجوم على الإسلام ونبيه وصحابته، وتاريخه منذ ظهر إلى يومنا هذا .. لماذا ؟ لأنه يلمح فى الأفق بوادر تجمع حول الإسلام وإيقاظ وإحياء لأمته ، فهو يحاول جاهدا إيقاف عودة الإسلام إلى ميدان الحكم والتشريع والسياسة ..

لأنه يرى فى الإسلام خطرا على العالم ، ما العالم الذى يريد إنقاذه من الإسلام؟ إن الإسلام ليس خطرا على أمة بعينها ، أو جنس بذاته ،إنما هو خطر داهم على الإذلال والتعصب ، وما يخاف شعب شريف الغاية من عودتة ،ولا من دولته .

وهذا البحث فيه سوق الحقائق عن أهواء المغرضين وأكاذيب المدلسين ، فهو يجلى الحقائق ،ويكشف عن حقيقة الإسلام فى سماحته ، وحسن سياسته ويفضح أهل الباطل ،ويرد على زيف شبهاتهم ،ويوضح حقد نفوسهم،وغل صدورهم ، وهو

(١) سور آل عمران : ٨٣

(٢) سورة آل عمران : ٨٥

جهد – وإن كان يسيرا – إلا أن الناس فقراء إليه، فإن لبس الحق بالباطل عمل برع فيه كثيرون وضل به الأكثرون ، ولذلك يقول الله تعالى لأحبار اليهود : ﴿ ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ (١)

وإن الناظر فى حياة الناس – ولو نظرة مجردة يسيرة – لأبصر طلائع هجوم منظم على الإسلام ،وكيد متين لأمته ، فأحببت أن أتصدى للطليعة الجريئة حتى أشرد من خلفها ، ونعلمها ألا تهيج مرة أخرى أسباب المنايا عليها ، وإلا فهى التى بحثت عن حتفها بظلفها .. !!

ولقد أردت أن أكتب عن هذا البحث – وأنا مسلم أحترم دينى وأتمسك به – حين انطلقت الدعاوى الكاذبة ضد الإسلام وأهله ، وما كان الإسلام ينتظر ممن أحسن إليهم فى أرضه أن يتربصوا به ويعينوا عليه ، أو يتلمسوا لأهله شتى العيوب

وعلى أيه حال ، فقد رأينا فى تحامل المغرضين على الإسلام فرصة مواتية لتجلية دعوته ،وشرح تاريخه وتبيان حقائقه ،وتفنيد المفتريات الموجهة إليه ، ورب ضارة نافعة ،

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت، أتاح لها لسان حسود

ومثل هذه الدراسة تلذ للنقاد المجردين ، فقد سئل عالم : ما سعادتك ؟

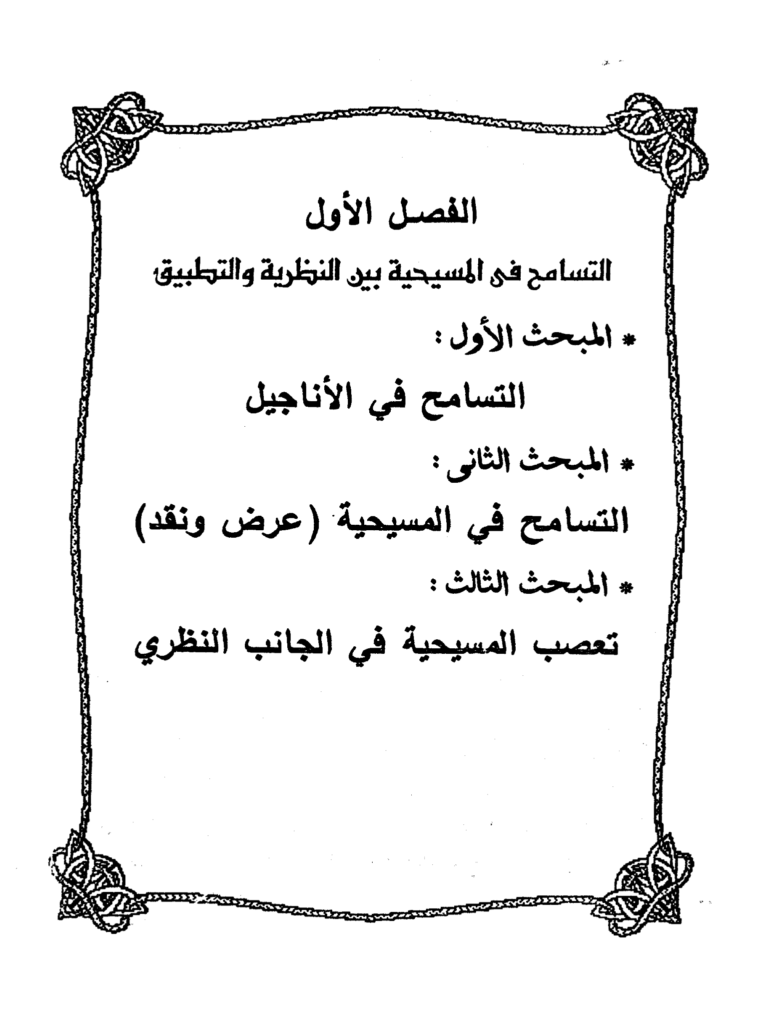
قال : ، فى حجة تتبختر اتضاحا ،وشبهة تتضاءل افتضاحا ، .

أبو عبد الله

عمر بن عبد العزيز

---

(١) سورة البقرة : ٤٢



الفصل الأول

التسامح فى المسيحية بين النظرية والتطبيق

* المبحث الأول :

التسامح في الأناجيل

* المبحث الثانى :

التسامح في المسيحية (عرض ونقد)

* المبحث الثالث :

تعصب المسيحية في الجانب النظري

الفصل الأول
التسامح فى المسيحية بين النظرية والتطبيق

* المبحث الأول
التسامح في الأناجيل

ونلقى نظرة على الأناجيل ، لنتعرف على مبدأ التسامح فى المسيحية وبفحص النظر فى البحث علي ذلك وجدنا فى الجانب النظرى ما يلى :-

« ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل ،فلما جلس تقدم إليه تلاميذه ففتح فاه وعلمهم قائلا طوبى للمساكين بالروح ،لأن لهم ملكوت السموات ،طوبى للحزانى لأنهم يتعزون ،طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض ،طوبى للجياع والعطاشي إلى البر يشبعون ،طوبى للرحماء لأنهم يرحمون ، طوبى للأتقياء القلب لأنهم يعاينون الله ، طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون ، طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات ،طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين ، افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات ،فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم . . » [1]

وأيضا « فإنى أقول لكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات ، قد سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع ، ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم ، فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك ، فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولا اصطلح مع

١- انجيل متى ، إصحاح ٥ (١-١٢)

أخيك وحينئذ تعالى وقدم قربانك ، كن مراضيا لخصمك ، سريعا ما دمت معه فى الطريق لئلا يسلمك الخصم إلى القاضى . . [١]

ويقول الإنجيل كذلك : « أيضا سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك ، وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا ألبتة ، لا بالسماء لأنها كرسى الله ولا بالأرض لأنها موطىء قدميه ، ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم ، ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء . بل ليكن كلامك نعم ، نعم ، لا ، لا ، وما زاد على ذلك فهو من الشرير.

سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن . . وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ،ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا ، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين ،من - سألك فاعطه ، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده.

سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك . . . وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعدائكم ،باركوا لاعنيكم ،أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ،لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات ، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين ، لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم ، أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك ، وإن سلمتم على إخوتكم فقط فأى فضل تصنعون ،أليس العشارون أيضا يفعلون هكذا،فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل . . [٢]

« احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم ، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات ، فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك

١- إنجيل متى ، إصحاح ٥ (٢٠ - ٢٥)
٢- إنجيل متى ، إصحاح ٥ (٣٣-٤٨) وإنجيل لوقا ،إصحاح ٦ بنحوه (٢٧-٣٨)

بالبوق كما يفعل المراؤون فى المجامع وفى الأزقة لكى يمجدوا من الناس ، الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم ،وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك لكى تكون صدقتك فى الخفاء ،فأبوك الذى يرى فى الخفاء هو يجازيك علانية . .» [١] كما ورد « واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا ، ولا تدخلنا فى تجربة ، لكن نجنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين ، فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوى ،وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم . . [٢]

« لا تدينوا لكى لا تدانوا ، لأنكم بالدينونة ، التى بها تدينون ،بالكيل الذى به تكيلون يكال لكم ، ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك ، وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها ، أم كيف تقول لأخيك دعنى أخرج القذى من عينك وها الخشبة فى عنيك ،يا مرائى أخرج أولا الخشبة من عينك ،وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك ،لا تعطوا القدس للكلاب ، ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير ،لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم » . [٣]

« فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم ،لأن هذا هو الناموس والأنبياء . . [٤]

« فاذهبوا وتعلموا ما هو ، أنى أريد رحمة لا ذبيحة ،لأنى لم آت لأدعو أبرارا بل خطاة إلى التوبة . . [٥]

« وأية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق ، وأقيموا هناك حتى تخرجوا ، وحين تدخلون البيت سلموا عليه ، فإن كان البيت مستحقا فليأت

١- إنجيل متى إصحاح ٦(١-٤)
٢- إنجيل متى إصحاح ٦(١٢- ١٥)
٣- إنجيل متى ، إصحاح ٧(١-٦)
٤- إنجيل متى إصحاح ٧(١٣)
٥- إنجيل متى إصحاح ٩(١٣)

سلامكم عليه ، ولكن إن لم يكن مستحقا فليرجع سلامكم إليكم ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجا من ذلك البيت أو من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم . .[١]

«وقال لهم عيسى عليه السلام أيضا : ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات ، وبسطاء كالحمام . .[٢] .

« وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص . . .[٣] .

ومن التسامح كذلك « وسأله الجميع قائلين فماذا نفعل ، فأجاب وقال لهم من له ثوبان فليعط من ليس له ، ومن له طعام فليفعل هكذا . . . .

وجاء عشارون أيضا ليتعمدوا فقالوا له يامعلم ماذا نفعل ، فقال لهم لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم ، وسأله جمديون أيضا قائلين وماذا نفعل نحن ؟ . . فقال لهم لاتظلموا أحدا ولا تشوا بأحد واكتفوا بعلائفكم . . [٤]

فأجاب يوحنا وقال يامعلم رأينا واحدا يخرج الشياطين باسمك فمنعناه لأنه ليس يتبع معنا ، فقال له يسوع . لا تمنعوه ، لأن من ليس علينا فهو معنا . .[٥] لأنه ابن الانسان لم يأت ليهلك أنفس الناس، بل ليخلص . .[٦]

اذهبوا ، ها أنا أرسلكم مثل حملان بين ذئاب . . وأى بيت دخلتموه فقولوا

١- إنجيل متى إصحاح ١٠(١١-١٤)
٢- إنجيل متى إصحاح ١٠ (١٦)
٣- إنجيل متى إصحاح ١٠ (٢٢)
٤- إنجيل لوقا إصحاح ٣ (١٠ -١٤)
٥- إنجيل لوقا ، إصحاح ٩ (٤٩ ، ٥٠)
٦- إنجيل لوقا ، إصحاح ٩ (٥٦)

أولا سلام لهذا البيت . . . [١]

ولكن أقول لكم يا أحبائى لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون أكثر ، بل أريكم ممن تخافون . . خافوا من الذى بعدما يقتل له سلطان أن يلقى فى جهنم ، نعم أقول لكم من هذا خافوا . . [٢]

وقال للمدعوين مثلا وهو يلاحظ كيف اختاروا المتكآت الأولى قائلا لهم متى دعيت من أحد إلى عرس فلا تتكىء فى المتكأ الأول لعل أكرم منك يكون قد دعى منه ، فيأتى الذى دعاك وإياه ويقول لك اعط مكانا لهذا ، فحينئذ تبتدى بخجل تأخذ الموضع الأخير ، بل متى دعيت فاذهب واتكئ فى الموضع الأخير حتى إذا جاء الذى دعاك يقول لك ياصديق ارتفع إلى فوق ، حينئذ يكون لك مجد أمام المتكئين معك لأن كل من يرفع نفسه يتضع وكل من يضع نفسه يرتفع وقال أيضًا للذى دعاه إذا صنعت غداءا وعشاء فلا تدع أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء لئلا يدعوك هم أيضا فتكون ذلك مكافأه، بل إذا صنعت ضيافة فادع المساكين الجدع العرج العمى فيكون لك الطوبى ، إذ ليس لهم حتى يكافئوك، لأنك تكافئ فى قيامة الأبرار . . [٣]

وإن أخطأ إليك أخوك فوبخة ، وإن تاب فاغفر له ، وإن أخطأ إليك سبع مرات فى اليوم ورجع إليك سبع مرات فى اليوم قائلا أنا تائب فاغفر له . . [٤] .

« وأما أنتم فليس هكذا ، بل الكبير فيكم ليكن كالأصغر ، و المتقدم كالخادم . . [٥] .

« وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضا ، كما أحببتكم أنا تحبون

١- إنجيل لوقا ، إصحاح ١٠ (٣-٥)
٢- إنجيل لوقا إصحاح ١٢ (٤، ٥)
٣- إنجيل لوقا ، إصحاح ١٤ (٧-١٤)
٤- إنجيل لوقا ، إصحاح ١٧ (٣، ٤)
٥- إنجيل لوقا ، إصحاح ٢٢ (٢٦)

أنتم أيضـا بعضكـم بعضـا لهذا يعـرف الجمـيع أنكم تلاميذى إن كـان لكم حب بعضكم لبعض . . [١].

• من أراد أن يكون فيكم عظيما فليكن لكم خادما ، ومن أراد أن يكون فيكم أولا ، فليكن لكم عبـدا ، كما أن ابن الإنسان لم يأت ليـخدم بل ليخدم ولـيبذل نفسه عن كثيرين . . [٢] ومتى وقفتم تصلون فاغـفروا إن كان لكم على أحد شيء لكى يغفر أيضا لكم أبوكم الذى فى السمـوات زلاتكم وإن لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذى فى السموات أيضا زلاتكم . . [٣] واغفر لنا خطيـانا ، لأننا نحن نغفر لكل من يذنب إلينا . . [٤]

١- إنجيل يوحنا إصحاح ١٣ (٣٤,٣٥)
٢- إنجيل متى ، إصحاح ٢٠ (٢٦ -٢٨)
٣- إنجيل مرقس إصحاح ١١(٢٥,٢٦)
٤- إنجيل لوقا إصحاح ١١ (٤)

* المبحث الثانى
التسامح في المسيحية عرض ونقد

إن المسيحية فى صورتها المثالية ، مجافية لفطرة الإنسان ، والمسيحى المثالى يتجسد فى الراهب « المعتزل للحياة ، المنقطع عن الدنيا ، المعرض عن الطيبات ، حتى عن الزواج . . والأخلاق المسيحية أخلاق غير واقعية لأنها فوق الطاقة المعتادة للبشر ، كما فى قول الإنجيل « أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم ، من ضربك على خدك الإيمن فأدر له خدك الأيسر ومن سرق قميصك فأعطه إزارك [1]

إن هذا الأمر ليس فى مقدور كل إنسان ، فكيف يكون شرعا ، وكيف يليق بمن سرق القميص أن يعطى الإزار ،ثم يصبح عريانا . !!

إن المسيحية الأصلية كانت رسالة مؤقتة ، لفترة محدودة ، ولقوم معينين ولم تكن مهيئة قط لتكون رسالة عامة ولا خالدة .وقد عبر المسيح عن ذلك بأنه إنما بعث لخراف بنى إسرائيل الضالة ، وأنه لم يقل كل الحق ، كما بشر بمن يأتى بعد، ليبين للناس كل شيء ، ويكسر عمود الكفر . . فكيف والمسيحية الأصلية نفسها قد غيرت وبدلت وذهب كتابها الأصلى ودخل عليها من التحريف اللفظى والمعنوى فى عقائدها وشعائرها وأصولها وفروعها ما مسخها وأضاع حقيقتها .
ومع الزعم بأن المسيحية دين التسامح والمحبة فإن المنتسبين إليها ينوء كاهلهم بتاريخ شديد الظلمة ، حالك السواد ، ملطخ بدماء العلماء والمفكرين الأحرار ،تاريخ تقشعر لمجرد ذكره الأبدان وتشيب لهوله الولدان ،تاريخ وقفت فيه الكنيسة مع الجمود ضد الفكر ، ومع الخرافة ضد العلم ، ومع الاستبداد ضد الحرية ومع

١- إنجيل متى ، إصحاح ٥(٣٣-٤٨) بتصرف

الظلام ضد النور ، وصنعت من المجازر البشرية ـ وخاصة مع النخبة والصفوة ـ ما لا ينساه التاريخ . . فأين هذا من التسامح المزعوم ؟؟ وإن كان هذا من التسامح فما التعصب إذن ؟! وحتى لا يكون كلامنا مجردا عن الدليل . فإننا سنذكر الوقائع والأحداث ، مما يبرهن على صدق ما ذكرناه وأحقية ما ادعيناه .

إن المسيحية التى تعتنقها الكنيسة لا تنفصل عن رجال الكهنوت ، وسيادة المسيحية بهذا المفهوم تعنى سيادة هؤلاء الذين يتحكمون فى ضمائر الناس ويزعمون أنهم وحدهم المسكون بمفاتيح أبواب الملكوت ، وأنهم حلقة الوصل بين السماء والأرض ومحتكروا الوساطة بين الله وعباده والبشرية التى دفعت ما دفعت للتحرر من استبداد الملوك ورجال الدنيا . ليست مستعدة أن تقع أسيرة لاستبداد رجال الدين ، ولذلك رأينا فى أوربا ثورة عارمة فى عصورها الوسطى تقول « اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس » .

إن الكنيسة ارتكبت من الجرائم فى حق الدين والإنسانية والتاريخ ما ينفى عنها اسم التسامح مطلقا ،وإن ما جاء بها لا يمت إلى التسامح بصلة وإنما هو ادعاء ، وليس له فى الواقع أدنى نصيب ، وأنه إذا ذكر إنما ليكون دعاية للمسيحية ، وتغريرا بالمغفلين ، الذين يراد لهم دخول المسيحية تحت وسائل التبشير أو التنصير ، أو غيرها من الوسائل ، وهذه بعض الأدلة على ما ذكرنا من تعصب رجال المسيحية .[1]

١- انظر مجلة الوعى الإسلامى « العدد ٢٩٣ » جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ ديسمبر ١٩٨٨ (مقال الدكتور / يوسف القرضاوى بعنوان / المادية المعاصرة وطرق النجاة ، ص/ ٤٤، ٤٥ بتصرف

التعصب فى الأناجيل

كما ورد الكثير من معنى التسامح فى الأناجيل ، فإنه قد ورد فيه كذلك من معانى التعصب الكثير والذى يدل على أن دعوى التسامح المذكورة مزعومة فى المسيحية ، كما يدل على التناقض فى الأناجيل ، أو على الأقل يحمل الرد على زعمهم بأن فى الإسلام تعصبا .

وهذا بعض ما ورد « فقال يسوع لتلاميذه : الحق أقول لكم إنه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات وأقول لكم إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله . . [1]

وفى حديث ونقاش من المسيح عليه السلام يظهر حقيقة أتباعه فيقول لهم : «لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ،ولعله تطيلون صلواتكم لذلك تأخذون دينونة أعظم ،ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا ، ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء ، ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم .

أيها الجهال والعميان أيما أعظم الذهب أم الهيكل الذى يقدس الذهب ومن حلف بالمذبح فليس بشيء . ولكن من حلف بالقربان الذى عليه يلتزم ، أيها الجهال والعميان أيما أعظم القربان أم المذبح الذى يقدس القربان ، فإن من حلف

(١) إنجيل متى ، إصحاح ١٩ (٢٣، ٢٤)

بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه ، ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه ، ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه . . [١]ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبت والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان ، كان ينبغي أن تعلموا هذه ولا تتركوا تلك، أيها القادة العميان الذين يصفون عن البعوضة [٢] ويبلعون الجمل، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراؤون تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوآن اختطافا ودعارة ، أيها الفريسي الأعمي نق أولا داخل الكأس والصحفة لكي يكون خارجهما أيضا نقيا ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤن لأنكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة ، هكذا أنتم أيضا من خارج تظهرون للناس أبرارا ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثما ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمرآوون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين ،وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء ، فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء فاملأوا أنتم مكيال آبائكم . .أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم ،لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبه فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة ، لكي يأتى عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح ، والحق أقول لكم أن هذا كله يأتى على هذا الجيل . . يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين ، إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ،

---

(١) إنجيل متى ، إصحاح ٢٣ (١٣ - ٢٢)

(٢) يصفون عن البعوضة : تشير إلى العسكر إذا اصطف على نظام معلوم للتسليم او الحركات الحربية ،وفيه إشارة إلى قلب الحقائق وانعكاس الموازين. (انظر قاموس الكتاب المقدس ص/٥٤٣ بتصرف)

هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا ،لأنى أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب . . [1]

« فقال له الرب أنتم الآن أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس والقصعة وأما باطنكم فمملوء اختطافا وخبثا يا أغبياء أليس الذي صنع الخارج صنع الداخل أيضا . [2] ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تحبون المجلس الأول في المجامع والتحيات في الأسواق ،ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم مثل القبور المختفية والذين يمشون عليها لا يعلمون .

فأجاب واحد من الناموسيين ،وقال يا معلم حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضا فقال وويل لكم أنتم أيها الناموسيون لأنكم تحملون الناس أحمالا عسرة الحمل وأنتم لا تمسون الأحمال بإحدى أصابعكم .

ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم . إذ تشهدون وترضون بأعمال آبائكم لأنهم هم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم . . لذلك أيضا قالت حكمة الله إني أرسل إليهم أنبياء ورسلا فيقتلون منهم ويطردون ،لكي يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ إنشاء العالم من دم هابيل إلى دم زكريا الذي أهلك بين المذبح والبيت . نعم أقول لكم أنه يطلب من هذا الجيل . ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة ، ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم، وفيما هو يكلمهم بهذا ابتدأ الكتبة والفريسيون يحنقون جدا ويصادرونه على أمور كثيرة وهم يراقبونه طالبين أن يصطادوا شيئا من فمه لكي يشتكوا عليه . [3]

وقوله:لا تظنوا أنى جئت لألقي سلاما على الأرض ، ما جئت لألقي سلاما

(١) إنجيل متى ، إصحاح / ٢٣ (٢٣-٣٩)
(٢) إنجيل لوقا ، إصحاح ١١(٣٩ ، ٤٠)
(٣) إنجيل لوقا / إصحاح ١١ (٤٣ -٥٤)

بل سيفا ، فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنه ضد أمها والكنة ضد حماتها وأعداء الإنسان أهل بيته . . »[١]

وقال كـذلك « جئت لألقي نارا على الأرض . . فمـاذا أريد لو اضطرمت ولي صبغـة أصطبغها وكيـف أنحصر حتى تكمل . . أتظنون أنى جـئت لأعطى سلاما على الأرض ، كلا . . أقول لكم . بل انقسـاما ، لأنه يكون من الآن خمسة فى بيت واحـد منقـسـمين ثلاثـة على اثنين ،واثنان على ثلاثـة ، ينقـسم الأب على الابن، والابن على الأب ، والأم علي البنت ،والحماة عـلى كنتها ، والكنة على حماتها . . »[٢]

« وقال لهم إن كان أحد يأتي إلى ولا يبـغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وأخوته وأخواته حتى نفسه أيضـا فلا يقدر أن يكون لي تلميذا . . »[٣] «فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لى تلميذا ، الملح جيد ولكن إذا فسد الملح فبـماذا يصلح . .لا يصلح لأرض ولا لمزبلة فـيطرحونه خـارجا من له أذنان للسمع فليسمع . . »[٤]

* * *

---

(١) إنجيل متى / إصحاح ١٠ (٣٤ -٣٦)
(٢) إنجيل لوقا / إصحاح ١٢(٤٩-٥٣)
(٣) إنجيل لوقا / إصحاح ١٤(٢٥ ،٢٦)
(٤) إنجيل لوقا / إصحاح ١٤ (٣٣- ٣٥)

المبحث الثالث
تعصب المسيحية فى الجانب النظرى
مصادر المسيحية بعد عيسى عليه السلام

تعتمد المسيحية فى عقائدها وتشريعاتها على الكتاب المقدس لديهم ، وهو يشتمل على التوراة والأناجيل ورسائل الرسل وأعمالهم ، إجمالا .

* التوراة فإنها المصدر الأساسى للتشريع - عندهم - لأن عيسى عليه السلام أعلن ، أنه غير ناسخ للتوراة ، فقال : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ،ما جئت لأنقض بل لأكمل ، فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة من الناموس حتى يدعى الكل [1]

ولقد كان المسيح عيسى ابن مريم مصدقا للتوراة فى العقيدة والشريعة ولذلك جاء فى التوراة « اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد [2] وجاء فى إنجيل متى ومرقس ولوقا أن عالما من علماء بنى إسرائيل سأل المسيح عن الوصية العظمى فى التوراة ، فأجابة بقوله « الرب إلهنا رب واحد » يقول مرقس « فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون ،فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أيه وصية هى أول الكل؟ فأجابه يسوع « إن أول كل الوصايا هى : اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد»[3]

وعلى ذلك سار « عيسى عليه السلام » ومن كان معه وكان عليه السلام يزيل تشدد علماء بنى إسرائيل ، ويصحح لهم تفسير ما اختلفوا فيه ، وانطلق أتباع

(١) إنجيل متى ، اصحاح ٥ (١٧ - ١٩)
(٢) سفر التثنية ، اصحاح ٦ (٤)
(٣) إنجيل مرقس ، اصحاح ١٢ (٢٨ - ٢٩)

عيسى بدعوته حتى كانت دعوة بولس المشئومة ، والتى غير فيها وبدل ، كما ستعلم ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى .

والخلاصة : أن التوراة مصدر أساسى عند النصارى ، وما ذكرناه عن التوراة – فى الكتاب السابق يذكر هنا ، غير أنه يقال : هناك بعض الأسفار المعتبرة عند اليهود مرفوضة عند المسيحيين [1] لعدم اعتقادهم صحة الوحى فيها » [2].

فكل ما ذكر فى التوراة عن الله عز وجل يقال فى عقيدة النصارى ، لأنهم لم يعتقدوا نسخه ، ولا ذكروا كذبه ، ولا قالوا ببطلانه ، فهى عقيدتهم إذن فى الله جل وعلا مضافا إليها ما قالوه بأن الله سبحانه وتعالى تنزل من عليائه ، وحل فى مريم ، وتربى فى بطنها جنينا ،وتغذى من دم حيضها ، ثم نزل من رحمها،وتغذى من ثديها ، ثم تربى على حجرها ، حتى كبر ، وصار فتى يافعا بعد أن كان طفلا ثم شابا قويا ، فلما بلغ مبلغ الرجال ، وقام بواجب دعوته ، كذبه اليهود، وآذوه ، واضطهدوه، وفى نهاية الأمر ، أمسكوه ووضعوا الشوك على رأسه ، وبصقوا فى وجهه ، ولكموه ، ثم حكموا عليه وصلبوه !!﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾ .

وما ذكر عن الأنبياء من فواحش واتهامات ، يقال هنا كذلك فى عقيدة النصارى ما لم يكذبوه ويرفضوه ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ، فهى إذن عقيدتهم فى الأنبياء ، مضافا إليها ما زعموه فى تقديس الأنبياء حتي وصولهم إلى درجة البنوة لله، أو الألوهية ،وكذلك الزعم للحواريين بأنهم رسل ، ولا عصمة لهم ، ولا معجزة تؤيدهم ، الخ

فى الوقت الذى أنكروا فيه نبوة النبى ﷺ ، كاليهود أيضا ، وقد ثبتت نبوته فى الإنجيل كما فى التوراة ، وما ذكر فى التوراة من تعصب يذكر هنا أيضا فى

(١) مثل سفر استير

(٢) إظهار الحق لرحمت الله الهندى ج١ ص ١٩ ، ٢٠ بتصرف ، ومحاضرات فى النصرانية ص ٤٦ بتصرف .

تعصب النصارى ، لأنه كتابهم المقدس ، والتوراة شريعتهم قبل الإنجيل ، وما جاء « عيسى » ليغير منها حرفا ، بل ليكمل، والإنجيل ما هو إلا بشارة وأخلاق روحية، فالتوراة إذن مصدرهم الأول الذى يستقون منه تشريعاتهم وأحكامهم ، وإن ادعى بعضهم نسخ بعض أحكامها ، كما هو مذكور فى مواضعه فى الإنجيل، ثم ماذا؟

* **الأناجيل الأربعة** : ولفظ الإنجيل مختص بكتب هؤلاء الأربعة ، وقد يطلق مجازا على مجموع كتب العهد الجديد ، وهذا اللفظ معرب ، كان فى الإنجيل اليونانى « أنكليون » بمعنى البشارة والتعليم .

كما يسمى هذا الجزء من الكتاب المقدس باسم « العهد الجديد » يقابل « العهد القديم » وهو التوراة ، ويشتمل على سبعة وعشرين كتابا ، على رأسها : «الأناجيل الأربعة» .

١- إنجيل متى ٢- إنجيل مرقس ٣- إنجيل لوقا ٤- إنجيل يوحنا

ويلاحظ أن هذه هى الأناجيل الأربعة التى اعترفت بها الكنيسة ، بعد أن اختارتها من عدد كبير من الأناجيل ،وأصدرت قرارا بإعدام ما عداها ،واتخذت إجراءات صارمة فى تنفيذ هذا القرار ، حتى لم يبق منها سوى إنجيل برنابا [١]

* **بقية كتب العهد الجديد** : على النحو التالى :-

٥- كتاب أعمال الرسل « الحواريون »

٦- رسالة بولس إلى أهل رومية

٧- رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس

٨- رسالته الثانية إليهم

---

(١) بين الإسلام والمسيحية ص ٥١ بتصرف .

٩ - رسالته إلى أهل غلاطية .

١٠- رسالته إلى أهل أفسس .

١١- رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي.

١٤- رسالته الثانية إليهم.

١٥- رسالته الأولى إلى تيموثاوس.

١٦- رسالته الثانية إليهم.

١٧- رسالته إلى تيطس.

١٨- رسالته إلى فليمون.

١٩- رسالته إلى العبرانيين.

٢٠- رسالة يعقوب.

٢١- رسالة بطرس الأولى.

٢٢- رسالة بطرس الثانية.

٢٣-رسالة يوحنا الأولى.

٢٤- رسالة يوحنا الثانية.

٢٥- رسالة يوحنا الثالثة.

٢٦- رسالة يهوذا.

٢٧- رؤيا يوحنا[١] ولنا وقفة مع كل سفر من أسفار العهد الجديد .

---

(١) أنظر فهرست العهد الجديد

● أولا : الأناجيل الأربعة

(أ) نظرة عامة

« هذه الأناجيل الأربعة لم يملها المسيح ، ولم تنزل عليه هو بوحى أوحى إليه، ولكنها كتبت بعده بفترات متباعدة ، ولقد ذكر بعض المؤرخين أنه لم توجد عبارة تشير إلى وجود أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، قبل آخر القرن الثالث . وأول من ذكر هذه الأناجيل الأربعة : « أرينيوس » فى سنة ٢٠٩ ، ثم جاء من بعده « كليمنس إسكندريانوس » فى سنة ٢١٦ ، وأظهر أن هذه الأناجيل الأربعة واجبة التسليم ، ولم تكتف الكنيسة باختيار هذه الأناجيل الأربعة ، بل أرادت إرغام الناس على قبولها لاعتقادها صحتها ، ورفض غيرها ، وتم لها ما أرادت فصارت هذه الأناجيل هى المعتبرة دون سواها.

وهذه الأناجيل تشتمل على أخبار يحيى « يوحنا المعمدان » والمسيح عليه السلام مع تفصيل القول عن المسيح بعد إجمال الحديث عن يحيى وما كان منه ، وما أحاط بولادته من عجائب وغرائب، وما كان يحدث منه من أمور خارقة للعادة ، ولا تحدث من سواه من البشر ، وما كان يحدث له من أحداث ، وما كان يجرى بينه وبين اليهود ، وما كان يلقيه من أقوال وخطب وأحاديث وأمثال ومواعظ ، وفيها قليل من الشرائع التى تتعلق بالزواج والطلاق ، ثم أخبار المؤامرة عليه،واتهامه والقبض عليه ، ومحاكمته ، سواء أكانت تلك المحاكمة أمام اليهود أم أمام الرومان ،ثم الحكم عليه بالموت صلبا ، وصلبه بالفعل ، فيما يعتقدون، وفيها أيضا قيامته من قبره، ومكوثه أربعين يوما ، ثم رفعه إلى السماء، وفى الجملة هى تشتمل على أخبار المسيح وصلواته ،وأقواله وعجائبه ، من بدايته إلى نهايته فى هذا العالم [1].

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٤٨ بتصرف .

(ب) وقفة سريعة مع كل إنجيل علي حده بكلمة عن تاريخ تدوينه ، والتعريف بمؤلفه :

١- إنجيل متى

ترجمة متى :

هو أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر ، ويسميهم المسيحيون رسلا ،وقد كان قبل اتصاله بالمسيح من جباة الضرائب للرومان فى كفر ناحوم من أعمال الجليل ،وكان اليهود ينظرون إلى الجباة نظرة إزدراء ، لأنها تحمل صاحبها على الظلم أو العنف والعمل فيها معين للدولة الرومانية المغتصبة التى تحكم البلاد بغير رضا أهلها ، ولكن المسيح اختاره تلميذا من تلاميذه ولما أنكر الفريسيون عليه ذلك قال لهم «لايحتاج الأصحاء إلى طبيب ،بل المرضى ، فاذهبوا وتعلموا ما هو ، إنى أريد رحمة لا ذبيحة ، لأنى لم آت لأدعو أبرارا ، بل خطاة إلى التوبة» [١]

ولما صعد المسيح إلى ربه،جال « متى » للتبشير بالمسيحية فى بلاد كثيرة ، وإن كان موطن دعايته ـ كما يروى مؤرخو المسيحية ـ هو الحبشة التى مات بها سنة ٧٠م وفى رواية سنة ٦٣م.

إنجيل متى : اتفق جمهورهم على أنه كتب إنجيله بالعبرية أو السريانية وأن أقدم نسخة كانت باليونانية ، واختلفوا فى أمور ثلاث وهى :-

١- الجهل فى تاريخ التدوين ، والحق أن باب الاختلاف فى شأن التاريخ لا يمكن سده ، ولا يمكن ترجيح روايته ، ولا جعل تاريخ أولى من تاريخ بالاتباع ، ويمكن حصر التواريخ فى سنة ٣٧ ،٣٨ ، ٤٣، ٤٨ ، ٦١ ، ٦٤.

٢- جهل النسخة الأصلية التى كتبت بالعبرية .

٣- جهل المترجم وحاله من صلاح أو غيره ، ولئن تسامح الباحث فى تاريخ التدوين فليمنعه العلم من الاسترسال فى التسامح حتي يعرف الأصل الذى ترجم

---

(١) إنجيل متى ، أصحاح ٩ (١٢ - ١٣)

ومدى مطابقة الترجمة للأصل ، ولكن عز علينا العلم بالأصل ، ولقد كنا نتعزى عن ذلك لو عرفنا المترجم ،وأنه ثَبْتٌ ثقة أمين فى النقل ، عالم لا يزيد على العلماء، فقيه فى المسيحية ، عارف للغتين ، فاهم لهما مجيد فى التعبير بهما ، فعندئذ كنا نقول : ثقة روى عن ثقة بترجمته ، ونسد الخلة بتلك الرواية ، ونرأب الثلمة بتلك النظرة ، ولكن قد امتنع هذا أيضا ،فقال جمهرة علمائهم إن المترجم لم يعرف ، فبقيت الثلمة من غير ما يرأبها ، فنحن بين أيدينا كتاب لا يعرف تاريخ تدوينه ،مجهول أصله ، لا يعرف مترجمه (١)

(٢) إنجيل مرقص

ترجمة مرقص

اسمه يوحنا ويلقب بمرقس ، وأصله من اليهود ،وكانت أسرته بأورشليم وقت ظهور المسيح ،ولم يكن من الاثنى عشر الذين تتلمذوا على يد المسيح ، وإن كان من أوائل الذين أجابوا دعوته فاختاره من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس فى اعتقادهم ، من بعد رفعه ، وألهموا بالتبشير للمسيحية ، كما ألهموا مبادئها ، لكن «مرقس» كان يذكر ألوهية المسيح ، ولقد لازم خاله « برنابا » و«بولس» فى رحلتهما إلى أنطاكية ثم تركهما ، وعاد إلى أورشليم ، ثم التقى مرة أخرى بخاله واصطحبه إلى قبرص ،ثم افترقا فذهب إلى شمال أفريقيا ودخل مصر فى منتصف القرن الأول فوجد فى مصر أرضا خصبة لدعوته ،ودخل كثير من المصريين فيها ، وكان يتردد بين مصر وروما أحيانا ، وإلى شمال أفريقيا أحيانا أخرى ، ولكن مصر كانت المستقر الأمين له فاستمر إلى أن ائتمر به الوثنيون فقتلوه سنة ٦٢م (٢)

يتفق المسيحيون على أن هذا الإنجيل كتب باللغة اليونانية ،ولكنهم اختلفوا فى :-

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٤٩ - ٥٣ بتصرف ،
(٢) محاضرات فى النصرانية ص ٥٣ ، ٥٤ بتصرف .

١- صحة نسبة الإنجيل إلى مرقس ،فابن البطريق يقرر أن الذى كتبه بطرس عن مرقس ، فى مدينة رومية ونسبه إليه ،و« أرينيوس » يقرر أن الذى كتبه «مرقس » من غير تدبير « بطرس » لأنه كتبه بعد موت بطرس وبولس . فمن الكاتب إذن ؟ وليس بين أيدينا ما نرجح به إحدى الروايتين على الأخرى !!

٢- جهل تاريخ التدوين ، واختلافهم فى زمان تأليفه بين هذه السنوات « سنة ٥٦ أو ٦٥ أو ٦٠ أو ٦٣ أو ٦١ فبين أيدينا كتاب مشكوك فى صحة نسبته إلى صاحبه ، ومختلف فى تاريخ تدوينه .

٣- إنجيل لوقا

ترجمة لوقا

اختلف الباحثون فى التعريف بصاحب هذا الإنجيل ، فمن قائل إنه أنطاكى،ولد بأنطاكية ومن قائل إنه رومانى ولد بإيطاليا ، ومن قائل إنه كان طبيبا، ومن قائل إنه كان مصورا ، وكلهم متفقون على أنه من تلاميذ « بولس » ورفقائه، ولم يكن من تلاميذ المسيح ، ولا من تلاميذ حوارييه ، فشأنه من شأن بولس ، لا من شأن المسيح أو التلاميذ له .

اختلف الباحثون فى القوم الذين كتب لهم أولاً هذا الإنجيل فمن قائل إنه كتب لليونان ، ومن قائل إنه كتب لليهود ، ومن قائل إنه كتب للرومان وآخر للكنيسة العامة ، ومن قائل إنه كتب إلى ثاوفيلس ،وهذا الأخير كان مصريا لا يونانيا ، فهو كتب للمصريين لا لليونان .

جهل تاريخ التدوين : اختلفوا فى زمن تأليفه ما بين سنة ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، فبين أيدينا كتاب لا نعرف على وجه القطع شخصية كاتبه وصناعته والقوم الذين كتب لهم ، وتاريخ تدوينه [١]

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٥٤ - ٥٧ بتصرف

(٤) إنجيل يوحنا

ترجمة يوحنا

يختلف الباحثون حول يوحنا ، وصحة نسبة الإنجيل إليه ،وتاريخ تدوينه :-

١- فجمهور النصارى على أن كاتبه هو يوحنا الحوارى بن زيدى الصياد ،والذى كان يحبه السيد المسيح حتى إنه استودعه والدته وهو فوق الصليب كما يعتقدون وقد نفى فى أيام الاضطهادات الأولى ، ثم عاد إلى أفسس ، ولبث يبشر فيها ، حتى توفى شيخا هرما .

٢- أن كاتبه يوحنا آخر لا يمت إلى الحوارى بصلة روحية ، فواضعه ليس يوحنا الحوارى ،وإنما هو كتاب مزور أراد صاحبه أن يضاد اثنين من الحواريين بعضهما لبعض ، وهما القديسان « يوحنا ومتى » وهذا هو الذى عليه محققوا المسيحية ، وقد عد المتعصبون من المسيحين قولهم هذا خروجا على وجه المسيحية.

أما تاريخ تدوينه : فقد اختلفوا فيه ما بين سنة « ٦٩ ، ٧٠ ، ٦٨ ، ٨٩، ٩٥ ، ٩٨ ،٩٦ م » إذن فليس له تاريخ محدد لتدوين هذا الإنجيل .

سبب تدوينه : إن المتأمل فى كتب النصارى ومؤلفاتهم يرى أنهم مجمعون أو يكادون على أن سبب تدوين يوحنا لإنجيله هو إثبات ألوهية المسيح التى اختلفوا فى شأنها لعدم وجود نص فى الأناجيل الثلاثة « متى ، مرقس ، لوقا » بعينها ،ويستنبط من هذا :

١- أن الأناجيل الثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح ،أو كانت كذلك قبل تدوين الإنجيل الرابع على الأقل ، وأن النصارى مكثت أناجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص على ألوهية المسيح .

٢- أن الأساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذى يدل عليه ،ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم اتجهوا إلى يوحنا ليكتب لهم إنجيله الذى يشتمل

على الحجة ،وهذا معناه أن الاعتقاد بألوهية المسيح سابق لوجود نص فى الكتب عليه .

والواقع أن لهذا الإنجيل شأنا أكثر من غيره ، لأنه الإنجيل الذى صرح بألوهية المسيح وأصبحت عقيدة النصارى ، وأساس التباين بينها وبين العقائد الأخرى [1]

فهذه نظرة سريعة وخاطفة حول الأناجيل الأربعة ،كما يعتقد كتّابُ النصارى ، لا كما يعتقد غيرهم ، وهى كما ترى مشكوك فى أصحابها ، وفى تدوينها ،وفى ترجمتها ، وفى كل شيء فيها ،هذا فضلا عما اشتملت عليه من تناقض واضح ، وتحريف ظاهر، وسنشير إلى شيء من هذا مجملا إن شاء الله تعالى، والذى يجدر التنبيه إليه ، ويجب أن نعتقده ،أن هذه الأناجيل ليست نازلة على عيسى عليه السلام فى نظرهم فضلا عن غيرهم وليست منسوبة إليه ، ولكنها منسوبة لبعض تلاميذه ،ومن ينتمى إليهم ، وهى ـ كما علمت ـ تشتمل على أخبار المسيح وقصصه ومحاوراته ،وخطبه ، وابتدائه ونهايته فى الدنيا ، كما يعتقدون هم .

فهى على أقصى تقدير لا تزيد عن كتاب سيرة لحياة المسيح ، امتلأ بالخرافات والمتناقضات، وليتها صدقت فى حياة المسيح كما صدق الكُتّابُ عندنا فى عرض سيرة النبى محمد ﷺ ولكن ترى فيها العجب العجاب ،وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على تعصب هؤلاء القوم لباطلهم ، ومحاربتهم للحق ، وجفوتهم له ، فأين إنجيل عيسى الحق ؟!!

جـ ـ ثبوت تحريف الأناجيل :

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم**

(١) راجع بتوسع : محاضرات فى النصرانية ص ٥٧ - ٦٣

عما يكسبون ﴾ (١)

وكما قال تعالى : ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾ (٢)

هذا وتحريف هذه الأناجيل واضح لكل ذى عينين ،ومع ذلك يتعصب لها النصارى! والتناقض الذى فى هذه الأناجيل ، ليس فيما بين إنجيل وإنجيل ، لا ، ولكن فى الإنجيل الواحد نفسه ،بل فى الإصحاح الواحد ، ولا أكون مبالغا ، إن قلت : إن التناقض والتحريف يبدو واضحا فى الصفحة الواحدة ،ما بين أولها وآخرها ،وربما وسطها ، أو ذات سطرها !! ولا يقف حد التحريف عند متنها فقط، بل يتعداه إلى السند أيضا .

وهاك شيء من الدليل ،على سبيل الإشارة والإجمال ، لا على سبيل التوضيح والتفصيل .

١ إن أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتب العهد القديم والجديد وليس عندهم أدنى دليل على أن سفرا من الأسفار كتب بواسطة النبى «فلان» ووصل إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل ، والإسناد إلى شخص ذى إلهام بمجرد الظن والوهم لا يكفى فى الإثبات ، بل دعوى الإلهام مردودة وباطلة كما سنتبينه إن شاء الله بل ثبت لديهم أن الكثير من الأسفار هى من الأكاذيب المصنوعة ،ولا حجة فى شيء لا يثبت صحة إسناده لقائله ، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال ، بطل به الاستدلال ، ولقد اعتذر بعضهم عن ذلك بوقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلثمائة وثلاث عشرة سنة ، فنحن ليس أمامنا أى إسناد لهم ، وما رأينا فيها شيئا غير الظن والتخمين ،يقولون

(١) سورة البقرة : ٧٩
(٢) سورة المائدة : ١٣

بالظن، ويتمسكون ببعض القرائن ، وإن الظن في هذا الموضوع لا يغني شيئا [1]

[٢] **أن هذه الكتب مملوءة بالاختلافات والأغلاط** ،و قد أشرت في الكتاب السابق إلى بعض الاختلافات في التوراة وتلك بعض الإشارات في الأناجيل :

من قابل بيان نسب المسيح الذي في إنجيل متى بالبيان الذي في إنجيل لوقا ، وجد ستة اختلافات [2] .

وكذلك الاختلافات حول مكان إقامته ، ومدة إقامته ،وانتقاله إلى مصر أو إلى أورشليم .

وقصة التموج والهيجان في البحر بعد وعظ الأمثال في مرقس ، وبعد وعظ الجبل في متى في الإصحاح الثامن ، وبعد وعظ الأمثال في الأصحاح ١٣ .

كتب مرقس في الإصحاح ١١ أن مباحثة اليهود والمسيح كانت في اليوم الثالث من وصوله إلى أورشليم ، وكتب متى - في الإصحاح ٢١ أنها كانت في اليوم الثاني ، فأحدهما غلط .

أرسل اليهود والكهنة واللاويين إلى يحيى ليسألوهم : من أنت ؟ فسألوه ، وقالوا له : أأنت إيلياء ؟ فقال : لست أنا بايلياء كما جاء في الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا. وفي الآية ١٤ من الإصحاح١١ ، من إنجيل متى قول عيسى في حق يحيى عليهما السلام هكذا « وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي «فلزم التناقض ».

ما جاء في إنجيل متى ،إصحاح ١١ ،ومرقس،إصحاح ١، ولوقا ، إصحاح٧، هكذا « ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك » وفي سفر ملاخي ، إصحاح ٣ هي هكذا ، « ها أنا ذا مرسل ملاكي ،ويسهل الطريق

---

(١) انظر بتوسع : إظهار الحق ص ٨٣ - ١٠٥

(٢) راجع التفصيل في إظهار الحق ص ١١٤ ، ١١٥

أمام وجهى .

كتب متى فى الإصحاح ٢٠ ، من إنجيله : أن عيسى لما خرج من أريحا وجد أعميين جالسين فى الطريق فشفاهما من العمى .

وكتب مرقس فى الإصحاح ٥ ،من إنجيله أنه وجد أعمى واحدا اسمه بارتيماوس فشفاه.

وكتب متى فى الإصحاح ٨ أن عيسى لما جاء إلى العبر إلى كورة الجدريين استقبله مجنونان خارجان من القبور فشفاهما،وكتب مرقس فى الإصحاح ٥، ولوقا فى الإصحاح ٨ أنه استقبله مجنون واحد خارج من القبور فشفاه .

كتب متى فى الإصحاح ٢١ أن عيسى أرسل تلميذين إلى القرية ليأتيا بالأتان والجحش وركب عليهما ،وكتب الثلاثة الباقون ليأتيا بالجحش فأتيا به وركب عليه.

كتب مرقس فى الإصحاح الأول أن يحيى كان يأكل جرادا وعسلا بريا ، وكتب متى فى الإصحاح ١١ أنه كان لا يأكل ولا يشرب .

من قابل الإصحاح الأول من إنجيل مرقس والإصحاح الرابع من إنجيل متى،والإصحاح الأول من إنجيل يوحنا ، وجد ثلاثة اختلافات فى كيفية إسلام الحواريين .

من قابل الإصحاح التاسع من إنجيل متي بالإصحاح الخامس من إنجيل مرقس فى قصة ابنة الرئيس وجد اختلافا .

فى الآية ٣١ من الإصحاح الخامس من إنجيل يوحنا قول المسيح هكذا « إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق ».

يعلم من الإصحاح ١٥ من إنجيل متى ، أن المرأة المستغيثة لأجل شفاء بنتها كانت كنعانية ، ويعلم من الإصحاح ٧ من إنجيل مرقس أنها كانت يونانية باعتبار

القوم ، وفينيقية سورية باعتبار القبيلة ..

كتب مرقس فى الإصحاح السابع أن عيسى أبرأ واحدا كان أصم وأبكم ،وبالغ متى فى الإصحاح ١٥ فجعل هذا الواحد جما غفيرا ، وهذه المبالغة كما بالغ يوحنا فى آخر إنجيله هكذا ، وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة ، فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة فانظروا إلى ظنه !!

فى الإصحاح ٢٦ من إنجيل متى أن عيسى قال مخاطبا الحواريين : « إن واحدا منكم يسلمنى فحزنوا جدا ،وابتدأ كل واحد منهم يقول هل أنا هو يا رب ؟ فأجاب وقال : الذى يغمس يده معى فى الصحفة هو يسلمنى فأجاب يهوذا مسلمه، وقال هل أنا هو يا سيدى ؟ قال له: أنت قلت. » وفى الإصحاح ١٣ من إنجيل يوحنا هكذا ، قال عيسى عليه السلام « إن واحدا منكم سيسلمنى ، فكان التلاميذ ينظر بعضهم إلى بعض متحيرين ، فأشار بطرس إلى تلميذ كان عيسى يحبه أن يسأله - فسأل فأجاب هو ذاك الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه ، فغمس اللقمة وأعطاها يهوذا .

كتب متى فى الإصحاح ٢٦ فى كيفية أسر اليهود عيسى عليه السلام - أن يهوذا كان قد قال لليهود أمسكوا من أقبله ، فجاء معهم وتقدم إلى عيسى ، وقال : السلام يا سيدى ، وقبله ، فأمسكوه . .

وفى الإصحاح ١٨ من إنجيل يوحنا هكذا : فأخذ يهوذا الجند من عند رؤساء الكهنة والفريسيين ، فجاء فخرج يسوع وقال لهم من تطلبون ؟ أجابوه يسوع الناصرى ،قال لهم عيسى : أنا هو ، وكان يهوذا مسلمه أيضا واقفا معهم ، فلما قال لهم أنى أنا هو ، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض ، فسألهم مرة أخرى من تطلبون ؟ فقالوا يسوع الناصرى فأجاب عيسى : قد قلت لكم إنى أنا هو ، فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون .

اختلف الإنجيليون الأربعة فى بيان إنكار بطرس ، على ثمانية أوجه [1]

فهم من الأناجيل الثلاثة الأول ، أن عيسى عليه السلام نحو الساعة السادسة كان على الصليب ، ومن إنجيل يوحنا ، أنه كان فى هذا الوقت فى حضور بيلاطس البنطى .

يعلم من متى أن مريم المجدلية ومريم الأخرى لما وصلتا إلى القبر نزل ملاك الرب ودحرج الحجر عن القبر ، وجلس عليه وقال : لا تخافا واذهبا سريعا . ويعلم من « مرقس » أنهما وسالومة لما وصلن إلي القبر رأين أن الحجر مدحرج ، ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين ، ويعلم من « لوقا» أنهن لما وصلن وجدن الحجر مدحرجا فدخلن ولم يجدن جسد المسيح فصرن محتارات ، فإذا رجلان واقفان بثياب براقة .

يعلم من متى أن الملك لما أخبر الامرأتين أنه قد قام من الأموات ورجعتا لاقاهما عيسى عليه السلام فى الطريق وسلم عليهما وقال اذهبا وقولا لأخوتى أن يذهبوا إلى الجليل ، وهناك يروننى ،ويعلم من « لوقا » أنهن لما سمعن من الرجلين رجعن وأخبرن الأحد عشر وسائر التلاميذ بهذا كله ، فلم يصدقوهن ، وكتب «يوحنا » أن عيسى لقى مريم عند القبر !!

فى إنجيل لوقا إصحاح ١١ أن دم جميع الأنبياء منذ إنشاء العالم من دم هابيل إلى دم زكريا يطلب من اليهود ، وفى سفر حزقيال إصحاح ١٨ لا يؤخذ أحد بذنب أحد وفى موضع من التوراة « أن الأبناء تؤخذ بذنوب الآباء إلى ثلاثة أجيال أو أربعة أجيال .

فى إنجيل متى إصحاح ٥ «طوبى لصانعى السلام ، لأنهم يدعون أبناء الله » وفى إصحاح ١٠ منه ، هكذا « ولا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ،

---

(١) راجع التفصيل فى « إظهار الحق » ص ١٢٥

وما جئت لألقى سلاما بل سيفا » فبين الكلامين اختلاف !!

ويلزم أن لا يكون عيسي عليه السلام من الذين قيل فى حقهم « طوبى » ولا يدعى ابن الله !!

نقل « متى » قصة موت يهوذا الأسخريوطى فى الإصحاح ٢٧ أنه خنق نفسه ومات ونقل « لوقا » هذه القصة.

فى سفر أعمال الحواريين بالإصحاح الأول « بأنه خر على وجهه وانشق بطنه فانسكبت أحشاؤه كلها ومات »

العنوان الذى كتبه « بيلاطس » ووضعه على الصليب ، فى الأناجيل الأربعة مختلف ، فى الأول « هذا هو يسوع ملك اليهود ، وفى الثانى « ملك اليهود » وفى الثالث ، هذا هو ملك اليهود « وفى الرابع « يسوع الناصرى ملك اليهود.

والعجب أن هذا الأمر قليل ما بقى محفوظا لهؤلاء الإنجيليين ، فكيف يعتمد على حفظهم فى الأخبار الطويلة ؟ ولو رآه أحد من طلبة المدرسة مرة واحدة لما نسيه ! وأعلم أن هذا غيض من فيض ، وقليل من كثير جدا ، [1]

٣ إثبات التحريف اللفظى والمعنوى : ولا نزاع بيننا وبين المسيحيين فى القسم الثانى « التحريف المعنوى » لأنهم كلهم يسلمون صدوره عن اليهود فى العهد القديم فى تفسير الآيات التى هى إشارة فى زعمهم إلى المسيح ، وفى تفسير الأحكام التى هى أبدية عند اليهود وأن علماء البروتستنت يعترفون بصدوره عن المعتقدين فى عصمة البابا فى أسفار العهدين بقى القسم الأول « التحريف اللفظي» وقد أنكره علماء البروتستنت فى الظاهر إنكارا شديدا لتغليظ جهال المسلمين ، وأوردوا أدلة مموهة ،مزورة فى رسائلهم ، ليوقعوا الناظرين فى الشك لذلك هو محتاج إلى الإثبات ،ولذا أردنا إثباته هنا ، مع القول بأن التحريف اللفظى على

(١) راجع المزيد من ذلك فى كتاب « إظهار الحق » من ص ٦ ١ - ١٣٥ ، ومن ص ١٥١ إلى ص ١٧٣ .

أقسام ثلاثة :

١-التحريف اللفظى بالتبديل

٢- التحريف اللفظى بالزيادة

٣- التحريف اللفظى بالنقصان [١]

ولذلك أدلته الواضحة ، وشواهده البينة ، وإنما قصدنا الإشارة ولم نرد الذكر والتفصيل ، خوفا من الإطالة ، ولأنه مقدمه لموضوعنا ، وليس أساسا فيه [٢]

٤ **إثبات نسخ الكتب السابقة بالقرآن الكريم** : الكتاب الخاتم والمهيمن على كل الكتب وذلك بثبوت تحريفها ،وتطرق الشك إلى أحكامها ،ولتغير الشرائع والمناهج من وقت لوقت حسب ما تستدعيه الحكمة الإلهية والمصلحة التشريعية .

والنسخ ثابت فى كل الشرائع ، لا فى شريعتنا فقط ، فكان يقع النسخ لشريعة نبى سابق بشريعة نبى لاحق ، ولا يشترط أن يكون النسخ جملة ، وإنما يتبقى العقائد الصحيحة ، والأصول الثابتة فى كل رسالة ، وكذلك ما ثبت من الشرائع[٣]

● ثانياً وقفة سريعة حول الأناجيل غير المعترف بها ، عند المسيحيين :

لقد علمنا أن الكنيسة المسيحية ، قبلت تلك الأناجيل الأربعة ، وما تبعها من الرسائل ولكنها أنكرت الكثير من الأناجيل ، التى لا تتفق مع ما صارت إليه الكنيسة بعد المجامع التي أقيمت ، ومن ثم أصدرت قرارا بإعدامها ، واتخذت

(١) إظهار الحق ص ٢٠٥ بتصرف .

(٢) راجع بتوسع : إظهار الحق ، ص ٢٢٠ ، ٢٣٣ - ٢٤٢ ، ص ٢٤٩ - ٢٩٢

(٣) راجع بتوسع : إظهار الحق من ص ٢٩٦ - ٣١٣

فإن من بين هذه الأناجيل التى أعدمت ، أناجيل قد أخذت بها فرق قديمة وراجت عندها ، ولم تعتنق كل فرقة إلا إنجيلها ، فعند كل من أصحاب مرقيون ، وأصحاب ويصان إنجيل ، يخالف بعضه هذه الأناجيل ، ولأصحاب مانى إنجيل يخالف هذه الأربعة ، وهو الصحيح فى زعمهم ، وهناك إنجيل يقال له إنجيل السبعين ينسب إلى تلامس ، والنصارى ينكرونه ، وهناك إنجيل اشتهر باسم التذكرة ،و إنجيل سرن تهس ، ولقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة ، وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية ،ثم أرادت الكنيسة فى آخر القرن الثانى الميلادى ،أو أوائل القرن الرابع أن تحافظ على الأناجيل الصادقة - فى اعتقادها - فاختارت هذه الأناجيل الأربعة من الأناجيل الرائجة إبان ذلك .

ولقد كنا نود ونحن ندرس المسيحية وأدوارها فى التاريخ - أن نعرف هذه الأناجيل التى أهملت ، وما كانت تشتمل عليه ، مما كان سببا فى رفضها ، وحمل الناس على تركها ، وخصوصا أنها كانت رائجة ، ويأخذ بها طوائف من المسيحيين ، ويتدينون هذه الديانة على مقتضاها ، فإن الاطلاع عليها يمكننا من معرفة اعتقاد الناس فى المسيح ، وكيف كان ، خصوصا بين أولئك الذى قاربوا عصره ، وأدركوا زمانه ،ولقوا تلاميذه ، ونهلوا من مناهلهم ، وإذ ضن التاريخ بحفظ نسخ منها ، فقد كنا نود أن تطلعنا الكنيسة على ما اشتملت عليه مما يخالفها، وما كان من سبب رفضها ،وترينا حجة الرفض ، لتكون دليلا منيرا لها على أنها بهذا أقامت دين المسيح ،ولم تغيره ، ولكن ضن التاريخ علينا ، فطوى تلك الأناجيل ، اللهم إلا ما وقع فى أيدينا من إنجيل برنابا ، أو ما نسمع عنه أن هناك بعض النسخ من الأناجيل الأصلية أو القديمة ، وضعت فى المتاحف !! كما ضنت علينا الكنيسة ، فطوت تلك البينات ، فلم يبق لنا إلا أن نكتفى من الدراسة بما بين أيدينا ، ولعل فيه عناء ، إن أمعنا النظر وأمعنا فى الاستنباط ، وجعلنا لقضية العقل سلطانا ، ومن بدهياته برهانا [1].

(١) محاضرات فى النصرانية لأبى زهرة ص ٤٧ ، ٤٨ بتصرف .

« إنجيل برنابا »

وهو واحد من الأناجيل غير المعترف بها عند النصارى ، وقد نجا من بين الكتب التى أعدمت ، وأصـدرت الكنيسـة قرارات صـارمة بحرقـها ، فمـاذا عن « برنابا وإنجيله ؟ » .

(أ) ترجمة « برنابا » :

برنابا : يدعى يوسف ، لاوى قبرصى الجنس ، ويعـتبر برنابا ركنا من الأركان التى قامت عليها الدعاية المسيحية الأولى ، ومن الذين أخلصوا لها حتى باع كل ما يملك، متبـرعا بثمنه بين أيدى الرسل يتـصرفون به فى سبيل نـشر الدعوة ، وهو الذى شهد لبولس بالإيمان ، ويتفق المسيـحيون على أن « برنابا» قديس من قديسى المسيحية ، ورسول من رسلها ، أمـا كونه من الحوراين أم لا ؟ فلا ينفى أنه حجة عندهم ، وهو من الملهمين فى اعتقادهم ، وكان خالا لمرقس صاحب الإنجيل .

(ب) صحة نسبة الإنجيل إلى برنابا :

☐ هناك من البينات الشـاهدة - وإن لم تبلغ اليقين - بأن نسبـة هذا الإنجيل إلى برنابا نسبة يرجع أن تكون صحيحة ،هذه البينات هى :-

١- وجود الإنجيـل بلغة مـسيحـية ، وبين ظهـرانى المسيـحية ، وفى مكـاتبهم الخاصة ، فأول من عثر على الأصل - وهو النسخة الإيطالية ، وهى بلغة مسيحية فى خزانة مكتبة رئيس دينى خطير « البـابا سكتس الخامس » ـ راهب مـسيحى ، اسمه «فرامنيـو » ولما تداولتها الأيدى انتقلت إلى مـستشار مسيحى من مـستشارى ملك بروسـيا ، ثم آلت إلى البـلاط الملكى بفينا ، فلا مظنة لأن تكون مـدخولة عليهم .

٢- كان وجود إنجيل لبرنابا معروفا - قبل اكتشافه - بين العلماء بهذا الدين.

٣- يدل الإنجيل على أن كاتبه كان على إلمام تام بالتوراة التى لا يعرفها إلا الرجل المسيحى المختص فى علوم الدين ، بل يندر من يعرفها من المختصين ، وإن برنابا كان من الدعاة الأولين الذين عملوا فى الدعوة عملا لا يقل عن عمل بولس- مع الفارق فى الدعوة -فلابد أن تكون له رسالة أو إنجيل .

□ يزعم البعض أن أصله عربى ، وهو زعم ليس له دليل ، وعلي صاحبه إبرازه وتاريخه ، وصاحبه ، ولكن البعض يرى من ذلك وجود تعليقات عربية على النسخة الإيطالية ، وأنه صرح فى التبشير باسم النبى محمد ﷺ ، مع أن المعهود فى البشارات الرمز لا النص يرى من ذلك دليلا على أن أصله عربى ، مع أن التعليقات تدل فقط على أن بعض من قرأ هذه النسخة يعرف العربية على ضعف فيها ، لأنه مستقيم التعبير أحيانا قليلة ، وسقيم العبارة فى أحيان كثيرة ، ومن الغريب أن يتخذ من التعليقات العربية دلالة على أصله الإسلامى ولا يتخذ من صلبه الإيطالى دليلا على أصله المسيحى .

أما كون التبشير بالنبى محمد ﷺ صريحا فيه وليس بتلميح ، فنحن لا نسلم بأن كل التبشيرات فى الكتب الدينية تلميح ، وعلى فرض ذلك ، فالنص الإيطالى ترجمة لا نص، وعسى أن يكون المترجم فهم المعنى فنطق بالتصريح كما يفعله المسيحيون فى كثير مما ترجموا من كتب أصلها عبرى .

أخيرا : فدعوى وجود نسخه عربية كانت هى الأصل للنسخة الإيطالية ، فوق أنها لا دليل عليها مطلقا ولو بطريق الوهم - هى تناقض إخبار التاريخ الإسلامى مناقضة تامة ، وإلا احتج المجادل عن الإسلام بها ، ففيها أقوى دليل ، والتاريخ لم يحفظ ذلك .

(جـ) يمتاز إنجيل برنابا بقوة التصوير، وسمو التفكير، والدقة البارعة ، والعبارة المحكمة ، والمعنى المنسجم ، حتى إنه لو لم يكن كتاب دين لكان فى الأدب والحكمة من الدرجة الأولى لسمو العبارة ،وبراعة التصوير .

د- الأمور التى خالف ذلك الإنجيل فيها المسيحية الحاضرة : تتلخص فى أربعة أمور:

١- أنه لم يعتبر المسيح ابن الله ، وليس إلها ،وفى هذا مخالفة للمسيحية القائمة فى أخص خصائصها .

٢- أن الذبيح - الذى تقدم به إبراهيم الخليل عليه السلام للفداء - هو إسماعيل وليس اسحاق .

٣- أن مسيا أو المسيح المنتظر ليس بيسوع ، بل محمد ﷺ ، وقد ذكره باللفظ الصريح المتكرر .

٤- أن المسيح لم يصلب ، ولكنه شبه لهم ، فألقى الله شبهه علي « يهوذا الأسخريوطى » وأن المسيح طلب إلى الله أن ينزل إلى الأرض بعد رفعه إلى السماء ليرى أمه وتلاميذه فنزل ثلاثة أيام ، ووبخ كثيرين ممن اعتقدوا أنه مات[1]

وبما لإنجيل برنابا من هذه الخصائص وتلك المميزات وبما له من مخالفة لما قامت عليه المسيحية الحديثة ، أحدث رجة فكرية عنيفة ، اهتزت بسببها المشاعر والمنازع، فالكنيسة والمتعصبون من المسيحيين يرفضونه رفضا باتا ، ما دام قد أتى بما لا يعرفونه هم ، ولا يعنون أنفسهم بدراسته دراسة علمية ولو أنصفوا أنفسهم - للحق والتاريخ - لفعلوا ذلك ، ولكن التعصب الأعمى يعمى ويصم .

---

(١) انظر بتوسع : إنجيل برنابا ، ترجمة الدكتور خليل سعادة ، طه محمد على صبيح ، الثقافه الروحية فى إنجيل برنابا للأستاذ / محمود قراعه ط دار مصر للطباعة ومحاضرات فى النصرانية ص ٦٦ - ٧٨

● ثالثا : نظـرة مجملــة حول بقـية أسـفار العهـد الجـديد وما اختلف فيه من أسفار العهد القديم « عند المسيحيين ».

لقد شك المسيحيون فى صحة بعض كتب العهدين ، ثم اعترفت مجالسهم بها، ثم عادت بعض الفرق ونقضت هذا الاعـتراف ،فقد انعقد مجلس علماء المسيحية فى عهد « قسطنطين » فى بلدة « نائس » عام ٣٢٥ م لبحث مسألة الكتب المشكوك فيها ، فقرروا بعد المشاورة.

أن كتاب « يهـوديت » واجب التسليم ، وأبقوا سائر الكتب المختلفـة مشكوكا فيـها كما كـانت ، ثم بعد ذلك انعقد مـجلس « لوديسيا » فى عـام ٣٦٤ م فأبقى حكم المجلس الأول فى كـتاب « يهوديت » علـى حاله ، وزاد عليه سـبعـة كتب أخرى ، وجعلها واجبة وهى هذه :

١- كتاب أستير ٢- رسالة يعقوب ٣- الرسالة الثانية لبطرس

٤- الرسالة الثانية ليوحنا ٥- الرسالة الثالثة ليوحنا ٦- رسالة يهوذا

٧- رسالة بولس إلى العبرانيين ، وبقى كـتاب مشاهدات أو « رؤيا يوحنا » فى هذين المجلسين خارجا مشكوكا فيه كمـا كان ، ثم انعقد بعد ذلك مجلس آخر فى عام ٣٩٧ م وكـان عدد المجـتمـعين ١٢٧ من العلمـاء المشهـورين ، فأبقـوا حكم المجلسين الأولين بحاله ، وزادوا على حكمهما هذه الكتب :

١-كـتاب وزدم ٢- كـتـاب طوبيا ٣- كـتـاب باروخ ٤- كتـاب ايكيـزيا ستيكس ٥- كتاب المكابيين الأول ٦- كتاب المكابيين الثانى ٧- رؤيا يوحنا

لكن أهل هذا المجلس جعلوا كـتاب « باروخ » بمنزلة جزء من كتـاب « أرميا » لأن «باروخ» كـان بمنزلة النائب والخليـفة « لأرمـيا » ثم انعـقدت بعـد ذلك ثلاثة مـجـالس « ترلو » ، ومجـلس « فلورنس » ومـجلس « ترنت » وعلمـاء المجلس الأول ابقـوا حكم المجلس المنعـقد فى عـام ٣٩٧ ، على حـاله ، لكن المجلسين الأخيرين كتـبوا اسم كتاب « باروخ » فى فهرست أسماء الكتب على حـده ،فبعد

انعقاد هذه المجالس، صارت هذه الكتب المشكوك فيها مسلمة بين جمهور المسيحين ،وبقيت هكذا حتى ظهرت فرقة « البروتستانت » فى القرن السادس عشر الميلادى ،فرد علماؤها حكم هؤلاء الأسلاف فى :

كتاب « باروخ » وكتاب « طوبيا » وكتاب « يهوديت » وكتاب « وزدم » وكتاب « انكيزيا استيكس » وكتابى المكابيين ، وقالوا : إن هذه الكتب واجبة الرد ، وغير مسلمة ، [1] فتأمل واعجب !!

من « بولس » ؟

(أ) صاحب ١٤ رسالة من رسائل الرسل « ٢٢ رسالة »

ترجمة بولس : ولد بولس فى طرسوس ، وتربى فى أورشليم واسمه الأصلى « شاول » واختلف فى أمر جنسيته هل هو من الفريسيين الذين يقولون إن هناك قيامة يشاركون فيها ملك المسيح فى الدنيا ، أم لا ؟ ،وهل هو من الرومان ؟ أم من اليهود ؟

وإن كنا نرجح أنه من الفريسيين اليهود ، وأن ادعاءه الرومانية كان حيلة لينجو بجلده . وقد تم لـه ما أراد ، كما ذكر ذلك فى سفر أعمال الرسل ، فى آخر الإصحاح الثانى والعشرين .

(ب) قصة دخوله المسيحية : كان بولس هذا فى صدر حياته من أشد أعداء المسيحية ، وأبلغهم كيدا لها ، وأكثرهم إمعانا فى أذى معتنقيها ،ولكنه انتقل إلى المسيحية فجاءه من غير مقدمات تقدمت ذلك الانتقال ،ولا تمهيدات مهدت له ، غير أنه زعم أنه فى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له : شاول شاول لماذا تضطهدنى ؟ فقال من أنت يا سيد ؟ فقال الرب أنا يسوع الذى أنت تضطهده ، صعب عليك أن ترفس مناخس ،فقال وهو مرتعد ومتحير يارب ماذا تريد أن أفعل ، فقال له الرب

---

(١) راجع إظهار الحق ، رحمه الله الهندى ج١ ص ٨٠ بتصرف . وبين الإسلام والمسيحية ص ٥٢ ، ٥٣ (هامش)

قم وادخل المدينة ، فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل [١].

ودخل بولس فى المسيحية وحاول أن يتصل بتلاميذ المسيح ، ولكنهم أوجسوا منه خيفة ولم يصدقوا إيمانه ، ولكن شهد له برنابا فصدقه الآخرون ، ومن يومها استطاع بولس أن يفرض ما ارتآه على المسيحيين فيعتنقوه دينا ، ويتخذوا قوله حجة : زاعمين أنه رسالة أرسل بها ،حتى لقد صارت المسيحية الحاضرة منسوبة إليه، فهو المؤسس الحقيقى لها .

وقد ساعده على القيام بدوره عدة صفات امتاز بها ، هى :-

١- أنه كان نشيطا دائم الحركة ، ذا قوى لا تكل ، وذا نفس لاتمل .

٢- أنه كان ألمعيا شديد الذكاء، بارع الحيلة ،قوى الفكر ، يدير الأمور لما يريدها بدهاء الألمعى ، وذكاء الأروعى ،يسدد السهام لغاياته ، ومآربه فيصيبها .

٣- أنه كان شديد التأثير فى نفوس الجماهير ، قوى السيطرة على أهوائهم ، قديرا على انتزاع الثقة به ممن يتحدث إليه .

ولقد يعجب دارسو الأديان فيقولون : كيف ينتقل رجل من كفر بدين ، مع اضطهاد أتباعه إلى الاعتقاد الشديد به طفرة من غير سابق تمهيد ؟

ولو كان الانتقال مقصورا على مجرد الانتقال من الكفر إلى الإيمان ، فإن لذلك نظائر وأشباها لزال العجب ، ولكن العجب أن ينتقل شخص من الكفر المطلق بدين إلى الرسالة فى الدين الذى كفر به ، فإن ذلك ليس له نظير ،ولم يعهد ذلك فى أنبياء ورسل قط . !!

وليذكر لنا المسيحيون مثالا على ذلك ، ليذكروا لنا رسولا بعث من غير أن يكون فى حياته الأولى استعداد لتلقى الوحى ، وصفاء نفس يجعله أهلا للإلهام

(١) أعمال الرسل ، اصحاح ٩ (٣-٦)

ولا يجعل الاتهام والتكذيب يغلبان على رسالته ، وأنه إذا لم يكن للرسالة إرهاصات قبل تلقيها ، لا يكون على الأقل قبلها ما ينفيها ويناقضها ، ولكن بولس ، أبو العجب استطاع أن يتغلب على ذلك العجب فى عصره ، وأن يفرضه على المسيحيين من بعده ، وأن يحكم على نسيان العقل عندما يدرسون أقواله وآراءه وتعاليمه [1] !!

وفى حكاية إيمان بولس - فى الإصحاح التاسع ، والإصحاح الثانى والعشرين، والإصحاح السادس والعشرين من سفر الأعمال ، اختلاف بوجوه شتى ، نكتفى منها بالآتى :-

أنه وقع فى الإصحاح التاسع هكذا : « وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا »

وفى الإصحاح الثانى والعشرين هكذا : « والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا ، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى ».

ففى الأول « يسمعون الصوت » وفى الثانى « لم يسمعوا » والإصحاح السادس والعشرين: ساكتين عن سماع الصوت وعدم سماعه .

فى الإصحاح التاسع هكذا : قال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل ».

وفى الإصحاح السادس والعشرين هكذا : « قم وقف على رجليك لأنى لهذا ظهرت لك لانتخبك خادما وشاهدا بما رأيت ،وبما سأظهر له به منقذا إياك من الشعب ، ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلهم إليهم لتفتح عيونهم كى يرجعوا من ظلمات إلى نور ،ومن سلطان الشيطان إلى الله ، حتي ينالوا بالإيمان بى غفران الخطايا ونصيبا من المقدسين » .

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٨١ - ٨٧ بتصرف

فيعلم من الإصحاحين الأولين أن بيان ماذا يفعل كان موعودا به بعد وصوله إلى المدينة ، ويعلم من الثالث أنه لم يكن موعودا به ، بل بينه في موضع سماع الصوت .

يعلم من الأول أن الذين كانوا معه وقفوا صامتين ، ويعلم من الثالث أنهم كانوا سقطوا على الأرض ، والثانى سكت عن القيام والسقوط . !![1]

وأخيرا : « دعوى الإلهام باطلة »

لا مجال لأهل الكتاب أن يدعوا أن كل سفر من أسفار العهد القديم والجديد كتب بالإلهام ، لأن هذا الادعاء باطل قطعا ، ويدل على بطلانه وجوه كثيره ، أكتفى منها ههنا على هذه الوجوه :-

١- أنه يوجد فيها الاختلافات المعنوية الكثيرة ، واضطرب محققوهم ومفسروهم فى هذه الاختلافات .

٢- أنه يوجد فيها أغلاط كثيرة كما أشرنا سابقا والكلام الإلهامى بعيد بمراحل عن وقوع الغلط والاختلاف .

٣- أنه وقع فيها التحريفات القصدية فى مواضع غير محصورة ، ولا يستطيع المسيحيون إنكارها .

٤- الحكم على كثير من الأسفار ، والإصحاحات ، وآيات منها ، بالبطلان عندهم ، فلا حاجة لنا إلى إبطالها .

٥- فقدان كثير من أسفار الأنبياء ،دون ذكر شيء منها ، والإشارة إليها فى هذه الكتب .

٦- إن سلمنا - جدلا - بأن بعض الأسفار كتب إلهاما ، فلا يلزم منه أن

---

(١) إظهار الحق ص ١٢٨ بتصرف

يكون كل ماكتب إلهاميا أو قانونيا .

٧- إن كان أصل الوحى للمسيح إلهاما ، فإن عدم حفظ الحواريين ، كاف فى إبطال إلهاماتهم .

٨- لم يكن من الحواريين من يرى فى الآخر أنه صاحب وحى أو إلهام ،كما يظهر هذا من مباحثتهم فى محفل أورشليم .

٩- وعلى سبيل المثال ، يأتى قول « لوقا » بأنه كتب ما سمع من الذين كانوا معاينين بأعينهم ، ينفى دعوي الإلهام .

١٠- لا يوجد اتفاق لفظى فى قصة من القصص ، فضلا عن الاختلاف المعنوى ، ولذا يأتى دور الترجيح .

١١- اعتقد الحواريون وقدماء المسيحية أن القيامة تقوم فى عهدهم ، حتى إن «يوحنا » لا يموت إلى قيامها !!

١٢- اعتراف كثير من علماء المسيحية بوقوع الغلط ، وجوزوا الجهل على الحواريين ، وإن رسائل بولس ليس كل ما فيها مقدسا [١]

١٣- ثبوت انقطاع سندها عمن نسبت إليهم ، كما سبقت الإشارة إليه

١٤- تجرد الدعوى بالإلهام من إقامة أى دليل .

وتلك نظرة فاحصة لما يجب أن يكون عليه الكتاب الديني من صفات ليكون حجة :

١- أن يكون الرسول الذى نسب إليه صادقا فيما جاء به ، مؤيدا بالمعجزة عند تحدى المنكرين ،وأن يبلغ ذلك من التواتر ما لا يكون للإنسان مجال لتكذيبه .

٢- ألا يكون ذلك الكتاب متناقضا ، يهدم بعضه بعضا .

---

(١) انظر بتوسع : إظهار الحق ص ١٧٤ - ١٨٨

٣-أن يدعى الرسول أنه أوحى إليـه به ، ويثبت ذلك الإدعاء بالخبـر المتواتر أو بالكتاب نفسـه .

٤- أن تكون نسبة الكتاب إلى الرسول الذى نسب إليه ثابته بالطريق القطعى

فما مدى مطابقة كتب النصاري لهذه الشروط ؟

١- لا يزعم النصـارى أن هذه الكتب كتبها المسيح نفسـه حتى ننظر فى قوة نسبتها إليه ، ولكن يزعمون أن الذين كتبوها رسل من بعده يبشرون الناس بما فيها

٢- لا نجد مـرجعـا يمكن الاعتـماد عليـه فى دعوى الرسـالة لهؤلاء وتأييـدهم بالمعجـزة ، وأن روح القدس تجلى عليهم ، إلا مـا نراه فى سفر أعـمال الرسل ، وإنجيل لوقا ، ويلاحظ فيهما :-

□ لم يذكر أسماء جميع الذين ملئوا من روح القدس ، وعلى رأسهم بولس ، إذن لا مقنع فيمـا جاء فى سفر الأعمال ولا فى إنجيل لوقـا ، لأنه لم يذكر أسماء هؤلاء معينين .

□ أن مؤلف الإنجيل وسفر الأعمال واحد وهو لوقا ، وكل ما يثبت من صلته برجال المسيـحية أنه كان من تلاميذ بولس ، وإذن فـراويته عن هؤلاء وعن المسيح ليست رواية من شاهـد وعلى ذلك يكون السند غير متصـل بين لوقا والمسيح، أو تلاميذ المسيح .

□ لم يكن لوقا - صـاحب المصدر المصرح بإلهـام الرسل - هونفسه ملهـما ، لأنه لا يوجد دليل يثبت إلهامه ، ولأن مقدمة إنجـيله كمقدمة رسالته تدل على أنه لم يكن ملهما ، ولأن الثقات من العلماء المسـيحيين الأقدمين والمحدثين يقرون أنه لم يكن ملهما فيما كتب ، بل كتب ما تعلم ، لا ما ألهم به .

فليس عندنا دليل نقلى عـن الأناجيل أو غيـرها يثبت رسـالة من يسمـونهم

فليس عندنا دليل نقلى عن الأناجيل أو غيرها يثبت رسالة من يسمونهم رسلا، وأنهم كتبوا بالإلهام [١]

«وإذا فرغت من هذا تبين لك أن التوراة الأصلية ،وكذا الإنجيل الأصلى فقدا قبل بعثة النبى محمد ﷺ ، والموجود الآن بمنزلة كتابين من السير ، مجموعين من الرويات الصحيحة والكاذبة ، ولا نقول إنهما كانا موجودين على أصالتهما إلى عهد النبى ﷺ ، ثم وقع فيهما التحريف ،حاشا وكلا .

وكلام بولس - على تقدير صحة النسبة إليه أيضا - ليس بمقبول عندنا ، لأنه عندنا من الكاذبين الذين كانوا قد ظهروا فى الطبقة الأولى ، وهو قديس عند أهل التثليث ، ومع ذلك لا نشترى قوله بحبة ، والحواريون الباقون بعد عروج عيسى عليه السلام إلى السماء ، نعتقد فى حقهم الصلاح ، ولا نعتقد فى حقهم النبوة ، وأقوالهم عندنا كأقوال المجتهدين الصالحين محتملة للخطأ ، ونعترف بفقدان السند المتصل إلى آخر القرن الثانى ، وبفقدان الإنجيل العبرانى الأصلى لمتى ، وبقاء ترجمته التى لم يعلم اسم صاحبها أيضا إلى الآن باليقين ثم وقوع التحريف فيهما، وكل ذلك أسباب لارتفاع الأمان عن أقوالهم .

ونحن إذ نؤمن بما أنزل الله من قبل ، نؤمن بما أنزل على موسى وعلى عيسى وغيرهما من الأنبياء والرسل لا بما بقى ، أو وجد من هذه التواريخ والرسائل ، أو القصص والسير ، وبالتالى ليسا واجبا التسليم ، بل حكمهما ، وحكم سائر الأسفار من العهد القديم ،وأن كل رواية من رواياتهم صدقها القرآن فهى مقبولة، وإن كذبها القرآن فهى مردودة يقينا ، وإن كان القرآن ساكتا عن التصديق والتكذيب نسكت عنه ، لا نصدق ولا نكذب ، كما قال تعالى ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه** ﴾[٢]

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٩٠ - ٩٨ بتصرف .
(٢) سورة المائدة : ٤٨

وهيمنة القـرآن أنه أمين على ما قبله من الكتـاب ، فما أخبـر أهل الكتاب عن كتابهم فإن كان فى القرآن فصدقوه ، وإلا فكذبوه ، فهو الكتاب الرقيب والقاضى والحفيظ .

وقد حـدثنا الله عز وجل فى كتـابه أن أهل الكتاب قد بـدلوا من كتب الله . وغيروا ، فكتبـوا بأيديهم ،يتكسبون بها ،ويقولون هو من عند اللـه ، ليشتروا به ثمنا قليلا ، أو عوضا يسيرا ،

ومن طالع من أهل الإسلام هذه الـتوراة وهذا الإنجيل ،أنكرهمـا يقينا ، وهذا حـالهم ،وتأليـفات الكثـيـرين منهم فى هذا كـثـيرة ، ومن شـاء فليـرجع إلى تأليفاتهم[1]

* * *

(١) إظهار الحق ص ١٨٨ - ١٩٠ بتصرف .

تعصب المسيحية في دينهم «في الجانب العقدي»

١ الألوهية

عقيدة النصارى التى لا تختلف بالنسبة لها الكنائس ،وهى أصل الدستور الذى بينه « مجمع نيقية » هى الإيمان بإله واحد آب واحد ، ضابط الكل ،خالق السماء والأرض ، كل ما يرى وما لا يرى ، وبرب واحد ، يسوع الابن الوحيد المولود من الآب قبل الدهر من نور الله ، إله حق من إله حق مولود غير مخلوق ، مساو للأب فى الجوهر ، الذى به كان كل شيء ، والذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خطايانا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء تأنس ، وصلب عنا فى عهد بيلاطس وتألم وقبر ، وقام من الأموات فى اليوم الثالث ، على ما فى الكتب ، وصعد إلى السماء ، وجلس عن يمين الرب وسيأتى بالمجد ، ليدين الأحياء والأموات ، ولا فناء لملكه ، والإيمان بالروح القدس الرب المحى المنبثق من الآب ، الذى هو مع الابن يسجد له ، ويمجده ، الناطق بالأنبياء» .[1]

هذا هو جوهر العقيدة المسيحية ولبها : والذى يقوم على هذه العناصر الثلاثة :

العنصر الأول : التثليث والإيمان بثلاثة أقانيم : والعنصر الثانى : صلب المسيح فداء عن الخليقة وقيامه من قبره ورفعه ،والعنصر الثالث : أنه يدين الأحياء والأموات .

– ولنتكلم عن كل واحد من هذه العناصر :

---

(١) كتاب « سوسنة سليمان » لنوفل بن نعمة الله بن جرجس النصرانى ،نقلا عن كتاب محاضرات فى النصرانية للشيخ محمد أبى زهره ص ١١٦ ، ١١٧ بتصرف ط دار الفكر العربى .

عقيدة التثليث

« بألسنة وأقلام المسيحين »

قال الدكتـور برست - فى تاريخ الكتاب المقدس « طبيعـة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية : الله الأب ،والله الابن ،والله الروح القدس ، فإلى الآب ينتمى الخلق بواسطة الابن ، وإلى الابن الفداء ، وإلى الروح القدس التطهير .

ويفهم من هذا أن الأقانيم الثلاثة عناصر متـلازمة لذات الخالق : وقد فسر هذا المعنى القس « بوطر » فى رسالة صغـيرة سماها الأصول والفروع . وإليك ما جاء فيها :-

« بعدما خلق الله العالم ، وتوج خليقـته بالإنسان لبث حينا من الدهر لا يعلن له سوى مـا يختص بوحـدانيتـه ، كمـا يتبين ذلك من التـوراة ،على أنه لا يزال المدقق ،يرى بين سطورها إشـارات وراء الوحدانية ، لأنك إذا قرأت فـيها بإمـعان تجد هذه العبارات : «كلمـة الله ، أو حكمة الله ، أو روح القدس »، ولم يعلم من نزلت إليـهم التوراة ما تكنه هذه الـكلمات من المعانى ، لأنه لـم يكن قد أتى الوقت المعين الذى قصد الله فيه إيضاحه على وجه الكمال ، والتفصيل .

ومع ذلك فمـن يقرأ التوراة فى ضـوء الإنجيل ، يقف على المـراد ، إذ يجدها تشير إلى أقانيم فى اللاهوت.

ثم جاء المسـيح إلى العالم أرانا بتعـاليمه . . وأعمـاله المدونة فى الإنجيل أن له نسبة سرية أزلية إلى الله ، تفوق الإدراك ،ونراه مـسمى فى أسفار اليهود « كلمة الله » وهى ذات العبارة المعلنة فى التوراة ،ثم لما صـعد إلى السماء أرسل روحا ، ليسكن بين المؤمنين ، وقد تبين أن لهذا الروح أيضا نسبة أزلية إلى الله فائقة ، كما للابن، ويـسمى الروح القدس ، وهو ذات العبارة المـعلنة فى التوراة كما ذكرنا ومما تقدم يتضح بجلاء أن المسمى بكلمـة الله ،والمسمى بروح الله فى نصوص التوراة هما المسيح،والروح القدس ،المذكوران فى الإنجـيل فما لمحت إليه التوراة صرح به الإنجيل كل التصـريح،وأن وحدة الجوهر لا يناقضهـا تعدد الأقانيم ،وكل من أنار

الله ذهنه ، وفتح قلبه فى فهم الكتاب المقدس لا يقدر أن يفسر الكلمة بمجرد أمر من الله ، أو قول مفرد ، ولا يفسر الروح القوة التأثيرية ،بل لابد له أن يعلم أن فى اللاهوت ثلاثة أقانيم متساوية فى الكمالات الالهية ، وممتازة فى الاسم والعمل والكلمة والروح القدس اثنان منهم ، ويدعى الأقنوم الأول الأب ، ويظهر من هذه التسمية أنه مصدر كل الأشياء ومرجعها ، وأن نسبته للكلمة ليست صورية بل شخصية حقيقية ، ويمثل للأفهام محبته الفائقة ،وحكمته الرائعة ، ويدعى الأقنوم الثانى الكلمة ، لأن يعلن مشيئته بعبارة وافية ،وأنه وسيط المخابرة بين الله والناس ويدعى أيضا الابن ، لأنه يمثل العقل نسبة المحبة ،والوحدة بينه وبين أبيه،وطاعته الكاملة لمشيئته ، والتمييز بين نسبته هو إلى أبيه ،ونسبة كل الأشياء إليه ، ويدعى الثالث الروح القدس ،الدلالة على النسبة بينه وبين الآب والابن ، وعلى عمله فى تنوير أرواح البشر ، وحثهم على طاعته .

وبناء على ما تقدم يظهر جليا أن عبارة الابن لا يشير - كما فهم بعضهم خطأ- إلى ولادة بشرية ، ولكنها تصف سرية فائقة بين أقنوم وآخر فى اللاهوت الواحد، وإذا أراد الله أن يفهمنا تلك النسبة لم تكن عبارة أنسب من الابن للدلالة على المحبة والوحدة فى الذات ، والأمانة للمشورة الإلهية ، وأما من حيث الولادة البشرية فالله منزه عنها ، لأجل هذه الإيضاحات علم خدام الدين المسيحى واللاهوتيون حسب ما قررته الكلمة الإلهية أن فى اللاهوت ثلاثة أقانيم، حسب نص الكلمة الأزلية ، ولكل منهم عمل خاص فى البشر [1]

ونجد كاتب هذا الكلام يحاول ثلاث محاولات :

أولاها : إثبات أن التوراة وجد فيها أصل التثليث ، لوحت به ولم تصرح ، وأشارت إليه ، ولم توضح .

---

(١) تاريخ الكتاب المقدس ، د/ يوسف ، نقلا عن ، محاضرات فى النصرانية ص ١١٧ ، ١١٩

وثانيهما : أن فى اللاهوت ثلاثة أقانيم ، وهى فى شعبها متغايرة ، وإن كانت فى جوهرها غير متغايرة .

وثالثهما : أن العلاقة بين الآب والابن ليست ولادة بشرية ، بل هو علاقه المحبة والاتحاد فى الجوهر .

ولقد كان بيان ذلك المعنى أوضح من هذا البيان فى قول القس إبراهيم سعيد فى تفسير بشارة لوقا ، فقد جاء فى تفسير معنى كلمة « ابن العلى » التى جاءت فى إنجيل لوقا ، ما نصه « يليق أن نوضح بكلمات موجزة المعنى المراد « بابن العلى » أو « ابن الله » فلم يقصد بها ولادة طبيعية ذاتية من الله ، وإلا لقيل ولد الله ، ولم يقصد بها ما يقال عادة عن المؤمنين جميعا أنهم أبناء الله ، لأن نسبة المسيح لله هى غير نسبة المؤمنين عامة له ولم يقصد بها تفرقة فى المقام من حيث الكبر والصغر ، ولا الزمنية ولا فى الجوهر ، لكنه تعبير يكشف عن عمق المحبة السرية التى بين المسيح والله ،وهى محبة متبادلة ، وما المحبة التى بين الآب والابن الطبيعيين سوى أثر من آثارها ،وشعاع ضئيل من بهاء أنوارها .

ويراد بها إظهار المسيح لنا أنه الشخص الوحيد الذى حاز رضا الله ،وأطاع وصاياه ، فقبل الموت موت الصليب ، لذلك يقول الله فيه « هذا ابنى الحبيب الذى به سررت ،له اسمعوا وقد تكررت هذه العبارة عدة مرات مدة خدمة المسيح على الأرض لأنه تم إرادة الله فى الفداء ، ويراد بها إظهار التشابة والتماثل فى الذات ، وفى الصفات ، وفى الجوهر كما يكون بين الآب والابن الطبيعين ، فقيل عن المسيح أنه بهاء مجد الله ، ورسم جوهره وقال هو عن نفسه : من رآنى فقد رأى الآب ، والآب واحد ويراد بها دوام شخصية المسيح باعتبارة الوارث لكل شيء الذى منه وبه وله كل الأشياء ،وقد يراد بها معان كثيرة غير معدودة يقصر دون إدراكها العقل .

وفى هذا التفسير ، والتفسير الذى سبقه يبدو بجلاء أن شخصية الابن غير

الآب وكذلك روح القدس ولكن هل يدخل في الأقنوم الثاني جسده وروحه ؟

جاء في كتاب خلاصة تاريخ المسيحية في مصر : « كنيستنا المستقيمة الرأي التي تسلمت إيمانها من كيرلس وديسقوروس ، ومعنا الكنائس : الحبشية ، والأرمنية ، والسريانية الأرثوذكسية ، نعتقد أن الله ذات وحدة مثلثة الأقانيم ، أقنوم الآب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم الروح القدس ، وأن الأقنوم الثاني أي أقنوم الابن تجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء ، مصيرا هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة بريئة من الانفصال ، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ، ومشيئة واحدة .

وتعتقد الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية بأن للأقنوم الثاني طبيعتين ومشيئتين ، من هذا ترى أن الكنائس كلها تعتقد التثليث ، وهذا هو موضع اتفاق ، ولكن موضع الخلاف بينها هو العنصر الألهى في المسيح ، أهو للجسد الذي تكون من روح القدس ومن مريم العذراء الذي باختلاطه بالعنصر الإلهي صار طبيعة واحدة ومشيئة واحدة ، أم أن الأقنوم الثاني له طبيعتان ومشيئتان ؟

ومن هذا كله يفهم أن المسيحيين على اختلافهم يعتقدون أن في اللاهوت ثلاثة يعبدون ، وعباراتهم تفيد بمقتضاها أنهم متغايرون ، وإن اتحدوا في الجوهر والقدم والصفات والتشابه بينهم كامل ، ولكن كتابهم يحاولون أن يجعلوهم جميعا أقانيم لشيء واحد ، وبعبارة صحيحة يحاولون الجمع بين التثليث والوحدانية ، ولكن عند هذه المحاولة تستغلق فكرة التثليث ، وتصير بعيدة عن التصور ، كما هي في ذاتها مستحيلة التصديق ، وإن كتابهم أنفسهم يعتقدون أنها بعيدة التصور عند هذه المحاولة ، لأن من أصعب الأشياء الجمع بين الوحدانية والتثليث .

فنرى صاحب رسالة الأصول والفروع بعد بيان عقيدة التثليث ، يقول : قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ونرجو أن نفهمه فهما أكثر جلاء في المستقبل ،

حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما فى السموات وما فى الأرض ، وأما فى الوقت الحاضر ففى القدر الذى فهمناه كفاية ، أى أن عقيدة التثليث لا يمكن أن تنكشف للنفس على وجهها إلا يوم تتجلى كل الأشياء لها يوم القيامة ، وذلك حق فإنهم لا يعلمون حقيقتها إلا يوم يحاسبهم الله عليها [١] ويومها يعلمون كذبهم ويأخذون جزاءهم ، كما قال تعالى ﴿ **ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين** ﴾ [٢]

ويقول القس توفيق فى كتابه « سر الأزل » : إن تسمية الثالوث باسم الآب والابن والروح القدس تعتبر أعماقا إلهية ، وأسرارا سماوية لا يجوز لنا نتفلسف فى تفكيكها وتحليليها أو نلصق بها أفكارا من عندياتنا ، وإذا كانت أسرارا فلماذا أرسل بها رسول مبلغ ، ونزل بها كتاب ، ويقول أيضا فى كتابه « التثليث والتوحيد » « الثالوث » سر يصعب فهمه وإدراكه .

ويقول القس باسيلوس ـ فى كتابه « الحق » أجل إن هذا التعليم من التثليث فوق إدراكنا [٣]

وللرد عليهم ،نقول ، بتوفيق الله عز وجل :

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١١٩ - ١٢١

(٢) سورة النحل : ٣٩

(٣) نقلا عن كتاب « محمد الرسول فى التوراة والانجيل ، إلى الباحث عن الحق والحقيقة ، محمد أسامة الاشمونى ص ١٩ بتصرف ط دار مرجان .

الرد على عقيدة التثليث

أ - إبطال دعوي ألوهية عيسي عليه السلام وبنوته من القرآن الكريم

نؤمن نحن المسلمين بأن الله عز وجل أزلى ، أبدى ليس لأزليته بداية ، وليس لأبديته نهـاية ، وأنه سبـحانه وتعالى منزه عـن الجوهر ، والعرض ، والجـسد ، مقدس عن أن يكون له والد ، أو يكون له ولد ، وأنه سبحانه وتعالى قوى قاهر، لا يهزم ولا يغـلب ، ولا يقتل ولا يصلب ، وأنه خـالق قادر ، خلق عـيسى من غيـر ذكر ، وحواء من غـير أنثى ، وآدم من تراب وبقـية البشـر والخلق من ذكر وأنثى ، وجعل لنا فى ذلك آية .

فنحن نؤمن بأن عيسى عبد الله ورسوله ، كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه .

ونحن بالإيمان بالمسيح ابن مريم رسـول الله « أولى » قدرناه حق قدره ، وقلنا بفضله المعلوم وفخره ، واعتقدنا بمنزلة تقبلها الأفهام وتليق بالعقول والأوهام .

ليس إلها ولا ابن إله ، ولا ثالث ثلاثة ، ولا جزء من الله ، أو نصف إله. . . الخ ما ادعـاه النصارى ، وإنما هو عبد كـامل العبودية أنعم الله عـز وجل عليه ، وجعله فى ولادته ومعجزاته آية وعلامة لبنى إسرائيل ، كما قال تعالى : ﴿ **إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل** ﴾ [1] ثم هو لم يتأب على العبودية ولم يتكبر عليـها ، أو يستنكف عنهـا ، كما قـال تعالى ﴿ **لن يستنكف المسيح أن يكون عـبـدا لله ولا الملائكـة المقـربون ، ومن يسـتنكف عن عـبـادته ويسـتكبـر فسيحشرهم إليه جميعا** ﴾ [2] وتبرأنا من قوم غدوا فيه على طرفى نقيض ، مفتون به ضال ، وظالم بـغيض ،وهما فى عـمى بصائرهم سـيان ، ولدى حلبـة الكفر

(١) سورة الزخرف : ٥٩

(٢) سورة النساء : ١٧٢

فرسا رهان أما المفتونون به الضالون فقد أوقعوا أنفسهم فى خطيئة ، ذات شقين ، يستحيل غفرانها .

الأول : أنهم أوردوا عيسى بغلوهم فيه موردا ، يعتذر عند الله فيه يوم الحشر بين يديه ، إذ يقول له ، وهو تبارك وتعالى أعلم : ﴿ **أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد** ﴾ [1]

وأما من أبغضه ، أو سبه ولعنه ، فإنما أوردوه بفعلهم موردا يكون حسيبهم فيه، والقائم دونه ، يأخذ حقه منهم .

ثم نحن نسأل : لماذا عيسى إله ؟ لأنه من روح الله ، أم لأنه بدون أب ؟ أم لأنه يحيى الموتى ؟ فلئن كان من حيث هو روح من الله ، فآدم عليه السلام كذلك ، نفخ الله فيه من روحه ،بعد أن سواه من تراب ، وعيسى نفخه من روح الله ، فلماذا وجبت الألوهية لعيسى ولم تجب لآدم ؟ والنصارى يقرون له أنه روح من الله فى حجاب من تراب ، كما قال تعالى ﴿ **فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ [2]!!

ولئن كان من حيث إنه بدون أب ، فإنه يلزم أن يكون آدم أولى منه بهذه الألوهية أو تلك البنوة ، لأنه بدون أب ولا أم ، بل خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته ، وأسكنه جنته .

ولما لم يبعد خلق آدم من التراب ، لم يبعد أيضا خلق عيسى عليه السلام من

(١) سورة المائدة : ١١٦ ، ١١٧.
(٢) سورة ص : ٧٢

الدم الذى كان يجتمع فى رحم أمه ، ولذلك قال تعالى : **﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾** (١)

وربما زعموا له بالألوهية لأنه كان يحيي الموتى ! نقول : ألم يكن ذلك بإذن الله ؟

وكذلك هل كل من يحى الموتى يحكم له بالألوهية ، إذن فعليهم أن يؤمنوا بألوهية إبراهيم ، وقد أحيا الله على يديه الموتى ،وبألوهية العزير ، فقد أحيًا الله له الموتى ،وكذلك بألوهية إلياس النبى ، فقد أحيا الموتى ، وكذلك اليسع ، كما ورد فى العهد القديم .

فلم تظلمون بعضا دون بعض؟وكذلك أنطق الله الشاة المسمومة لنبينا محمدﷺ ولماذا يكون عيسى ابنا لله - من دون الخلق ؟ والابن يكون لحاجة الأب إليه، فى كبر سنه وليس لله عز وجل حاجة ،فهو الغنى عن العالمين ، أو ليكون امتدادا لسيرة والده من بعده ، والله سبحانه وتعالى ، حى لا يموت ، فلا حاجة لعيسى إذن !!

ولئن كان عيسى ابنا لله ، ألا تكون له خاصية وميزة عن بقية الخلق ؟

كما قال تعالى : **﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ﴾** (٢) فكان جديرا بهذا الولد أن يكون فيه شبه من أبيه ، وميزة علي من سواه ، وتنزه عن نقائص بنى آدم ، ولكن القرآن الكريم يحدثنا عن عيسى وأمه كما حدثتنا الكتب السابقة أيضا بأنهما كانا يأكلان الطعام ، وأكل الطعام كناية عن التغوط ، وقد كان يجب لله تعالى لو سبق فى حكمه أن يكون إنسانا وينزل لمقابلة عباده ، كما زعموا أن يمتنع عن التغوط إذ هو دنية ابتلى

---

(١) سورة آل عمران : ٥٩

(٢) سورة الزمر : ٤

بها آدم ، وبنيه ، مبينة لنقصهم وضعفهم ، وهو تعالى المختص بالكمال ، والموصوف بالعظمة والجلال ، فلا يليق به تلك الدنية ، ولا نعلم من فِرَق المسيحية من يقول : إن عيسى لم يكن يتغوط ، ولا يبول ، حاشا لله أن يحقر خلقا له بدنية ، يراها أخس الآدميين عارا في نفسه ، لم يتشبه بعبيده فيها ، بل كان يتركها دون غيرها من صفات الإنسانية [١] يوضح الله عز وجل الحقيقة بقوله ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ﴾ [٢]

وكيف يكون عيسى ابنا لله - كما زعموا - وليس لله زوجه ، وكذلك لا ولد بدون زوجة فكيف يكون ؟ ﴿ بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم [٣] ﴾

ولم يكون لله ولد ؟ مع أن كل الناس عباد لله ، وعلى افتراض جدلى ، لو أن لله ولدا لعبدناه جميعا ، وعلى رأسنا نبينا محمد ﷺ ، كما قال تعالى ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ [٤] ولكن لماذا ؟ وربنا عز وجل يقول : ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدا ، لقد جئتم شيئا إدا.تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا.أن دعوا للرحمن ولدا.وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ، إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ﴾ [٥].

ولذلك حكم الله تعالى بكفر من يعتقد بهذا الشرك ،ويؤمن بهذا المعتقد ، فقال سبحانه وتعالى ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه

---

(١) بين المسيحية والإسلام ص ١٥٥ - ١٥٩ ، ١٦٧ ، ١٦٨ بتصرف ،
(٢) سورة المائدة : ٧٥
(٣) سورة الأنعام : ١٠١
(٤) سورة الزخرف : ٨١
(٥) سورة مريم : ٨٨ - ٩٣

الجنة ومأواه النار ومـا للظالمين من أنصار ، لقـد كفر الذين قـالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾ [١]

ب – إبطال دعوى ألوهية عيسى عليه السلام وإثبات نبوته من نصوص أناجيلهم:

إن الذى يقرأ الأناجـيل لا يجد فـيها حـديثا صريحـا عن ألوهية عـيسى ، وأن عيسى ـ عليه السلام ـ لم يدع تلك الألوهية ، ولم تذكر تلك الأقانيم التى يقولون بهـا . اللهم إلا ما كـان من بعض النصـوص أو الفقـرات المنتـحلة ، والتى ثبت تحريفـها ، بل كذبها ، بـل إن الإنجيل أثبت عكس ما يزعـمون ، فها هو عـيسى عليـه السـلام حين خـرج من السـامرة ولحق بالجـليل قال « إنـه لم يكرم نبى فى وطنه، أو أن ليس لنبى كـرامة فى وطنه » [٢] وكذلك « إنه ليس نبى مـقبولا فى وطنه » [٣] وحسـبك هذا من دليل على أنه ما ادعى غـير النبوة المعلومـة « وقوله عليه السـلام : لمن سأله : أيهـا المعلم الصالح مـاذا أعمل لأرث الحـياة الأبدية ، فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحا ، ليس أحد صالحا إلا واحدا وهو الله ، أنت تعرف الوصايا : لا تزن ، لا تقتل ، لاتسـرق ، لاتشهد بالزور ، لا تسلب ،أكرم أباك وأمك[٤].

وفى الإنجيل أيضا « أن اليهـود لما أرادت القبض عليه وعلم بذلك ، رفع بصره إلى السماء وقـال : قد دنا الوقت يا إلهى فشرفنى لديك ، واجعل لى سـبيلا إلى أن أملك كل ما ملكتنـى الحياة الباقـية ، وإنما الحيـاة الباقيـة ، أن يؤمنوا بك إلها

(١) سورة المائدة : ٧٢ – ٧٤
(٢) إنجيل يوحنا : إصحاح ٤ (٤٣ ، ٤٤)
(٣) إنجيل لوقا ، إصحاح ٤ (٢٣ ، ٢٤)
(٤) إنجيل مرقس ، إصحاح ، ١٠ (١٧ – ١٩)

واحدا ، وبالمسيح الذى بعثت ، وقد عظمتك على أهل الأرض واحتملت ما أمرتنى به فشرفنى لديك » [(١)]

وكذلك قول عيسى لتلاميذه « ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات ،ولا تدعوا معلمين ، لأن معلمكم واحد المسيح » [(٢)] ومعناه «لا تقولوا إنه على الأرض ، ولكنه فى السماء ، ثم أنزل نفسه حيث أنزله الله تعالى وقال : ولا تدعوا معلمين ، فإن معلمكم المسيح وحده .

فها هو قد سمى نفسه معلما فى الأرض لهم ،وشهد أن إلههم فى السماء واحد.

وفى إنجيل لوقا ، أن عيسى أحيا الميت ، بباب مدينة «نائين » عندما أشفق على أمه ، لشدة حزنها عليه ، فقال : « فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبى عظيم وافتقد الله شعبه ، وليوحنا ، أن عيسى قال لليهود : « أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئا ، كما أسمع أدين ، ودنيونتى عادلة ، لأنى لاأطلب مشيتى ، بل مشيئة الأب الذى أرسلنى [(٣)] وقال « فنادى يسوع وهو يعلم فى الهيكل قائلا : تعرفوننى وتعرفون من أين أنا ،و من نفس لم آت ، بل الذى أرسلنى هو حق ، الذى أنتم لستم تعرفونه [(٤)]

فها هو قد جعل نفسه ، وموضعه معلومين عند اليهود ، وجعل الله عندهم مجهولا ، وقال « لأنى خرجت من قبل الله وأتيت ، لأنى لم آت من نفسى ، بل ذاك أرسلنى [(٥)] وفى الإنجيل أنه قال لليهود - بعد حوار طويل - حين قالوا له: أبونا هو إبراهيم ، قال لهم يسوع لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال

(١) إنجيل يوحنا ، إصحاح ١٧ بنحوه
(٢) إنجيل متى ، إصحاح ٢٣ (٩ - ١٠)
(٣) إنجيل لوقا ، إصحاح ٧ (١٦) .
(٤) إنجيل يوحنا ،إصحاح ٥ (٣٠)
(٥) إنجيل يوحنا ، إصحاح ٧ (٢٨)

إبراهيم ، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى ، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله ، هذا لم يعمله ابراهيم ، أنتم تعملون أعمال أبيكم ، فقالوا له إننا لم نولد من زنا ، لنا أب واحد هو الله ، فقال هم يسوع لوكان الله أباكم لكنتم تحبوننى ، لأنى خرجت من قبل الله وأتيت ، لأنى لم آت من نفسى ، بل ذاك أرسلنى ، لماذا لا تفهمون كلامى ؟ [1]

فها هو يحكم على نفسه بأنه إنسان ، وهذا هو الحق الذى تكلم به ، بعد أن أوحى إليه من عند الله ، ثم هو يبغض أن يقتل ويرفض ذلك ، ويقول لهم : لماذا لا تفهمون كلامى ؟ [2]

وفى الإنجيل أيضا « وكان يسوع يتمشى فى الهيكل فى رواق سليمان ، فاحتاط به اليهود وقالوا له إلى متى تعلق أنفسنا ، إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهرا ، أجابهم يسوع إنى قلت لكم ولستم تؤمنون [3] ولم يقولوا : إن كنت الله ،لأنهم لم يعلموا من دعواه ذلك ، ولا اختلاف عند اليهود أن الذى انتظروه هو إنسان نبى ، ليس بإنسان إله كما يزعمون .

وفى الإنجيل أيضا عنه « ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبى سمى يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به فى البطن » [4] فأى رب هذا الذى يدعى صبيا ، ويختن ، ويخشى على نفسه .!!

وفى تجربة إبليس لعيسى عليه السلام ، يقول عيسى عليه السلام « مكتوب أيضا لا تجرب الرب إلهك » [5] حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان ، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد [6]

(١) إنجيل يوحنا ، إصحاح ٣ (٣٩ - ٤٣)
(٢) بين الإسلام والمسيحية ص ١٥٩ - ١٦٤ بتصرف .
(٣) إنجيل يوحنا إصحاح ١ (٢٤ ، ٢٥)
(٤) إنجيل لوقا ، إصحاح ٤
(٥) إنجيل متى ، إصحاح ٤
(٦) إنجيل لوقا ،إصحاح ٤

أليس هذا هو التوحيد الذى قام يدعو به عيسى وإليه ؟ « ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه »[١] ولو كان ربا لكانت تعبده ،ولا تخدمه ، وكيف يجرب الرب أمام إبليس ؟!

قد ورد كذلك « فتعجب الناس قائلين أى إنسان هذا ، فإن الرياح والبحر جميعا تطيعه » [٢] وفيما يسوع مجتاز من هناك تبعه أعميان يصرخان ويقولان ارحمنا يا ابن داود [٣] ولم يقولا: يا ابن الله !!

وكذلك « حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلم نريد أن نرى منك آية [٤] ولم يقولوا يا الله !! ويصرح عيسى عليه السلام بنبوته ورسالته فيقول صراحة « لم أرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة » [٥] وقال « لأنى لا أطلب مشيئتى ، بل مشيئة الآب الذى أرسلنى يشهد لى ، لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته [٦] ـ فلو كان هو الله ما قال لهم هذا ، لأنهم على الأقل أبصروا عيسى ، وسمعوا صوته .

وقوله عليه السلام « من قَبِلَ واحدا من أولاد مثل هذا باسمى يقبلنى ، ومن قبلنى فليس يقبلنى أنا ، بل الذى أرسلنى [٧] وكذلك أجابهم يسوع : وقال تعليمى ليس لك ، بل للذى أرسلنى إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسى ، من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه وأما من يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم [٨] وجاء عنه :وقال له

(١) إنجيل متى ، إصحاح ٤
(٢) إنجيل متى ، إصحاح ٨
(٣) إنجيل متى ،إصحاح ٩
(٤) إنجيل متى ، إصحاح ١٢
(٥) إنجيل متى ،إصحاح ١٥
(٦) إنجيل يوحنا ، إصحاح ٥
(٧) إنجيل لوقا إصحاح ٥ ، إنجيل مرقس ،إصحاح ١٢ ، ولوقا إصحاح ١٠ بنحوه
(٨) إنجيل لوقا ، إصحاح ٧

أنت متغرب وحدك فى أورشليم ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها فى هذه الأيام، فقال لهما وما هى ؟ فقالا : المختصة بيسوع الناصرى الذى كان إنسانا نبيا مقتدرا فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب [(١)]

وفى الأناجيل من هذا الكثير مما يدل علي رسالة عيسى عليه السلام ونبوته ، لا ألوهيته وبنوته ، بل إن عيسى عليه السلام كان ينادى بالتوحيد الخالص فى القوم، ولكنهم كذبوا عليه ، ومن ذلك قوله عندما سئل : أيه وصية هى أول الكل فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هى اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك ، هذه هى الوصية الأولى ، فقال له الكاتب ، جيدا يا معلم بالحق قلت ، لأنه الله واحد ، وليس آخر سواه ، ومحبته من كل القلب ، ومن كل الفهم ، ومن كل النفس ومن كل القدرة [(٢)]

وكان عليه السلام يخلص العبادة لله ، كما جاء فى الأناجيل « وفى تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلى ، وقضى الليل كله فى الصلاة لله » [(٣)] فلئن كان هو الله، أو ابنه ، فلم الصلاة ؟ ولمن ؟!!

هذا ، وهناك الكثير من هذا ، لمن قلب صفحات الأناجيل ونظر فيها ، فأين التثليث المزعوم أو الألوهية الباطلة ؟!!

جـ- إبطال دعوي ألوهية المسيح ، أو التثليث ، بدليل عقلى :

« لقد كتبوا فى الإنجيل : أن الرب صعد ، فصار عن يمين الرب ، فى أثر الصلب ، فأخبرونا عن هذين الربين ، من خلق منهما صاحبه ؟ فالمخلوق منهما ضعيف عاجز ، ليس بإله ، وإذا أراد أمرا ، لمن الحكم منهما ؟ فإن كان أحدهما

---

(١) إنجيل لوقا ، إصحاح ٢٤

(٢) إنجيل مرقس ، إصحاح ١٢ ، ولوقا إصحاح ١٠ بنحوه

(٣) إنجيل لوقا ، إصحاح ٦

مضطرا إلى مشاورة الآخر ، ومساعدته ، كان المضطر عاجزا مقهورا ، ولم يكن إلها قادرا ، وإن كان قادرا على مخالفته ، ومدافعته ،فهو إذا إله مداهن ، ويكون الآخر ضعيفا ، عاجزا مقدورا عليه .

والقرآن الكريم يقول : ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾ [(١)] ويقول ﴿ **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون** ﴾ [(٢)]

ومن عجب التناقض ، اتفاقهم على أن التثليث آب ، وابن ، وروح قدس ، وأن كل واحد من هذه الثلاثة لا يبصر ، ولا يلحقه ما يلحق الخليقة ، مع أن عيسى كان يبصر ، ويجوع ، ويشبع ويأكل ، وغير ذلك من صفات الخليقة ، ثم جعلوه الابن من تلك الثلاثة ، ويلحقه ماليس يلحقها ! فإن قالوا : إن نصفه هو إله تام ، والنصف الآخر ليس بإله ، فيلزمهم أن يقولوا : يا نصف المسيح ارحمنا، وإذا قيل لهم : من إلهكم ؟ يقولون : هو نصف المسيح !!

وكيف يكون نصفه خالقا ، ونصفه معبودا لنصفه ، وليس بإله تام ؟ وهذا مأخوذ من قولهم « لما لم يكن أن ينتقم الله من عبده آدم لسقوط منزلة العبد ، انتصف من الإنسان الذى هو إله مثله ، وأن الانتصاف إنما كان من الجسم فهو المائل . فإذا جعلوه كله إلها فهم يعبدون غير الله ، ولا فرق إذن بين الله وبين مخلوقاته ، وقالوا : إن الابن إله تام ، وأن الآب يستحق من الألوهية والقدم ، ما لا يستحقه الابن » فإذا كان ذلك ، فالابن إذا إله غير تام ، حيث لا يستحق من الألوهية مثل ما يستحقه الآب ، وهذا من مكابرة العقول .

وقالت اليعقوبية – وهى من الفرق المسيحية : إن الله نزل فدخل من بطن مريم، واتخذ من لحمها جسدا فصار مع الجسد نفسا واحدة ، وقالت النسطورية :

(١) سورة الأنبياء : ٢٢
(٢) سورة المؤمنون : ٩١

ليست النفس هى الله ، وإنما هى بعضه .

ومن كلام اليعقوبية : أن الله أخذ ذلك اللحم ، والدم ، فوردهما فى نفسه فصار ذلك اللحم الله ، ثم اتفقوا على أن أقانيم الآب والابن ، وروح القدس غير مختلفة ، بل هى أقنوم واحد فإذا كان هذا ، الآب هو الابن ، وهى روح القدس ، الكل شيء واحد ، وهذا توحيد ، فلم خصصتم المسيح بالابن ، ولم تقولوا إنه الآب ، وقد قلتم : إن الآب ، والروح القدس شيء واحد ؟!! فلم جعلتم البدن شيئا معبودا ، وليس من الثلاثة ، فهؤلاء إذن أربعة ، وقد بطل التثليث ، وصار تربيعا ، فإن أبيتم إلا ثلاثا فقد جعلتم نفى العبد وإثباته سواء ، وكابرتم العقول ![1]

وقرر البابا شنودة فى كتيب له ، أسماه « القرآن والمسيحية »[2] فقال : كذلك لا يمكن أن تؤمن المسيحية إطلاقا بوجود إلهين من دون الله ، حتي لو كان المسيح أحدهما ، فنحن نؤمن بإله واحد لا سواه[3] والمعنى الواضح الصريح لهذا الكلام أن الله تعالى هو الإله الواحد ، والمسيح ليس بإله بل عبد مخلوق ، وذلك نفى صريح لألوهية المسيح ، وجعلها لله وحده .

ثم يحدث التراجع بعد ذلك فيقول : « أما ثالوث المسيحية فغير ذلك ، نقول فيه اسم الآب والابن والروح القدس ، إله واحد آمين ، فالله هو جوهر إلهى أو ذات إلهية له عقل ، وله روح ، والثلاثة واحد !!ثم أخذ يبرر ذلك قائلا : كالنار لها ذات هى النار وتتولد منها حرارة وينبثق منها نور ، والنار بنورها وحرارتها شيء واحد ، وضرب مثلا أيضا بالإنسان وعقله وفكره[4] ووصف الله تعالى بأنه

(١) بين الإسلام والمسيحية ص ٢١٦ - ٢١٩ بتصرف .

(٢) مقال بعنوان « القرآن والمسيحية » للبابا شنودة ، فى مجلة الهلال ، عدد ديسمبر ١٩٧٠ ثم صار كتيبا يوزع فى السوق بأعداد هائلة .

(٣) القرآن والمسيحية ص ١٣

(٤) المصدر السابق ص ١٥ ، ١٦ بتصرف .

جوهر وله عقل وروح !! ، وهذا تجسيد يرفضه الإسلام لأن صفات الله العليا ، لا تشبه ولا تمثل ولاتكيف ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [1] وما الذى يجعل البابا يحوم دائما حول التثليث فى وصف الأشياء يريد بذلك تبرير التثليث بالواحد ، فالنار لها دخان ولهب واحتراق ورماد ، ولها صفات أخرى لا تنحصر فى النور والحرارة فما الذى يجعله يقف عند حد التثليث ؟

ويبرر تثليث النصرانية أيضا بالانسان له ذات وعقل وروح ، ونقول : الإنسان أيضا له سمع وبصر ، ورغبة وشهوة ، وصفات كثيرة متعدده تشكل فى النهاية شيئا واحدا هو الإنسان ، فلماذا التثليث فحسب ؟!! والذى يقوله البابا شنودة خلط عجيب بين صفات الشيء الواحد وبين الأشياء الكثيرة المتباينة المتعددة ، فالنار بصفاتها شيء واحد ، والإنسان بصفاته شيء واحد ،ولكن ذلك لا يعنى أن الإنسان والنار شيء واحد ،ونعطيه المثل من نفسه ،فنحن يمكننا أن نقول : البابا هو شنودة ، وهو رئيس تحرير مجلة الكرازة وهو رئيس الأقباط فى مصر ، وهو المولود باسم نظيرجيد ،وكل هذه الأشياء صفات لشخص واحد لا يتعدد ، ولا يمكننا أن نقول : إن البابا شنودة ، والبابا بولس وبطريق الكاثوليك ، وحاخام اليهود كل ذلك شخص واحد ، !! فهؤلاء أشخاص متعددون ،والفرق بين تعدد الذات وتعدد الصفات واضح لا يحتاج إلى دليل .

ولذلك نحن نؤمن بأن الله تعالى هو الرحمن الرحيم ، السميع ، العليم ، البصير ، الخالق ، الرزاق ، المحيي ، المميت ، وغير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العليا ، وهى صفات تعددت لإله واحد هو الله تعالى ،ولا يمكن أن نقول الله تعالى هو المسيح ، هو الروح القدس ، لأن ذلك يعنى تعدد الذات ، لا تعدد الصفات ، والله تعالى إله واحد ، لا إله غيره ، والمثل الذي ضربه البابا شنودة بالنار أو الإنسان حجة عليه لا له .

(١) سورة الشورى ١١

وإذا جعل المسيح صفة من صفات الله تعالى : قياسا على مثل النار والإنسان فمعنى هذا أنه عندما مات المسيح فقد ماتت صفة من صفات الله !! تعالى الله عما يقولون ، وإذا كان الثلاثة واحدا ، فموت أحد الثلاثة يعنى موت الجميع ، وما الذى يبقى من النار إذا فقدت حرارتها ، وما الذى يبقى من الإنسان إذا فقد عقله وروحه ، !! وإذا قلنا إن الإنسان وعقله وروحه ، هذه الثلاثة أشياء شيء واحد ، فالإنسان ينتهى بفقد العقل والروح ، والنار تنتهى بفقد الحرارة والنور ، والآب والروح القدس ينتهيان بموت الابن !!

هذا ولا يفوتنا أن نذكر أن هذه الفروض كلها مرفوضة ، لأن الله تعالى لا يشبه المخلوقات ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [(١)]

ويبرر البابا شنودة التثليث والبنوة بأنها مجاز وليست حقيقة ، فيقول « بنوة المسيح بنوة غير جسدية وغير تناسلية[(٢)] : إن كتب العهد القديم والجديد ، قالت عن البشر أولاد الرب ونسبت إلى المسيح أنه قال « إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم [(٣)] ونسبت إليه أنه قال : « أبوكم الذى فى السموات » [(٤)] وفى صلاتهم : أبانا الذى فى السماء [(٥)] وكذلك قال : وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم. بل لأبيك الذى فى الخفاء فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك فى العلانية [(٦)] وقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى [(٧)] طوبى لصانعى السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون [(٨)] .. الخ

---

(١) القرآن والنصرانية ،تصحيح لما ورد فى كتيب ، القرآن والمسيحية ، الشيخ مصطفى درويش ص ٥-٨ بتصرف
(٢) القرآن والمسيحية ص ١٤
(٣) إنجيل يوحنا ، إصحاح ٢٠
(٤) إنجيل متى : ١٤
(٥) إنجيل لوقا إصحاح ١١
(٦) إنجيل متى ، إصحاح ٦
(٧) إنجيل يوحنا ، إصحاح ٨
(٨) إنجيل متى ، إصحاح ٥

فكل مـا ورد إذن فى الإنجيل عـن عيـسى بأنه ابن الله - مـثل « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت [١] أو «وفى ذلك الوقت أجاب يسـوع وقال أحمـدك أيها الآب رب السموات والأرض [٢] والأرواح النجسة حينما نظرته خرت له وصرخت قـائلة إنك أنت ابن الله [٣] وأمثاله ، يبـقى لا وجه للتخصيص فـيه ، فكما ورد ذلك في شأن عـيسى ، ورد فى شأن بقيـة الناس ، فهل يحق - بهذه الصـفة أن تعتـقد أن كل الناس أبناء الله ، بالمعنى الذى ذهب إليـه النصارى فى عيـسى عليه السلام لله وهل تجـب عبادة الناس باعـتبـار بنوتهم كالذين عـبدوا « عـيسى » ؟ وبالنظر فى الإنجيل ، وإطلاق لفظ البنوة على كثير من الناس ، ندرك أن «عيسي» ليس هو الابن الوحيد . !!

وإذا كانت بنوة المسيح لله تعالى غـير جسدية كما زعموا فـما الذى يجعل الأمر يقف عند حد التثليث ، وقد جعلتم البـشر كلهم أولادا لله تعالى ؟ !! وقد أقروا أن المسـيح يتسـاوى مع سائر البـشر فى هذه البنـوة وإن كانت تخـتلف المنزلة عند الآب!! تعالى الله عما يقولون علوا كبير . [٤]

والواضح من كتـابة البابا شنودة أنه ظن أن البنوة التى نفـاها القرآن هى البنوة التناسلية ، الجسدية ، وذلك فهم خاطىء لأن القرآن لما قال ﴿ وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صـاحبة ولا ولدا ﴾ [٥] أراد أن يبين كـذب ادعاء الولد لله تعـالى ، لأنه معلوم لدى البشر أن الولد لا يأتى إلا عن طريق الصاحبة ، والذى لا صاحبة له، لا ولد ينسب إليه ، والقرآن نفى حتى البنوة المجازية لله تعالى ، لأننا لا نمجد الله تعالى بقولنا أب أوحد ، وغير ذلك من العلاقات البشرية ، إنما نمجده بالعبودية له

(١) إنجيل متى ، إصحاح ٣
(٢) إنجيل متى . إصحاح ١١
(٣) إنجيل مرقس ، إصحاح ٣
(٤) القرآن والنصرانية ص ٩ بتصرف .
(٥) سورة الجن : ٣

فنحن عباد ، وهو معبود خالق ، ولهذا واجه القرآن الكريم اليهود والنصارى ، فقال ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ﴾ (١) ولا يعنى ذلك بنوة جسدية .

وقد رفض القرآن الكريم هذا المجاز الذى تكرر فى أسفار العهد القديم والجديد، ومن هنا نعلم أن القرآن أنكر على أهل الكتاب البنوة المجازية سواء أكانت للناس أم للمسيح الذى صرحت كتب العهد الجديد بأنه مجرد نبى ورسول، وعبد وإنسان ورجل ، كما أشرنا إلى ذلك قبل ، فما الذى يدعو لهذه البنوة الحقيقية أو المجازية (٢)!!

والبابا شنودة نفى ألوهية المسيح ونفى التجسد ولا أعلم إن كان يدرى أو لا يدرى ونحن لا نقيم الحجة عليه إلا من كلامه مهما استدرك بعد ذلك من حجج غير مقبولة عقلا لتبرير التثليث أما نفى الألوهية فذلك واضح فى قوله « لا يمكن أن تؤمن المسيحية إطلاقا بوجود إلهين من دون الله حتى لو كان المسيح أحدهما»(٣)

وهذا الكلام واضح لا يحتاج إلى تفسير ، وهو أن المسيح ليس إلها من دون الله ، والمسيح لا يمكن أن يكون إطلاقا أحد إلهين ، والإله الواحد هو الله .

أما نفى التجسد فنذكر بالنص عبارة البابا شنودة:الله روح منزه عن الجسد وأعماله ، وبنوة المسيح لله هى بنوة جسدية غير تناسلية ، إنها شيء روحى إلهى يتسامى فوق هذا المستوى الجسدى (٤).

وإذا كان الله تعالى منزها عن الجسد وأعماله ويتسامى فوق المستوى الجسدى ،

---

(١) سورة المائدة : ١٨
(٢) القرآن والنصرانية ص ٩ - ١١ بتصرف .
(٣) القرآن والنصرانية ص ١٣
(٤) القرآن والنصرانية ص ١٤

فمـا الذى يدعو البابا شنودة فـيختتـم بحثه فـيـبين الخلافات الجـوهرية بين القرآن والمسيحية ، ويقول « منها التثليث والتجسد » !!

وهكذا هدم التثليث والتجسد فى كلمة ، وأخذ به فى أخرى ، فما هذا التجسد مع أن الله منزه عن التجسد وأعماله ؟!! (١)

وإذا حكمنا العقل وناقشنا مبررات تأليه المسيح عنـد النصارى نجدها غير مقبوله ولا معقولة ، واستنادهم إلى أنه بدون أب ، وأنه روح الله ، وأنه يحيي الموتى ، قد سبق الرد على ذلك .

واستنـادهم إلى أنه هو كلمتـه التى ألقاها إلى مـريم ، فليس فى ذلك مـا يبرر الألوهية أو التثليث لأن كلمة الله تعالى هي أمره ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فـيكون ﴾ (٢) والمسـيح تكون فى بطن أمـه ، وخرج إلى الدنـيا بأمـر الله وكلمته ، فهو كلمة الله بهذا المعنى.

ألا ترى أن الحاكم يصدر الأمر ، ويتكلم بالكلمة ، فتنفذ وتحول إلى بناء يقام، أو مدينة تشيـد ، فيقال عن ذلك كلمة الحاكم وأمـره ، والأمر شيء ،والمامور به شيء آخر ، فعندما يخلق إنسان بكلمـة ويظهر فى الوجود بأمره لا يقال أبدا الذى تكلم الكلمـة وأمر بها ومظهـرها وما تكونت به شيء واحـد ، ولا يقال إن الذى تكلم الكلمة هو الشيء الذى تكون بهـا ومنها فالنار التى أطفئت بأمـر الله وكلمته ولم تصب ابراهيم ليست هى الذى أمـر وتكلم وقال ﴿ يا نار كوني بردا وسـلاما علي ابراهيم ﴾(٣)

والروح هى القـدرة ، والمسـيح خلق بـقـدرة الله ، وهو ليس وحـده بل آدم كذلك ونحن أيضا ، كما قال تعالى ﴿ ثم جعل نسله من سـلالة من ماء مهين ، ثم

(١) القرآن والنصرانية ص ١٢ ، ص ١٣ بتصرف .

(٢) سورة يس : ٨٢ .

(٣) سورة الأنبياء ٦٩

سواه ونفخ فيه من روحه ﴾ [1] إن ما تزعمه النصارى فوق مستوى العقول والنقول، وذلك ما اعترفوا به هم أنفسهم ، وذكرنا من ذلك ما قاله القس توفيق فى كتابه « سر الأزل »: إن تسمية الثالوث باسم الآب والابن والروح القدس تعتبر أعماقا إلهية ، وأسرارا سماوية لا يجوز لنا أن نتفلسف فى تفكيكها وتحليلها أو نلصق بها أفكارا من عندنا ، ثم ذكر فى كتابه التثليث والتوحيد : الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه ، هل يكلف الإنسان بما فوق فهمه وإدراكه ؟ وما الداعى لهذه الطلاسم والألغاز ثم فى النهاية يكون العذاب الأبدى ؟!! [2]

إن العقل لا يصدق تجسد الإله ، وإمكان أن يتحول رب العالمين إلى شخص يأكل ويشرب . . . الخ ،كما أن العقل لا يصدق أيضا أن البشر جميعا أرباب خطايا ، وأصحاب مفاسد وأنهم محتاجون لمن « ينتحر » من أجلهم كى تغفر خطاياهم وكذلك رفض الإسلام كلتا القضيتين ، وتنزل القرآن الكريم مفيضا الحديث عن تنزيه الله وسعته وقدرته وحكمته وعلمه ، كما أفاض الحديث عن الناس ومسئوليتهم الشخصية عما يقترفون من خير أو شر .

أحيانا - فى هدأة الليل - يرمق الإنسان النجوم الثاقبة وأبعادها السحيقة ، ثم يتساءل : أليس باريء هذا الملكوت أكبر ممن خلق ، سبحانه ، فكيف يحتويه بطن امرأة ؟!!

وأحيانا يرمق الأمواج ذوات الهدير ، وهى تضرب الشاطيء وتعود دون ملل أو كلل ، ويبرق فى رأسه خاطر عابر ، هل رب هذا البحر العظيم كان جنينا فرضيعا ، فبشرا قتيلا ؟ !! ثم يهز رأسه مستنكرا [3]

قد تتقارب وجهات النظر فى أمور كثيرة ، وتذوب الفوارق فى أمور مختلفة ،

---

(١) سورة السجدة : ٩،٨

(٢) القرآن والنصرانية ص ١٣ - ٢٧ بتصرف

(٣) قذائف الحق ص ٣٠ بتصرف . .

أما تذويب الفوارق بين التوحيد والتعدد كليهما ، فذاك مستحيل . لقد كتب بعض الناس كلاما يريد عقد لقاء بين عقيدة التوحيد الإسلامية وعقيدة التثليث المسيحية ، فنفى أن يكون الله ثالث ثلاثة - كما ذكر القرآن الكريم - وقال : إن الله الواحد هو جملة الأقانيم الثلاثة .

ولما كان كل أقنوم - على حده - يسمى إلها ، فإن الكاتب أراد أن يوضح هذا الغموض ولا نقول : يكشف هذا التناقض !! فقال بنصه : إذن كيف نوفق بين هذا وذاك ؟ وبين ثلاثة ثم واحد ؟

إن هذا هو بيت القصيد وفحوى الحديث ! وسوف أذكر مثالا . ماذا تعرف عن الشمس ، الشمس الواحدة ؟ أعرف أنها قرص ، وحرارة ، وأشعة . . وأى شيء من هذه الثلاثة هو الشمس ؟ هل القرص أم الحرارة ، أو الأشعة ، ثلاثتهم يكونوا الشمس ! إذن الشمس واحدة ، وهكذا الله سبحانه وتعالى ، مع فارق التشبيه العظيم من حيث المكانة . .

ونقف قليلا لنذكر رأينا فى هذا الكلام ، إن الكائن الواحد قد يكون له عدة صفات ، قد يكون طويل القامة ، أسمر اللون ، ذكى العقل ، ويمكن أن تنسب إليك صفات أخرى ، فهل قلة الصفات أو كثرة الصفات تعنى تعددا فى الذات ؟ وهل يجوز أن يطلق شخصك نفسه على صفة الطول أو السمرة أو الذكاء ؟ وهل يتصور أن تنفصل إحدى الصفات المذكورة ليطلق عليها الرصاص ، أو تتدلى من حبل المشنقة ، أو تسمر على خشبة الصليب ؟!! .

إن الشمس واحدة ، ولكن استدارتها وحرارتها واضاءتها وكثافتها . . الخ صفات لها ، أعراض لذاتها ، والصفة لا تسمى ابنا ولا خالا ولا عما ، ونحن نثبت للإله الواحد عشرات الأوصاف الجليلة ، بيد أن إثبات الأوصاف شيء بعيد كل البعد عن القول بأن الأب هو الابن وهو الصديق ، وأن خالق الكون هو الذى صلب على خشبة الصليب فى أرضه .

إن التمثيل بالشمس وأوصافها الكثيرة لا يخدم قضية التثليث ولا التربيع فى ذات الله ، والأمر لا يعدو لونا من اللعب بالألفاظ .

إن الله خالق هذا العالم واحد . وما عداه عبد له أوجده من العدم ، ولن تنفك صفة العبودية عن أى موجود آخر ، سواء كان « عيسى» أو « موسى » أو «محمد» ﷺ أو غيرهم من أهل الأرض والسماء.

ونريد أن نسأل : هل إذا كانت الشمس هى القرص والحرارة والأشعة ، فهل يمكن القول بأن الحرارة مثلا ثلث الشمس ، لا يقول هذا عاقل ، لأن الصفة لا تكون قسيما للذات بتاتا ، هل يمكن القول بأن القرص شكا للأشعة ما نزل به من بلاء مثلا ! ذاك ما لا يتصوره ذو لب . . !! [1]

إن هذا الكلام كما قلت – لون من اللعب بالألفاظ ، ولايصور العلاقة بين أفراد الأقانيم الثلاثة ، كما رسمتها الأناجيل المقدسة !!

ثم ذكر الكاتب دليلا آخر على أن التثليث هو التوحيد ، فقال « أقول لك عن إنسان ، اسمه ابراهيم، إبراهيم هذا فى بيته ووسط أولاده يدعى ربا لأسرته وينادونه يا أبانا يا إبراهيم ،إبراهيم هذا ذهب يوما إلى البحر ،فإذا الجموع محتشدة ، وإنسان يغرق ، وليس من ينقذه ، فما كان منه إلا أن خلع ملابسه ، وارتدى لباس البحر وأسرع وأنقذ الغريق ، فهتف المتجمهرون : ليحيا المنقذ إبراهيم، ذهب بعد ذلك إلى عمله ، وإذ كان يعمل بالتدريس ويشرح للتلاميذ ، وصاروا ينادونه: المعلم إبراهيم ، فأيهم إبراهيم : الأب أم المنقذ أم المعلم ؟ كلهم ابراهيم ،وإن اختلفت الألقاب مع الوظائف ، وهكذا أيضا والله خلق فهو الأب، الله أنقذ فهو الابن ، الله يعمم فهو الروح !!

نقول : هذا الكلام أوغل من سابقه فى خداع النظر،فإن الضابط قد يرتدى فى

(١) قذائف الحق ص ٣٦ ، ٣٧ بتصرف

الجيش ملابسه العسكرية ، وقد يرتدى فى عطلته الملابس المدنية ، وقد يرتدى فى بيته ملابس النوم ، ولم يقل مجنون ولا عاقل ، إن هؤلاء ثلاثة ، وأنهم واحد ، ولا يتصور أحد أن الضابط بزيه العسكرى يصدر حكما بالإعدام على الضابط نفسه بزيه المدنى ، وأن هذا المدنى يقول للعسكرى : لماذا قتلتنى ، أو لماذا تركتني؟! إن المعلم ابراهيم أوالمنقذ ابراهيم أو الخالق ابراهيم ، يستحيل أن يكونوا ثلاثة أقانيم على النحو المألوف فى المسيحية وإنما المعقول أن يقال : الله الواحد يوصف بالقدرة والعلم والرحمة والحكمة مثلا ، وهذا ما يذكره الإسلام ، فالله ذات واحدة ، لا تقبل التعدد البتة ، والروح القدس هو « جبريل » عبد مخلوق له، والمعلم المرشد الصالح « عيسى » عبد مخلوق له ، ما دام العقل البشرى موجودا فلن يسيغ إلا هذا . أما الفرار من التناقض الحتمى إلى التلاعب بالألفاظ فلا جدوى منه !

وإذا كان خالق السماء هو هو المقتول على الصليب ، فمن كان يدبر العالم بعدما قتل خالقه ؟ بل كيف يبقى العالم بعد أن ذهب موجده ؟ والعالم إنما يبقى لأنه يستمد وجوده لحظة بعد أخرى من الحى القيوم جل جلاله .

إن القرآن الكريم ينصح أصحاب عقيدة التثليث فيقول لهم : ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق . إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، إنما الله إله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد ،له ما في السموات وما في الأرض وكفي بالله وكيلا ،لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون** ﴾ [1]

وإنه ليسرنا أن تكون عقيدة التوحيدة محور العلاقة بين الناس جميعا وبين الله الواحد الأحد لكن من المضحك المبكى أن يحاول البعض التشبث بالثالوث

(١) سورة النساء : ١٧١ ، ١٧٢

وبألوهية كل فرد من أفراده ، ثم يزعم بطريقة ما أن الثلاثة هم فى الحقيقة واحد!

قيل فى باب الفكاهة : إن رجلا جلس على قهوة ، ثم طلب «ينسونا» وقبل أن يتناوله تركه ،وطلب بدله « شايا » شربه ثم قام لينصرف فلما طولب بثمن الشاى الذى شربه قال : إنه بدل الينسون ، فلما طولب بثمن الينسون ،قال : وهل شربته حتى أدفع ثمنه ؟! ويظهر أن هذا الاستدلال الفكاهى انتقل من ميدان المشروبات إلى ميدان العقائد ، ليطمس الحقيقة ، ويسيغ المتناقضات .[1]

٢ - صلب المسيح فداء عن الخليقة

ماذا قالوا فى هذا ؟ وماذا قالت الأناجيل ؟ يقولون فى هذا : إن الله من صفاته المحبة . حتى لقد جاء فى الكتب المقدسة عندهم « الله محبة » ومحبة الله ظهرت فى تدبيره طريق الخلاص للعالم ، لأن العالم من عهد سقوط آدم فى الخطيئة ، وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا ، مبتعد عن الله بسبب تلك الخطيئة ، ولكن الله من فرط محبته ، وفيض نعمته ،رأى أن يقربه إليه بعد هذا الابتعاد ، فأرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد ، إلى العالم ، ليخلص العالم ، كما جاء ذلك فى الإنجيل : «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية ، لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم ، بل ليخلص العالم ، الذى يؤمن به لا يدان ، والذى لا يؤمن به قد دين، لأنه لا يؤمن باسم ابن الله الوحيد»[2]

وفى إنجيل لوقا « وإن ابنى الإنسان قد جاء لكى يطلب ، ويخلص ما قد هلك[3] فبمحبته ورحمته قد صنع طريقا للخلاص ، لهذا كان المسيح هو الذى

---

(١) مجلة وزعها نصارى مصر على طلاب كلية الهندسة بجامعة القاهرة ، احتوت على هذا الكلام والذى قام بالرد عليه وتفنيده ،فضيلة الشيخ / محمد الغزالى ، فى كتابه « قذائف الحق » ص ٣٦ ، ٣٨ بتصرف .

(٢) إنجيل يوحنا ، إصحاح ٣ (١٦ - ١٩)

(٣) إنجيل لوقا ، إصحاح ٩ بنحوه

يكفر عن خطايا العالم ، وهو الوسيط الذى وفق بين محبة الله تعالى ، وبين عدله ورحمته ، إذ أن مقتضى العدل أن الناس كانوا يستمرون فى الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم ، ولكن باقتران العدل بالرحمة .

وبتوسيط الابن الوحيد ، وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق قرب الناس من الرب بعد الأبتعاد وقد كان التكفير الذى قام به المسيح هو الصلب ، لهذا صلب، ورضى الله عن صلبه ، وهو ابنه ، ولماذا ؟ لأن الله عز وجل لا يعاقب انسانا ، فأراد أن يعاقب إلها مثله ، فكان صلب المسيح [١].

أ- الأناجيل وواقعة الصلب : إن الناظر فى الأناجيل وهى تحكى قصة الصلب يجد عجبا . فيما اشتملت عليه من تناقضات ، وما احتوت عليه من خرافات ، وما انتهت إليه من أكاذيب ، وضلالات ، ونذكر منها على سبيل المثال : جاء فى إنجيل متى :

«تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح ، وابن الإنسان يسلم ليصلب . إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه ، ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الإنسان ، كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد ، فأجاب يهوذا مسلمه ، وقال هل أنا هو يا سيدى ، قال له : أنت قلت، ، حينئذ قال لهم يسوع كلكم تشكون فى فى هذه الليلة ، لأنه مكتوب أنى أضرب الراعى فتتبدد خراف الرعية ، ولكن بعد قيامى أسبقكم إلى الجليل ، فأجاب بطرس وقال له : وإن شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبدا ، قال له يسوع الحق أقول لك إنك فى هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرنى ثلاث مرات ، قال له بطرس ولو اضطررت إلى أن أموت معك لا أنكرك ، هكذا قال أيضا جميع التلاميذ ، وابتدأ يحزن ويكتئب ،فقال لهم نفسى حزينة جدا حتى الموت ، ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلى قائلا يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا ، بل كما تريد أنت . .

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٢٥ ، ١٢٦ بتصرف

هوذا الساعة قد اقتربت وابن الإنسان يسلم إلى أيدى الخطاة ، هوذا الذى يسلمنى قد اقترب ، وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الاثنى عشر قد جاء ومعه كثير أناس بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا الذى أقبله هوهو ، أمسكوه ، فللوقت تقدم إلى يسوع ، قال السلام يا سيدى ، وقبّله ، فقال له يسوع يا صاحبى لماذا جئت ،حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه ،وإذا واحد من الذين مع يسوع مد يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه ، فقال له يسوع رد سيفك إلى مكانه ،لأن كل الذين يأخذون السيف يهلكون ، أتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة ، فكيف نكمل الكتب إنه هكذا ينبغى أن يكون ، وفى تلك الساعة قال يسوع للجموع كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذونى ، كل يوم كنت أجلس معكم أعلم فى الهيكل ولم تمسكوني،!! وأما هذا كله فقد كان لكى تكتمل كتب الأنبياء ، حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا.

وأما بطرس فتبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة فدخل إلى داخل وجلس بين الخدام لينظر النهاية ، وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكى يقتلوه . وأما يسوع فكان ساكنا فأجاب رئيس الكهنة وقال له أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله ؟ قال له يسوع أنت قلت وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء ، فمزق رئيس الكهنة حنيئذ ثيابه قائلا قد جدف ما حاجتنا بعد إلى شهود ، ها قد سمعتم تجديفه ، ماذا ترون ؟

فأجابوا وقالوا إنه مستوجب الموت ، حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه ، وآخرون لطموه ، قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك ؟ أما بطرس فكان جالسا خارج الدار فجاءت إليه جارية قائلة وأنت كنت مع يسوع الجليلى ، فأنكر قدام

الجميع قائلا لست أدرى ما تقولين ، ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصرى ، فأنكر أيضا بقسم إنى لست أعرف الرجل ، وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقا أنت أيضا منهم فإن لغتك تظهرك ، فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف إنى لا أعرف الرجل ، وللوقت صاح الديك فتذكر بطرس كلام يسوع الذى قال له إنك قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات ، فخرج إلى خارج وبكى بكاء مرا [١].

ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة ، ونحو الساعة التاسعه صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا إيلى إيلى لم شبقتنى أى إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟ فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا إنه ينادى إيليا ، وللوقت ركض واحد منهم وأخذ إسفنجة وملأها خلا ، وجعلها على قصبة وسقاه ، وأما الباقون فقالوا أترك لنرى هل يأتى إيليا يخلصه ؟ فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح . . .

ولما كان المساء جاء رجل غنى من الرامة اسمه يوسف ، وكان هو أيضا تلميذا ليسوع ، فهذا تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع ، فأمر بيلاطس حينئذ أن يعطى الجسد ، فأخذ يوسف الجسد ولفه بكتان نقى ، ووضعه فى قبره الجديد الذى كان قد نحته فى الصخرة ثم دحرج حجرا كبيرا على باب القبر ومضى،وكانت هناك مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر . .

وبعد السبت عند الفجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر . . فإذا ليس هو هناك لأنه قام كما قال . . الخ .[٢]

وهكذا جاءت قصة الصلب بروايات مختلفة ، ولولا خشية الإطالة لذكرنا ما جاء فى بقية الأناجيل ، وإن كان بعضها فيه تشابه ، وبعضها الآخر فيه تناقض .

---

(١) إنجيل متى ، إصحاح ٢٦ بتصرف .
(٢) إنجيل متى ، إصحاح ٢٧ ، ٢٨ بتصرف .

وسنعرض إن شاء الله تعالى لقصة الصلب المزعومة بين مزاعمها ، ونظهر باطلها، وندحض مفترياتها ، بإذن الله تعالى .

الرد على مزاعم النصارى فى صلب المسيح - عليه السلام ، نذكر ما يلى :-

قال تعالى : ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾ (٢)

فالآية الكريمة الأولى أوضحت بيقين أن المسيح عليه السلام لم يصلب ، كما بينت الاختلافات التى يعجز عن فهمها حتى الآن علماء النصارى وآباء الكنيسة على الصعيد العالمى .

هذا وليس القرآن الكريم وحده هو الذى حكم ببطلان الصلب ، بل الإنجيل أيضا والتاريخ والعقل كذلك . وإليك طرفا من ذلك .

ب - إبطال دعوى صلب المسيح من الإنجيل : فإن الذى يقرأ قصة الصلب فى الأناجيل يلاحظ أن الشخص الذى صلبته اليهود لم يكن عيسى فيما يلى :-

١- لم يكن « عيسى » معروفا بشخصه لدى رجال الشرطة ، التى أمرت بالقبض عليه ، ولذا أخذوا معهم « يهوذا الأسخريوطى » ليعينه لهم .

٢- ثبت أن يهوذا ندم على استعداده لمعاونة الشرطة ، فى تعيين شخص عيسى من بين التلاميذ ، ورد لهم المبلغ الذى أخذه منهم .

٣- يحتمل بناء على هاتين الملاحظتين - وهما مذكورتان فى الإنجيل نصا أن

(١) سورة النساء : ١٥٧
(٢) سورة آل عمران : ٥٥

يهوذا أدركته الندامة قبل وصوله مع رجـال الشرطة إلى المكان الذى فيه عيسى مع تلاميذه ،فعيّن لهم أحد التلاميذ على أنه عـيسى ولم ينكر التلميذ رغبـة فى إنقاذ مـعلمـه فـأخذ وصـلب . ولا يرفع هذا الاحـتمـال ذهاب مـريم المجـدليـة إلى القبر،وإخبارهـا بقيام عيسى عليه السلام لأنها لم تكن مع التـلاميذ ، حتى ذهبت الشرطة للقبض عليه ،ولم يخبروها بأن المقبـوض عليه ليس عيسى حتى لا ينتشر الخبر فتعاود السلطات البحث عن عيسى وكذلك لم يكذبوها حين روت أنه قام من قبـره ، لأن فى ذلك رفعـا لشأنه ، وعامـلا قويا لحـمل الناس نفسـيا على الإيمان بالمسيحية .

٤- أن اليهـود قتلت رجـلا لم تعينه بإقـرار الإنجيل - ولم تعـرفه إلا بشـهادة يهـوذا، الأسخـريوطى ، أنه ذلك المطلوب ، وأما الإنجـيل فلا دليـل فيـه صادق بتحـقيق ذلك ، ولا خبر قـاطع للحجة ، كيف لا ، ونصـوص الإنجيل ، والكتب النصرانية، مـتضافرة دالة على عدم صـلب عيسى - عليه السلام - ووقـوع الشبه على غيره ، وذلك من وجوه منها :

٥- جاء فى الإنجـيل أن المطلوب قد اسـتسـقى اليهـود ، فأعطوه خـلا ممزوجا بمرارة ،فذاقـه ولم يشربه ، فنادى : إلهى إلهى ، لم خـذلتنى ؟ فى الوقت الذى صرحت فـيه الأناجيل بأن عيـسى عليه السلام ، كـان يطوى أربعين يوما وليلة ، ويقول للتلاميـذ ، إن لى طعاما لستم تعرفونه ، ومن يصـبر على العطش والجوع أربعين يوما وليلة ، كـيف يظهر الحاجـة والمذلة والمهانة لأعـدائه بسبب عطش يوم واحـد !! هذا لا يفعـله أدنى الناس ، فكيف بخـواص الأنبيـاء ؟أو كـيف بالرب تعالى، على ما تدعيه النصارى ؟ فيكون حينئذ المدعى للعطش غيره - يقينا - وهو الذى شبه لهم .

٦- قوله : إلهى إلـهى لم خذلتنى ؟ هو كـلام يقتضى عـدم الرضا بالقـضاء ، وعدم التـسليم لأمـر الله تعالى ، وعـيسى عليـه السلام منزه عن ذلك ، فـيكون

المصلوب غيره ، لا سيما والنصارى يقولون : إن المسيح عليه السلام نزل ليؤثر العالم على نفسه ، ويخلصه من الشيطان ورجسه فكى يتفق هذا مع ذلك ؟ وهو على خلافه تماما .

٧- جاء فى التوراة أن ابراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون عليهم السلام ، لما حضرهم الموت ، كانوا مستبشرين بلقاء ربهم ، فلم يجزعوا من الموت، ولم يهابوا مذاقه ولم يعيبوه مع أنهم عبيد الله ، والمسيح بزعمكم ولد،ورب ، فكان ينبغي أن يكون أثبت منهم ولما لم يكن ذلك دل على أن المصلوب غيره .

٨- نطق الإنجيل بأن عيسى عليه السلام نشأ بين ظهور اليهود فى مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم يعظمهم ويعلمهم ويناظرهم ،ويعجبون من براعته وكثرة تحصيله ،حتى كانوا هم يقولون : أليس هذا ابن يوسف ؟ أليست أمه مريم ؟ أليس أخواه عندنا ؟ فمن أين له هذه الحكمة ؟ وإذا كان كذلك غاية الشهرة والمعرفة عندهم ، فلم نص الإنجيل على أنهم وقتما أرادوا القبض عليه لم يحققوه، حتى دفعوا لأحد تلاميذه ، وهو يهوذا ثلاثين درهما ليدلهم عليه ؟ فلما قبله لهم ، وهى العلامة المتعارف عليها أمسكوه وربطوه وتركه التلاميذ وهربوا،وتبعه « بطرس » من بعيد ، فقال له رئيس الكهنة: أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله ؟ فقال له المسيح : أنت قلت ذلك !!

ترى هل يمكن أن تلتبس شخصية المسيح على رئيس الكهنة والجمع الكبير حتى يستحلفه باسم الله الحى . . هل أنت المسيح ؟ فيقول له : أنت تقول ؟!!

٩- وهذا يؤكد لنا أن المصلوب ليس عيسى ،وإنما غيره يقينا ، ألقى عليه شبه عيسى ،حتى صار الناس فى شك منه ، فالشبه شبه عيسى ، ولكن الدلائل والأحوال تؤكد أنه غير عيسى عليه السلام لذلك سأل كبير الكهنة ذلك المصلوب هل أنت المسيح ؟

وليس هذا فقط ، بل شك فيه كل تلامذته ،وأنكره أحب التلاميذ إليه .

وفى الإنجيل أيضا : أن يسوع عليه السلام كان مع تلاميذه بالبستان ، فجاء اليهود فى طلبه فخرج إليهم وقال لهم : من تريدون ؟ قالوا : يسوع ، وقد خفى شخصه عنهم ، ففعل ذلك مرتين « يوحنا »

وفى إنجيل متى « بينما التلاميذ يأكلون طعاما مع يسوع قال : كلكم تشكون فى هذه الليلة ، فإنه مكتوب أنى أضرب الراعى فتفترق الغنم ، فقال « بطرس » فلو شك جميعهم ما أشك أنا ، فقال يسوع : الحق أقول لك : إنك فى هذه الليلة تنكرنى قبل أن يصيح الديك وقد كان فقد شهد عليهم بالشك ، بل على خيارهم « بطرس » فإنه خليفته عليهم ،فقد انخرم حينئذ الوثوق بأقوال النصارى فى صلب المسيح ، وجزم بإلقاء الشبه على عيسى عليه السلام وما الذى يمنع الشبه أو يحيله ،والله عز وجل قادر على أن يجعل شبه عيسى عليه السلام ، على ذلك الخائن ،أو على شيطان ،أو على أى شيء ، والله سبحانه وتعالى الذى جعل من عصا موسى حية ، قادر على أن يجعل إنسانا شبه إنسان ،فإذا كان الله عز وجل خلق جميع ما للحية فى عصاة موسى عليه السلام وهو أعظم من الشبه ، فإن جعل حيوان يشبه حيوانا أقرب من جعل نبات يشبه حيوانا ، وقلب العصا حية تسعى مما أجمع عليه اليهود والنصارى ، كما أجمعوا على جعل النار لإبراهيم عليه السلام بردا وسلاما ، وعلى قلب الماء خمرا ، فإذا جوزوا مثل هذا ، جوزوا أيضا إلقاء الشبه من غير استحالة .

١٠ - ولم يقع الشك من رئيس الكهنة فقط ، ولا من تلاميذ المسيح حتى «بطرس» فحسب ،بل من جميع من كان فى المشهد ، وحتى الذين اقتادوا عيسى لصلبه ، سألوه قائلين :« إن كنت أنت المسيح فقل لنا ؟ فقال لهم : إن قلت لكم لا تصدقونى ، وإن سألت لا تجيبوننى ولا تطلقوننى »[1]

(١) إنجيل لوقا اصحاح ٢٢ (٦٧)

فما معنى هذا القول ؟

والمعنى واضح : إن قلت لكم لست أنا المسيح لا تصدقوننى ، وإن سألتكم بعدها أن تلطقوا سراحى لا تجيبون طلبى ، ويستحيل أن يكون المعنى : إن قلت لكم أنا المسيح لا تصدقونى لأنهم إذا كانوا لا يصدقونه أنه المسيح فلمَ جاءوا به ؟ فلم يبق إلا المعنى الوحيد المعقول ، وهو إن قلت لكم لست أنا المسيح لا تصدقونى ولا تجيبوننى إلى ما أريد ولا تطلقوننى .

١١- بل فى الإنجيل ما يصرح بنجاة عيسى عليه السلام حتما ، ويؤكد إلقاء الشبه على غيره ، وذلك فى قوله « أقول لكم إنه فى تلك الليلة يكون اثنان على فراش واحد ، فيؤخذ الواحد ويترك الآخر »[١] أى التلميذ الخائن يؤخذ ،ويترك المسيح ، بدليل ما جاء فى سفر الأمثال « الشرير فدية للصديق »[٢] يعنى الخائن يصلب فدية للصديق وهو المسيح ، ويقول سفر المزامير « كثيرة هى بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الله ، يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر ،الشر يميت الشرير ، ومبغضو الصديق يعاقبون ،الرب نادى نفس عبده وكل من اتكل عليه لا يعاقب[٣]

وفى إنجيل يوحنا « فرفعوا حجارة ليرجموه ، أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازا فى وسطهم »[٤] فطلبوا أيضا أن يمسكوه فخرج من بين أيديهم [٥].

١٢ - وفى إنجيل متى « مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك، لكى لا تصطدم بحجر رجلك »[٦] فكيف تكون الوصية للملائكة حتى

---

(١) انجيل لوقا ، اصحاح ١٧ (٣٤ - ٣٦)

(٢) سفر الأمثال ، اصحاح ٢١ (١٨)

(٣) مزمور ، ٣٤ ، عدد (١٨)

(٤) انجيل يوحنا ، إصحاح ٨ (٥٩)

(٥) إنجيل يوحنا إصحاح ١٠ (٣٦)

(٦) انجيل متى ، إصحاح ٤ (٦) ولوقا ، ٤ (١)

لا تصدم رجل المسيح بحجر ، ثم يترك للصلب والتعذيب والإهانة ؟!!

١٣ – وفى إنجيل يوحنا « أرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليمسكوه ، فقال لهم يسوع ، أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضى إلى الذى أرسلنى ، ستطلبوننى ولا تجدوننى ، حيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا ، فقال اليهود فيما بينهم : إلى أين هذا مزمع أن يذهب حتى لا نجده نحن ، لعله مزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويعلم اليونانيين .

ما هذا القول الذى قال : ستطلبوننى ولا تجدوننى وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا ؟!! [١] ألا يعنى هذا أن ملائكة الرب حملته بعيدا إلى السماء فى يوم الضيق ، ولم يتمكن منه الكهنة والفريسيون بل إن الكهنة والفريسيين لم يروه أبدا – ولن يروه – بعد أن تركهم فى الهيكل ، كما قال لهم فى آخر لقاء عاصف معهم، « إننى أقول لكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب،ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل » [٢]

١٤– والمسيح نفسه ينفى عن نفسه فكرة القتل والصلب ، ينفيها بكل قوة فى مواضع كثيرة ، ويتوعد بالقتل والصلب بدلا منه يهوذا الخائن « سقط فى الهوة من صنع » [٣] وذلك لأن « الرب قضاء أمضى : الشرير يعلق بعمل يديه [٤] المعلق على الخشبة ملعون من الله [٥].

بأى جنون وبأى حماقة لعنوا الناموس والمسيح « المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة » [٦] !!

---

(١) إنجيل يوحنا ، ٧ (٣٥ - ٣٦)
(٢) انجيل متى ، ٢٣ (٣٩) ٢٤ (١) .
(٣) انجيل يوحنا
(٤) انجيل يوحنا
(٥) سفر التثنية ، اصحاح ٢١ (٢٣)
(٦) رسالة بولس إلى غلاطية ٣ ١٣

ألم تهتز عقولكم وقلوبكم ولو مرة واحدة ، فتكف عن لعنة الناموس والمسيح، ألم تسمعوا يسوع يقول لكم « تعليمى ليس لى بل للذى أرسلنى ، أليس موسى قد أعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل بالناموس ، لماذا تطلبون أن تقتلونى [1] أنا أعلم أنكم ذرية إبراهيم ولكنكم تطلبون أن تقتلونى ،لأن كلامى لا موضع له فيكم ، لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم ، ولكنكم تطلبون أن تقتلونى ، وأنا إنسان قد حدثكم بالحق الذى سمعه من الله ، هذا لم يعمله إبراهيم [2].

ألم تهتز عقولكم وقلوبكم ولو مرة واحدة ، أم كنتم من الذين قال عنهم المسيح « تمت فيهم نبوءة أشعياء القائلة : تسمعون سمعا ولا تفهمون ،ومبصرون تبصرون ولا تنظرون ،لأن قلب هذا الشعب غلظ ، وآذانهم قد ثقل سماعها ، وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم، ويسمعوا بآذانهم ، ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم » [3]

فارجعوا إلى الحق الذى جاء به المسيح ، فهو طريق الخلاص الحقيقى ، لا ما أنتم عليه ، وتذكروا قوله « اذهبوا وتعلموا ما هو ، إنى أريد رحمة لا ذبيحة»[4].

ومن هنا نعلم أن هذه الأناجيل ليست قاطعة فى صلبه ، بل فيها اختلافات وشكوك كثيرة ، كماقدمت لك ،بل هى احتمالات ، واليهود ليسوا قاطعين بذلك أيضا ، فأى ضرورة تدعوكم إلى إثبات أنواع الإهانة والعذاب ، فى حق رب الأرباب – على زعمكم – ؟ إن هذا لمن العجب العجاب [5] هذا فضلا عن تبرئة اليهود – حديثا – من دم المسيح – عليه السلام !! وصدق ربنا عز وجل ، ﴿وما

---

(١) إنجيل يوحنا إصحاح ٧ (١٩)

(٢) - انجيل يوحنا اصحاح ٨ (٣٧ - ٤٠)

(٣) - انجيل متى إصحاح ١٣ (١٤ ، ١٥)

(٤) انجيل متى ، إصحاح ٩ (١٣)

(٥) بين الإسلام والمسيحية ص ١٩٢ - ٢٠٥ بتصرف و محمد الرسول فى التوراة والإنجيل ص ٢٨ - ٣٢ بتصرف . .

قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ﴾ (١)

جـ - إبطال دعوى صلب المسيح بدليل تاريخى :

يحدثنا التاريخ أنه قد كان فى سلف الدهر رجل من أمرة كذا - كم حكى الإنجيل - وبأضغاث أحلام من امرأة اسمها « مريم المجدلية » ادعت أنها رأت فى منامها هذيانات ، فقبلتم أقوالها ،وشرعتم بها من غير يقين ، ولا تواتر متصل، وسمع ذلك « القيصر بن هيلانة » حين كثر عدوه ، وكاد ملكه يذهب ، لاختلاف رعاياه وأنصاره من الروم عليه ، فأراد أن يحملهم على شريعة ، ينظم بها سلوكهم ، ويؤلف متفرقهم ، فاستشار من لديه من أهل النظر ، فوقع اختيارهم على أن يتعبد القوم بطلب دم ، ليكون ذلك أقوى لارتباطهم معه ، وآكد بجدهم فى نصرته ، فوجد اليهود يزعمون أن فى بعض تواريخهم خبرا عن رجل كان منهم ، هم بنسخ حكم التوراة والانفراد بالتأويل فيها ، فطلبوه وهو فى نفر يسير وظفروا بواحد اعتقدوا أنه المطلوب ، فصلبوه ، وما عندهم تحقيق بكونه ذلك المطلوب بعنيه ،إلا فقدهم إياه من حينئذ ، فعمد « قسطنطين » إلى من وجد من أمة عيسى ، فوجدهم قد اختلفت آراؤهم ، بعد المسيح بأربعين سنة ، والتفت إليهم غير محسوسين فى الأرض ، لا يظفر بواحد منهم إلا قُتِلَ ومُثِلَ به، فاستخرج «قسطنطين » ما بقى من رسم الشريعة بأيديهم ، وجمع عليه وزراءه، فأثبت ما شاء ، وما رآه موافقا لاختياره ، كالقول بالصلب ليتعبد قومه بطلب دم، ثم أكد لهم ذلك بمنام اختلقه لهم ، وجمع أنصاره ورعاياه ،فلما اجتمعوا ذكر لهم أنه كان يرى فى منامه آتيا أتاه ، فيقول له : بهذا الرسم تغلب ، ويعرض عليه هيئة الصليب ، فأعظمت ذلك العامة ، ومن يومها عظم الصليب ، ثم بعث إلي امرأة كاهنة فى ذلك الزمان، وكانت ذات جأش وقوة ، فشهدت له أنها رأت مثل

(١) سورة النساء : ١٥٧

ما رأى ، فقوى تصديق العامة بذلك ، وفى هذا كله لا يعلمون لذلك الرسم تأويلا ، ولم يكن « قسطنطين » قد كشف لهم شيئا من أمره ، وخرج بهم إلى عدوه ، ووعظهم ، وهول عليهم أمر الرسم ، فحصل له كل ما أراد من جد القوم ، واجتهادهم معه ، فلما عادوا إلى أوطانهم سألوه عن تأويل ذلك الرسم، وألحوا عليه فيه ، فقال : أوحى إلى فى نومى أنه كان الله تعالى هبط من السماء إلي الأرض فصلبته اليهود .

فهالهم ذلك كثيرا مع ما تقدم عندهم من تصديقه وعظم عليهم الخطب فيه ، فانقادوا إلى « قسطنطين » انقيادا حسنا ، وصح له منهم ما أراد ، وشرع لهم هذه الشرائع التى بأيديهم إلى اليوم أو أكثرها .

وقد ظهر لجماعة من أهل العلم غير أولى الشرائع من ذلك الزمان أن هذا الشخص الذى تعظمه النصارى وتصفه بالألوهية ، لم يكن ، ولا وجد فى العالم، ولكن « قسطنطين » ابتدع ذلك كله ، واتفق مع نفر من أحبار اليهود وعلمائها على أن يعطى لهم ما يطلبونه من متاع الدنيا ويشهدون له عند قومه بأن ذلك الشخص كان عند اليهود فصلبته ، وأن تضع الأحبار ذلك مسطورا عند اليهود ،ففعلت وألقت من أخباره شيئا ، وشهدت أن ذلك القول صحيح وأنه جمع بعد صلب ذلك الشخص بسنين قلائل ، فبقيت النصارى على ذلك الاحداث فى شريعتهم مع افتراءات بمنامات تدعيها النساء ، ومن لا يوثق به ، فيدون ذلك ويتشرع به زائدا على ما كان بأيديهم .

فلما بعث الله رسولا كريما ، وأنزل عليه كتابا حكيما ، وأيده بالآيات ،وأنجده بالمعجزات ، فصدع بالحق المبين ، وقطع الشك باليقين نكصوا على أعقابهم ، وارتدوا على أدبارهم ، فاعجب !! [1].

(١) بين الإسلام والمسيحية ، كتاب أبى عبيدة الخزرجى ص ٢٠٥ - ٢٠٩ بتصرف.

د – إبطال دعوى صلب المسيح بالأدلة العقلية :

لقد قالوا : إنه لما لم يمكن أن ينتقم الله من عبده العاصى «آدم» الذى كلمه واستهان بقدره لاعتلاء جلالة السيد ، وسقوط منزلة العبد ،أراد أن ينتصف من الإنسان الذى هو إله مثله ، فانتصف من خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح عليه السلام [1]

ونحن نسأل أولا عن هذه المماثلة ! كيف وجبت لعيسى بالله تعالى ؟

وقد ثبت يقينا بطلان ألوهية عيسى أو بنوته لله ، وأن ذلك هو الكفر البواح الصراح ثم إذا كان الله لم يرد الانتقام من آدم لاعتلاء قدر السيد ، وسقوط منزلة العبد ، فالأولى أن يعفو عن الذنب ويتوب على المذنب .

وإن الأبعد عنه عز وجل أن يعاقب أحدا بذنب غيره ، لأن هذا غاية الظلم ، ونهاية الجور ، لقد أبوا التوبة على آدم عليه السلام مع ثبوتها يقينا ، احتيالا للصلوبية وإثباتها ، ونسبوا إلى الله – تعالى – ما ينسب إلى شرار الآدميين من الحقد، والغائلة ، ونفوا عنه ما يليق به عز وجل من العفو الصفح .

وقالوا : إنه انتصف من الإنسان الذى هو إله مثله ، وفى الإنجيل الذى بأيديهم أن الصلب لحق جسم عيسى المتخذ من آدم ، وأن النصف اللاهوتى لم يلحقه الصلب ، ومخالفة ذلك عندهم كفر فإذا كان هذا ، فإلى الآن لم ينتقم الله ، ولا انتصف من إله مثله ، إنما انتصف وانتقم من إنسان من نسل آدم ، فكيف ينبغى لله أن يظلم إنسانا فيعاقبه بذنب جده ؟[2]

أخبرونا عن رجل أخطأ عبده فى حقه ، فبقى بعده مدة غاضبا عليه ، ساكتا على معاقبته، حتى ولد لنفسه ولدا ، فعمد إلى قتله بذنب العبد الذى كان أذنب له !!

---

(١) هذا جزء من رسالة القسيس احنا مقار العبرى ؟ إلى أبى عبيدة الخزرجى ص ٨٦ ، ٨٧ بتصرف .

(٢) بين الإسلام والمسيحية ص ٢٠٩ ، ٢١٠ بتصرف .

ألست ترى ذلك من قتله ولده أنه أراد أن يشفى نفسه على ذلك العبد ،فأصبح ذلك زائدا فى كربه وداعـيا إلى دوام حزنه ؟ وهل يحدث هذا نفـسه من عاقل أو ممن لا عقل له ؟!!

إن الذى دعـاكم إلى القول بـصلب عيـسى ، مـا أقررتم به من الفـداء ، حين قلتم: إن آدم وجمـيع ولده إلى زمان عيسى كـانوا كلهم ثاوين فى الجحيم بخطيئة أبيهم آدم حتي فـداهم عيسى بإهراق دمه عنهم على خشبة الصليب ، ثم نزل فى ذلك الوقت إلى الجحيم وأخرج منها جميـعهم إلا « يهوذا الأسخريوطى » أخبرونا كيف نفهم أن الله تعـالى أدخل « موسى بن عمران » الجحيم وخلده فـيها بعد أن كلمه، واصطفاه وفضله ، وبعثه إلى عباده نبيا وهاديا ،ولم يكفر بعد ذلك ؟!!

وكذلك ابراهيم الـذى كان قد اتخـذه خليلا واصطفاه وفـضله بهدايتـه ونبوته وأظهر على يديه توحـيده ؟ ولا جرم أنه لوكـان ذنب آدم بقى فى أعناق أولاده ، حتى أنقذوا مـنه بدم الله ، لنطقت به التوراة ، ولصرحت به الأنبـياء ، لأنه أمر شنيع ، ومـصاب للعـالم بشـيع ، ففى أى مـوضع من التوراة ذكـر ، أو فى أى صحيفة من صحف الأنبياء سطر ؟

أما أنكم أتيتم على ذلك بشواهد من التوراة ، وكتب الأنبـياء فتأويلكم فيها لا يخفى على العواجز ضعفه ، ولا يستتر على عقول صغار الولدان سخفه !!

ومن كان الممـسك للسموات والأرض ، إذ كان الـله كما تزعمـون مربوطا فى خشبة الصليب ؟ هل بقيا ساكنتين ؟ أم كان استخلف عليهما غيره وهبط هو لربط نفســه فى خشـبة الصليب ؟ وليـوجب اللعنة على نفـسه ، بما قال فـى التوراة ، ملعون ملعون من تعلق بـالصليب ! عجبا له ! إنه المنتقم والمنتـقم منه ، والحقود والمحقـود عليه ، وإنه الظالم ، يـأخذ نفـسا بذنب غيـرها ، وهو المظلوم ، لأنه صلب بذنب غيره !

وعجبا لتفاوت غائلته ، وحقده ! كيف يمتنع عن المعايب ، وليس هو عندكم غير من اتصف بهذه المعايب ،حتى سمرت يداه ورجلاه ؟ ولا قنع من آدم صاحب الذنب بالتوبة حتى غرست الخشبة فى ظهره ،تكفيرا لما ارتكبه آدم فى الجنة .

أخبرنى ؟ ما الذى أوجب لآدم عليه السلام أن يكون موصوفا لديكم بهذه الشتائم ، وهو أبو البشر ،والله قد تاب عليه واجتباه ؟!! استغفر الله من شر ما جئتم به ، وهو الغفور الرحيم ثم وصفتم فيما جئتم به من كذب ، حادثة الصليب، وأحاديثها الفاسدة ، إذ قلتم ، قام بعد ثلاثة أيام من القبر ، وتحدثتم عن مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب ، أنهما اشتريتا حنوطا وأقبلتا إلى القبر ، وقالتا : من ينزع لنا الصخرة من على فم القبر ، فزالت الصخرة من ذاتها فنظرتا إلى فتى قاعد فى الجانب الايمن من القبر ، مغطى بثوب ، وذلك فى يوم الأحد قبل طلوع الشمس !!

عجبا لتوقحكم على الله ، وتحديدكم الجانب الأيمن من القبر ، وقبل طلوع الشمس من اليوم ، لتحققوا كذبكم على رعاع الأعاجم ،فقال لهما ذلك المغطى بالثوب ، ولم يكن غير تراب المصلوب قام ، ومضى إلى الجليل ، قولا لتلاميذه ينهضون إليه ! وهكذا جملة من الهذيانات قصصتم عليها فى ذلك [1]

ولنا الحق أن نسأل : لماذا قتل الإله الأب الإله الابن ؟!

والجواب المعروف لدى المسيحين هو : الفداء لخطايا الخليقة .

بل باعتبار أن الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحد ، عند المسيحيين نقول : لماذا قتل الإله نفسه ؟ والجواب : من أجل أن تنقطع الآلام ،ويتحملها عن العالم بصلبه على خشبة الصليب !

ولكن : هل انقطعت هذه الآلام بعد الصلب أم بقيت تتجدد على اختلاف

---

(١) بين الإسلام والمسيحية ص ٢١٠ - ٢١٦ بتصرف

الزمان والمكان ؟ فبذلك لم تؤد قصة الصلب المنشود منها ، فينبغى أن تكرر !!

وهل يحمل هذا الإله مسئولية المآسى العالمية ؟!

وإذا كان الصلب لفداء الخطايا ، فهل هذا الفداء يتناول صانعى الشرور والآثام والمظالم ، أم يتجاوزهم ، أم هو لتصبر الضحايا على ما ينزل بها ؟[١]

أرأيت لو أن رجلا له سبعة أولاد ، ستة منهم مجرمون ، عاقون ، عاصون ، والسابع منهم مطيع مؤدب ،مهذب ، فأراد هذا الوالد أن يسامح أبناءه المجرمين ، وأن يغفر لهم ، فأعلن لأولاده ، إذا أردتم عفوى ومغفرتى ،فاقتلوا أخاكم المطيع أكفر خطاياكم ،فماذا تقول عن هذا الأب ؟

والإجابة التى تتفق عليها الكلمة ، إنه أب مجنون ! فما زاد هذا الأب عن رب النصارى ، الذى اطلع على عباده ، فرآهم مذنبين ،فلما آراد أن يكفر خطاياهم أنزل ابنه وأمر بصلبه ليكفر عن خطايا البشر . !!

فكيف يكون إلها من يأمر بذبح ابنه البار من أجل تكفير خطايا المذنبين ؟![٢]

كما نسأل : لو أنى لبست ثوبا أبيض ، ثم وقعت عليه نقطة حبر ، أتزول إذا غسلت ثوبك وكل الأثواب ؟ والإجابة : لا ، قلت: فلم يزول خطأ إذا اعتذر عنه آخر ، عندما ألوث نفسى بخطأ دق أو جل ، فأنا المسئول عنه ،أغسل أنا نفسى منه ،وأشعر أنا بالندم عليه ، وأقوم أنا من عثرتى إذا وقعت ، ثم أعود أنا إلى الله لأعترف له بسوء تصرفى ، وأطلب منه الصفح .

أما أن العالم يخطىء فيقتل الله ابنه كفارة للخطأ الواقع ، فهذا ما يضرب الإنسان كفا بكف لتصوره !! لماذا يقتل الله ابنه الوحيد البريء من أجل ذنوب الآخرين ؟

(١) قذائف الحق ص ٣٩ ، ٤٠ بتصرف
(٢) محاضرة صوتية للشيخ أحمد القطان ، فى مناظرة لأحد القساوسة

وإذا كان هذا الإله رب أسرة كبيرة فلم يقتل أبناءه كلهم أو جلهم من غير جريرة؟

أليس الأعقل والأعدل أن يقول هذا الإله للمذنبين : تطهروا من أخطائكم وتوبوا إليّ أقبلكم ؟ فلا يكون هناك قتل ولا صلب ، ولا لف ولا دوران !!

أليس كل إنسان مسئولا عن نفسه ﴿ أن لاتزر وازرة وزر أخري ،وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ [1] ألم يكن أوفق لعدل الله ورحمته أن يعفو عن عباده بدلا من أن يعاقب ابنه الوحيد ، بل المزعوم !! ﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾ [2]

وإذا كان هذا الصلب بسبب ذنب اقترفه آدم - عليه السلام - فهو إما أن يتوب الله عز وجل عليه - كما حدث - ويعفو عنه ، أو أن يعاقبه بذنبه ، ولا ثالث لهما ، وذلك مقتضى عدل الله ، أما أنه يصلب ابنه الوحيد بزعم العدل ، أو الرحمة ،فهذا لا يقبله من عنده مسحة عقل !! [3]

وأعجب كلما ذكرت خطيئة آدم عليه السلام لماذا يتحمل أبناء آدم وزر هذه الخطيئة ؟ وما الذى يجعلها دينا فى عنق أبناء آدم جميعا لا يكفرها إلا الصليب ، ولمن؟

يا للعجب !! لله الذى ارتكب آدم فى حقه الخطيئة ، فبدلا من أن يكفر عنها آدم بنفسه يكفر الله عنها ، ويحمل وزرها أبناء آدم !! حتى يؤمنوا بأن الله قد صلب نفسه فداء لمخلوق من مخلوقاته الذى أخطأ فى حق خالقه !! ما معنى هذا ولم كل ذلك ؟

---

(١) سورة النجم : ٣٨ ، ٣٩

(٢) سورة النساء : ١١٠

(٣) قذائف الحق ص ٤١ ، ص ٤٢ بتصرف

إن الابن ليس مسئولا عن ذنب أبيه ،وهكذا قرر الكتاب المقدس « لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيته يقتل »[١] فما ذنب عيسى يصلب بذنب أبيه آدم ؟ وهل هو ابن آدم أم ابن الله ؟! وهل هذا هوالعدل الإلهى ؟!!

فلماذا طلب المسيح نفسه النجاة ، وعاتب ربه أنه تركه للأعداء كما يقولون «كما نادى قائلا : إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟ أكان « عيسى » يجهل ذلك ؟! وهل المنادى المستغيث فى الأرض هو هو المنادى المستغاث به فى السماء ، لأن الأب والابن شيء واحد كما يزعمون !!

أجيبونا : من القاتل ومن القتيل ؟ قال المسيحيون : « أن الله الابن صلب ، لكنهم يقولون كذلك : إن الأب هو الابن ، هما الروح القدس جميعا شيء واحد، إن كان الأمر كذلك فالقاتل هو القتيل !! وذاك سر ما قاله أحد الفرنجة المفكرين : خلاصة المسيحية أن الله قتل الله لإرضاء الله !![٢]

تعالى الله عن كل ذلك علوا كبيرا :فهو سبحانه - أكبر وأعلى ، وأجل وأسمى من ذلك ، ونحن لا نريد إجابات على هذه الأسئلة ، فعقيدتنا نحن المسلمين أن الله العظيم فوق هذه التصورات الهازلة إن هذا الكلام الذى قرأناه من أسوأ وأغرب ما وصف به الله ،وما كنا نحن نتصور أن يصل الإسفاف فى الحديث عن الله جل جلاله إلى هذا الدرك المعيب ، ولكن تعصب المسيحية جعلهم يسطرون هذا اللغو ،وينشرونه بين الطلاب المسلمين ،لأنه يعتقد أن القرآن يقبل التعاليم المسيحية ، وأن التوحيد ينسجم مع التثليث ،وأثبتوا هذا الهراء فى منشورات ومجلات، يريدون به أن يختل المسلمون عن توحيدهم وسلامة معتقدهم وكم نود أن نقول لهؤلاء وأمثالهم من الحاقدين على الإسلام : ﴿ **يا أهل الكتاب**

---

(١) سفر التثنية ، اصحاح ٢٤
(٢) قذائف الحق ص ٤١ بتصرف

لاتغلو في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [١]

وإن الانسياق مع التعصب ضد الإسلام يجب أن يختفى ، وأن كل محاولة لإهانة الإسلام وإخراج أهله لا يمكن أن تكون موضع احترام ،توزع على المسلمين هذه الخرافات ، بين الحين والآخر ، على أنها الحقائق المخفية ، وأننا بحاجة إليها أحرج من الهواء نتنفسه !!

إننا معشر المسلمين نحب عيسى ونوقره ، ونعد أنفسنا من أتباعه ، ونرفض بغضب كل ريبة توجه إليه أو إلى السيدة البتول أمه ،بل نحن أولى بعيسى من أولئك الذين ينتمون إليه ويغالون فيه ،وليس خلافنا مع النصارى أنه قتل أو لم يقتل ، الخلاف أعمق من ذلك . . الخلاف أهو « إنسان » كما نقول « أو « إله » كما يزعمون ، أكل امرىء بما كسب رهين ؟ أم أن هناك قربانا قدمه الله من نفسه لمحو خطايا البشر ؟ [٢]

٣ – المسيح يُدِين ويُحَاسِبُ

لم يمكث المسيح بعد قيامته هذه التى يعتقدها المسيحيون إلا أربعين يوما ، ثم ارتفع بعدها إلى السماء ،وجلس بجوار الرب ، فى زعمهم ، وسيأتى ليدين الناس يوم القيامة ، يحاسب كل إنسان على ما فعل ، وقال ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وله بهذا الملك الأبدى فلا فناء لملكه ، فهم يقولون : إن الله قد أقام يوما سيدين فيه سكان هذه الأرض يسوع المسيح لأن الأب فى زعمهم لا يدين أحدا ، بل قد أعطى ذلك للابن – فأعطاه سلطان أن يدين الإنسان ، لأنه ابن الإنسان أيضا ، ولابد أن يظهر الناس جميعا أمام كرسى المسيح ، لينال كل واحد جزاء ما كان قد صنع ، خيرا أو شرا ، هذه عقيدتهم .

(١) سورة المائدة ٧٧

(٢) انظر بتوسع: قذائف الحق ص ٣٨ : ٤٥

فقد جاء فى إنجيل يوحنا : « الحق أقول لكم إنه تأتى ساعة وهى الآن ، حين يسمع الأموات صوت ابـن الله ، والسامعون يحيون ، لأنه كـما أن الآب له حياة فى ذاته ، كذلك أعطى الابن أن تكون له حياة فى ذاته ، وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا ،لأنه ابن الإنسان ،لا تعجبوا من هذا فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصـالحات إلى قيامة الحياة ،والذين عملوا السيئات إلى قيـامة الدينونة ، أنا لا أقدر أن أفـعل من نفسى شيئا ، كمـا أسمع أدين، ودينونتى عـادلـة ، لأنى لا أطلب مـشيـئـتى ، بل مـشيـئـة الآب الذى أرسلنى[1].

وجاء فى رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثـوس : « لابد أننا جميعا نظهر أمام كرسى المسيح ،لينال كل واحد منا ما كان بالجسد ، بحسب ما صنع ،خيرا كان أم شرا [2] .

فهذه النصوص جـميعها تبين بجلاء أن الذى سيـحاسب الناس ويجازيهم ، إنما هو المسيح فى نظرهم[3] فتعجب ، وكفى بهذا تناقضا ،وكفى بالباطل عرضه،وقد عرضنا لعقيدة النصارى فى عناصرها الثلاثة ، بحمد الله .

« إن العقل لا يصدق تجسد الإله ، وإمكـان أن يتحول رب العالمين إلى شخص يأكل ويشرب .. إلـخ . كما أن العـقل لا يصدق أيضـا أن البشر جـميـعا أرباب خطايا وأصـحاب مـفـاسد ،وأنهم مـحـتاجـون لمن ينتـحر من أجلـهم كى تغفـر خطاياهم،وكذلك رفض الإسلام كلتا القضيتين .

ولكن يصـر النصـارى - بتـعـصب أعـمى - على أن هذا هو الحق ومـا دونه ضلال[4] وما أجمل ما قال الشاعر الحكيم : -

---

(١) إنجيل يوحنا ، اصحاح ٥

(٢) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ، إصحاح ٥

(٣) محاضرات فى النصرانية ص ١٢٨ ، ١٢٩ بتصرف

(٤) قذائف الحق للشيخ محمد الغزالى ص / ٣

أعباد المسيح لنا سؤال ... نريد جوابه ممن وعاه !

إذا مات الإله بصنع قوم ... أماتوه ، فما هذا الإله ؟

وهل أرضاه ما نالوه منه ؟ ... فبشراهم إذا نالوا رضاه !

وإن سخط الذى فعلوه فيه ... فقوتهم إذاً أوهت قواه !

وهل بقى الوجود بلا إله ... سميع يستجيب لمن دعاه ؟

وهل خلت الطباق السبع لما ... ثوي تحت التراب ، وقد علاه ؟

وهل خلت العوالم من إله ... يدبرها وقد سمرت يداه ؟

وكيف تخلت الأملاك عنه ... بنصرهم ، وقد سمعوا بكاه ؟

وكيف أطاقت الخشبات حمل ... الإله الحق شد على قفاه ؟

وكيف دنا الحديد إليه حتى ... يخالطه ، ويلحقه أذاه .. ؟

وكيف تمكنت أيدى عداه ... وطالت حيث قد صفعوا قفاه ؟

وهل عاد المسيح إلى حياة ... أم المحيي له رب سواه ؟

ويا عجبا لقبر ضم ربا ... وأعجب منه بطن قد حواه !

أقام هناك تسعا من شهور ... لدى الظلمات من حيض غذاه !

وشق الفرج مولودا صغيرا ... ضعيفا ، فاتحا للثدى فاه !

ويأكل ثم يشرب ، ثم يأتي ... بلازم ذاك ، هل هذا إله ؟

تعالى الله عن إفك النصاري ... سيسأل كلهم عما افتراه !

أعباد الصليب لأى معني ... يعظم أو يقبح من رماه ؟

وهل تقضى العقول بغير كسر ... وإحراق له ، ولمن بغاه ؟

إذا ركب الإله عليه كرها ... وقد شدت لتسمير يداه !

فذاك المركب الملعون حقا ... فدسه ، لا تبسه إذ تراه

يهان عليه رب الخلق طرا ... وتعبده !! فإنك من عداه !

فإن عظمته من أجل أن قد ... حوى رب العباد ، وقد علاه !

وقد فقد الصليب فإن رأينا له شكلا تذكرنا سناه !
فهلا للقبور سجدت طرا لضم القبر ربك في حشاه ؟
فيا عبد المسيح أفق فهذا بدايته ، وهذا منتهاه .. (١)

ولله در القائل أيضا :-

عجبي للمسيح بين النصارى وإلى أي والد نسبوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا إنهم بعد قتله صلبوه !
وإذا كان ما يقولون حقا وصحيحا ،فأين كان أبوه ؟
حين خلى ابنه رهين الأعادي أتراهم أرضوه أم أغضبوه؟
فلئن كان راضيا بأذاهم فاحمدوهم لأنهم عذبوه !
ولئن كان ساخطا فاتركوه واعبدوهم لأنهم غلبوه (٢)

٢ الأنبياء

وكذلك ما ذكر عن الأنبياء – في التوراة ـ من فواحش واتهامات يقال هنا كذلك في تعصب النصارى ، الذين لم يكذبوه ولم يرفضوه ، فهي إذن عقيدتهم في الأنبياء،يضاف إليها مازعموه من تقديس الأنبياء حتى وصولهم إلى درجة البنوة لله ، أو الألوهية ، على الرغم مما في هذا من تناقض ! وكذلك الزعم بأن الحواريين رسل ،ولهم العصمة ، وقد زعموا لكثيرين أنهم رسل مع أنه لا يملك أحدهم معجزة تؤيده ،وعلى رأس هؤلاء جميعا كان « بولس » أو « شاول » كما هو اسمه أيام يهوديته ، وقبل أن يصير الرجل الأول في المسيحية ، تقدم تعاليمه على تعاليم المسيح ، وينفذ كلامه على كلام الحواريين ،ويصير له في المسيحية ما ليس لغيره ، إذ صارت كل المسيحية إليه ، وهو الذي كان قبل هذا العدو المتربص

---

(١) إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان لابن القيم الجوزية جـ/ ٢ص / ٢٩٠ - ٢٩٢ .
(٢) بين الإسلام والمسيحية « كتاب أبي عبيدة الخزرجي (تحقيق وتعليق د/ شامة صـ/ ١٤٦ .

بها وبأتباعها ، الذى يضمر لهم كل سوء ، ويستخدم معهم كل أساليب التعذيب ، وفجـأة يصبح رسول المسيـحية الأوحد ، لا مـجرد واحد من أتباعـها ، أو أن له منزلة عند الحواريين . . . لا . . . هو فوق ذلك بكثير !!

« لقد استطاع بولس أن يفرض ما ارتآه علي المسيحين فيعتنقوه دينا ويتخذوا قوله حجـه زاعمين أنه رسالة أرسل بها ، حتي صـارت المسيحية الحـاضرة منسوبة إليه ، فهو المؤسس الحقيقى لها . . [1]

هذا فى الوقت الذى أنكروا فـيه نبوة النـبى محمـد ﷺ ورسالتـه، شأنهم فى ذلك كاليهود أيضا ، على الرغم من ثبـوت نبوته فى الإنجيل ، ، كما فى التوراة ، وإن دل هذا على شيء ، فإنما يدل على تعصب النصارى كذلك ضد الحق ، الذى وجدوه مكتوبا عندهم ، وإليك إشارات منه :-

البشارة بالنبى محمد ﷺ فى الأناجيل

لقد ورد ذكـر النبى محـمد ﷺ فى الإنجـيل ، كمـا ورد فى التوراة . [2] وقد صرح القرآن العظيم بهـذا فى قوله تعالى : ﴿ **الذين يتبعون الرسـول النبي الأمي الذي يجـدونه مكتوبا عندهم في التـوراة والإنجيل يأمـرهم بالمعروف وينهـاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليـهم الخبائث ويضع عنهم إصـرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فـالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعـوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحـون .قل يا أيها الناس إني رسول الله إليـكم جميـعا الذي له ملك السمـوات والأرض ، لا إله إلا هو ، يحيي ويميت فآمنوا بالـله ورسوله النبي الأمي الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾ . . [3]

---

(١) محاضرات فى النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة صـ/٨٦ بتصرف ط دار الفكر العربي.
(٢) قد سبق ذكره فى الباب الأول
(٣) سورة الأعراف (١٥٧ ، ١٥٨)

فإذا كانت الآية الأولى تحمل فى طياتها البشارة بالنبى محمد ﷺ مع ذكر بعض صفاته وحال من آمن به ، . . فإن الآية الثانية تبين أن رسالته ﷺ عالمية حتى تقطع الحجة على من قال: بُشرَ به عندنا ، ولكن لا يجب علينا الإيمان به ، فكانت أبلغ رد على من قال بخصوصية الدعوة الإسلامية ، وقد بين سبحانه وتعالى أن البشارة كانت صريحة فى قوله تعالى ﴿ **وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين** ﴾ [(١)] بل ورد ذكر أصحاب النبى - ﷺ كذلك فى التوراة والإنجيل - كما قال تعالى ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله و رضوانا سيماهم في وجوهم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** ﴾[(٢)]

وقوله تعالى ﴿ **ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب** ﴾ [(٣)] وفيها استشهاد على صحة نبوة النبى محمد ﷺ بشهادة علماء أهل الكتاب ،وقد شهد له عدولهم ، فلا يقدح جحد الكفرة الكاذبين المعاندين بعد ذلك، ومثاله قوله تعالى : ﴿ **قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ..** ﴾ [(٤)]

وقوله تعالى ﴿ **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل**

---

(١) سورة الصف (٦)
(٢) سورة الفتح (٢٩)
(٣) سورة الرعد (٤٣)
(٤) سورة الأحقاف (١٠)

إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب﴾ [١] وقال تعالى **﴿ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾** [٢] و قال تعالى **﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يتلي عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴾**[٣]

وإذا شهد واحد من هؤلاء لم يوزن به ملء الأرض من الكفرة ولا تعارض شهادته بجحود ملء الأرض من الكفار ، كيف والشاهد له من علماء أهل الكتاب أضعاف أضعاف المكذبين له منهم ؟

وإن دخل فيهم من علم ولم يعمل كعلماء السوء، لم يكن إنكارهم لنبوته قدحا فى شهادة العلماء العاملين بعلمهم [٤]

روى الإمام أحمد أن النجاشى ملك الحبشة الذى كان نصرانيا وأسلم لما سمع بظهور رسول الله ﷺ وسمع آيات من القرآن ، قال « أشهد أنه رسول الله ، فإنه الذى نجد فى الإنجيل ، وأنه الرسول الذى بشر به المسيح. [٥]

وقال ابن اسحق « وقدم على رسول الله » ﷺ وهو بمكة عشرون رجلا أو قريبا من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه فى المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه ،وقبالتهم رجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فلما

---

(١) سورة آل عمران (١٩٩)

(٢) سورة المائدة (٨٢ ، ٨٣)

(٣) سورة القصص (٥٢، ٥٤)

(٤) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى صـ / ١٠٦ ، ١٠٧ بتصرف .

(٥) رواه الإمام أحمد جـ١ صـ٤٦١ ، وأبو داود - بنحوه ،كتاب الجنائز ، باب فى الصلاة على المسلم يموت فى بلاد الشرك وسكت

فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ، ﷺ إلى الله وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره ، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام فى نفر من قريش ، فقالوا لهم خيبكم الله من ركب؟ بعثكم من وراءكم من أهل دينكم وصدقتموه بما قال ؟ ما نعلم ركبا أحمق منكم ؟ أو كما قالوا .

فقالوا لهم سلام عليكم ، لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل من أنفسنا خيرا ، ويقال : إن النفر من النصارى من أهل نجران ، ويقال فيهم نزلت ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يتلي عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون. وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين** ﴾ [1] وقال الزهرى مازلت أسمع من علمائنا إنهن نزلن فى النجاشى وأصحابه .. [2] ومما يدل علي ذكره ﷺ فى الإنجيل قصة إسلام سلمان الفارسى وعدى بن حاتم ، وعزم «هرقل» أحد أكابر علماء النصرانية وملكهم - على الإسلام، ولكن أبى عليه عباد الصليب .. إلخ.

ذكر النبى محمد ﷺ فى الإنجيل

وعلى الرغم من اعتقادنا بتحريف الأناجيل وتعددها وتناقض ما جاء فيها ، فإن ذلك لا ينفى أن يكون به بقية باقية من الأصل ، ومسحة من الحق ، ومما تبقى من حقه ما يشير إلى البشارة بالنبى ﷺ ولكن النصارى لا يؤمنون بهذه النصوص

(١) سورة القصص (٥٢-٥٥) عن جـ٣ - صـ ٢١٢

(٢) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى صـ٦٥ ، ٦٦

وإن آمنوا بها فهم يحرفون معناها وذلك مما يدل علي تعصبهم ضد الحق

ومن هذه النصوص التى تشير إلى النبى محمد ﷺ وختمه النبوات ، ومكانته بين الأنبياء ، ما جاء فى إنجيل متى « وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية ،قائلا توبوا ،لأنه قد اقترب ملكوت السموات » [١]

وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ، ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله » [٢] « ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول « توبوا ، لأنه قد اقترب ملكوت السموات » [٣] ، « ويوصى بهذا تلامذته وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات.[٤] وكذلك قد اقترب منكم ملكوت الله »[٥] ، فما هو ملكوت السموات الذى اقترب والذى بشر به يحيى وعيسى عليهما السلام ،إنه كما جاء فى الإنجيل كذلك - « قال لهم يسوع أما قرأتم قط فى الكتب،الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية ،من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا ، لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ،ومن سقط هو عليه يسحقه . [٦]

« والملكوت الذى نزع من بنى إسرائيل وأعطى لأمة العرب « بني إسماعيل » إنما هو النبوة ، وكذلك مما يشير إلى انتظار ختم النبوة ما ورد فى الإنجيل كذلك «أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح ،أرسل اثنين من تلاميذه ، وقال له أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ، [٧] وقال : ولكن لماذا خرجتم ، لتنتظروا

---

(١) إنجيل متى ، إصحاح ٣(١ ,٢)\
(٢) إنجيل مرقس ، إصحاح ١(١٤، ١٥)
(٣) إنجيل متى ، إصحاح ٤(١٧)
(٤) إنجيل متى ، إصحاح ١٠(٧)
(٥) إنجيل لوقا ، إصحاح ١٠(٩)
(٦) إنجيل متى ، إصحاح ٢١ (٤٢-٤٤)
(٧) إنجيل متى ، إصحاح ١١(٢ ,٣)

أنبياء،نعم أقول لكم وأفضل من نبى ، فإن هذا هو الذى كتب عنه ، ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهىء طريقك قدامك ، لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا ،وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتى، من له أذنان للسمع فليسمع . . [١] وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ،فاعترف ولم ينكر وأقر أنى لست أنا المسيح ،فسألوه إذا ماذا، إيليا أنت ؟ فقال لست أنا ، النبى أنت ، فأجاب لا ، فسألوه وقالوا له فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبى » . . [٢] وإذا كان عيسى هو المسيح ، وإيليا هو يحيي ،فمن النبى إذن ، إنه النبى محمد ﷺ المعرف بالألف واللام ، و المعهود لهم ، المعروف بصفاته فى كتابهم ، وتذكر« آل » ويراد بها الكمال ، ومن البشارات أيضا ، ما جاء فى إنجيل يوحنا : إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد ، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ، لأنه لا يراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم ، لا أترككم يتامى ،إني آتى إليكم». . [٣] « وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شيء ،ويذكركم بكل ما قلته لكم » . [٤] وكذلك «لا أتكلم أيضا معكم كثيرا ،لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شيء ، ولكن ليفهم العالم أنى أحب الآب ،وكما أوصانى الآب هكذا أفعل» [٥].

ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى وتشهدون أنتم أيضا ، لأنكم معى من الابتداء[٦].

(١) إنجيل متى ، إصحاح ١١ (٩-١٥) بتصرف
(٢) إنجيل يوحنا ، إصحاح ١ (١٩ - ٢٦) بتصرف
(٣) إنجيل يوحنا ، إصحاح ١٤ (١٥ - ١٨)
(٤) إنجيل يوحنا ، إصحاح ١٤ (٢٦)
(٥) إنجيل يوحنا ، إصحاح ١٤(٣٠،٣١)
(٦) إنجيل يوحنا ، إصحاح ١٥(٢٦،٢٧)

« لكنى أقـول لكم الحق إنه خير لكـم أن انطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ، ولكنى إن ذهبت أرسله إليكم ، ومتى جـاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة ، . . أما على خطيـة فلأنهم لا يؤمنون بى ، وأما على بر فلأنى ذاهب إلى أبى ولا تروننى أيضا ،وأما على دينونه فلأن رئيس هذا العالم قد دين . . إن لى أمورا كثيرة أيضا لأقـول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن - وأمـا متى جـاء ذاك روح الحق فـهو يرشـدكم إلى جـميـع الحق لأنه لايتكلم من نفسه، بل كل مـا يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتيـه وذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم . . [(١)]

وعن هذه النصوص نقول : قد حذف منها كلمـة :« فارقليط » والتى ترجمتها محمد أو أحـمد ،أى الاسم العلم للنبى ﷺ ومع بقائها على ما هى علـيه ،فإنها تشهد للنبى ﷺ بالـرسالة فى معانى واضحـة فيها . . فقولـه « ليمكث معكم إلى الأبد » معناه بقـاء دينه وكتابه وسـنته إلى الأبد ، لأنه خاتم الأنبـياء ، ولأن دينه محفوظ بحفظ الله له .

وفى قوله « إنه خير لكم أن أنـطلق ، لأنى إن لم أنطلق لم يأتكم المعزى معناه لو لم يذهب عيسى عليه السلام - برفع الله تعالى له، لما بعث محمد ﷺ إذ بعثته كانت على فترة من الرسل ،كـما قال تعالى ﴿ **يا أهل الكتـاب قد جاءكم رسـولنا يبين لكم على فـترة من الرسل أن تقـولوا ما جـاءنا من بشيـر ولا نذير فقـد جاءكم بشـير ونذير والله على كل شيء قـدير** ﴾ [(٢)] وقـوله « رئيس العالم » أى رسـول العالمين لأن الله عـز وجل أرسل محمـدا ﷺ إلى الناس كافة ،ومن بينهم اليـهود والنصارى . . قال تعالى ﴿ **يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليما حكيما** ﴾ [(٣)]

(١) إنجيل يوحنا / إصحاح ١٦ (٧-١٤)
(٢) سورة المائدة (١٩)
(٣) سورة النساء (١٧٠)

فجاء فى هذه الآية القرآنية لفظ « الرسول » معرفا بالألف واللام وهى وإن دلت على تفخيم الرسول وتعظيمه وكماله ،فإنها داله على العهد به ، فهى إشارة إلى ما فى الكتابين ،التوراة والإنجيل ، من البشارة بالرسول محمد ﷺ كما ذكرنا ونذكر . . (١)

ففى إنجيل يوحنا ،بشر السيد المسيح باسم « محمد » صراحة،ولازال موجودا مترجما فى اليونانية تحت اسم المعزى وقد ذكر هذا الاسم ، وأصله فى اليونانية «باركليتوس» خمس مرات فى العهد الجديد- أربع مرات فى إنجيل يوحنا « وترجم بكلمة المعزى ،وجاء نفس اللفظ اليونانى ،« باركليتوس » فى رسالة يوحنا الأولى وترجمت بكلمة شفيع . . (٢) وفسر النصارى كلمة « باركليتوس » فى إنجيل يوحنا أنه الروح القدس الأقنوم الثالث ، والتى فى رسالة يوحنا بأنه هو المسيح نفسه .

فإذا علمنا بأن روح القدس - حسب الأناجيل - كان موجودا ومصاحبا للمسيح و تلاميذه ومتلبسا فيهم طول إرساليته وإرساليتهم ، يناقض هذا قول المسيح أنه لابد أن ينطلق المسيح وإن لم ينطلق لن يأتى الروح القدس أى أن الروح القدس لن يأتى فى حضور المسيح ،وأن المسيح هو الذى سيرسله بعد ذهابه مع أن الأناجيل تشهد فى طولها بأن الروح القدس كان موجودا طول الوقت مع المسيح وتلاميذه ،فلا تستقيم تأويل كلمة « المعزى » الذى سيأتى فى المستقبل بعد ذهاب المسيح ،ولن يأتى مع وجود المسيح . . (٣) إن اسم « باركليتوس » مع تغيير طفيف فى حرف واحد ،يصير معناها « الحمد » أو أى اسم مشتق من الحمد مثل أحمد ومحمد ،و محمود ،وهو اسم الرسول الكريم ﷺ (٤).

---

(١) عقيدة المؤمن لأبى بكر الجزائرى صـ ٢٩٣ بتصرف

(٢) « فى قوله « وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب » إصحاح /٢(١)

(٣) ملكوت الله فى النصرانية واليهودية والإسلام / عبد الحميد الجندى ص/ ٧٠- ٧٢ بتصرف ، ط دار الدعوة « الأولى » سنة ١٩٨٣ م

(٤) المرجع السابق صـ/ ٧٤ بتصرف

وعن هذا التغيير فى كلمة « باراكليتوس » اليونانية ،قال رحمت الله الهندى فى كتابه «إظهار الحق» ، ما ملخصه « إن أهل الكتاب سلفا وخلفا عادتهم أن يترجموا غالبا الأسماء ،وأن عيسى عليه السلام كان يتكلم باللسان العبرانى والآرامى لا باليونانى . فإذن لا يبقى شك فى أن يوحنا الإنجيلى ترجم اسم المبشر به حسب عاداتهم ،وقد وصلت إلىّ رسالة صغيرة من رسائل القسيسين وادعى مؤلفها أن مقصوده أن ينبه المسلمين على سبب وقوعهم فى الخطأ قائلا : إن اللفظ اليونانى الأصل « باراكليتوس » يكون بمعنى المعزى والمعين والوكيل ،وإن قلنا اللفظ الأصلى « بيركلى طوس » يكون المعنى قريبا من معنى محمد أو أحمد لكن الصحيح أنه باركلى طوس .

فأقول أن التفاوت بين اللفظين يسير جدا ، وإن الحروف اليونانية كانت متشابهة، فتبدل «بير كلوطوس» «بباراكلى طوس» فى بعض النسخ من الكاتب ثم رجح أهل التثليث المنكرين هذه النسخة على النسخ الأخرى . . [1]

« وأقول إنه لولا وجود هذا الخطأ فى الاسم فى إنجيل يوحنا ما كان وصلنا من هذه البشارة شيء ، ولحذفت كما حذفت من الأناجيل الثلاثة الأخرى «متى ومرقس ولوقا »

وهذا يعنى أن المسيح بشر بمحمد رسول الله ﷺ وذكره باسمه باللغة الآرامية والعبرية صراحة ، وعند ترجمة أو كتابة الإنجيل باللغة اليونانية ترجم الاسم وكتب بمعناه وغير فيه وترجم بالمعزى فى إنجيل يوحنا وبالشفيع فى رسالته ،ومع ذلك على كل التفسيرات لكلمة المعزى فكأنها تشير إلى محمد ﷺ سواء كانت محمد أو أحمد أو المحمود أو المشهور أو المعين أو الشفيع أو الشجاع ،كلها أسماء وصفات « للمسيا » محمد ﷺ وقد كان هذا فعلا مفهوم اليهود و مفهوم تلاميذ

---

(١) إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى جـ٥صـ / ٥٣٨ ، ٥٣٩ بتصرف

المسيح عن هذه الكلمة وأن المقصود بها هو «المسيا» النبى المنتظر.[١]

«وقال يوحنا المعمدان «أنا أعمدكم بماء التوبة ، ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى ،الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه ، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار» [٢]

لما جعل النصارى السيد السيح محورا لكل الأحداث قالوا : إن يوحنا المعمدان يتكلم هنا عن المسيح علما بأن المسيح لم يأت بعد يوحنا ، بل كان معاصرا له بنفس السن بفارق ستة أشهر فى الميلاد ، وقد تعمد المسيح نفسه بعمودية الماء على أيدى يوحنا ، وعمد المسيح بنفسه أو بتلاميذه بالماء أيضا فى الوقت نفسه الذى كان فيه يوحنا يعمد بالماء أيضا . [٣]

ولا زال النصارى يعمدون بالماء إلى الآن ،وثابت أيضا أن المسيح لم يعمد بالروح القدس كما قال هو عن نفسه - كما جاء فى سفر الأعمال - عندما قال لتلاميذه بعد أن مات وقام وقبل رفعه إلى السماء مباشرة كما يقولون،قال السيد المسيح لتلاميذه على التعميد بالروح القدس - الذى قال عنه يوحنا المعمدان - سيكون فى المستقبل بعد هذه الأيام ليس بكثير أى أنه قريب «وذلك يثبت بما لا يدع مجالا للشك فى أن المسيح لم يعمد بالروح القدس وليس هو المقصود فى بشارة يوحنا ،وقد سأل تلاميذ المسيح سيدهم المسيح عندما قال عن قرب مجىء ملكوت الله وقرب مجىء الذى يعمد بالروح القدس وهم يعرفون جيدا عمن يتحدث ،سألوا المسيح عن دور بنى إسرائيل وهل سيكون لهم نصيب فى ملك «المسيا» النبى المنتظر ، وما هو ميعاد مجيئه بالتحديد ، فقال لهم لا يعلم الغيب والأوقات والأزمنه إلا الله وحده.

---

(١) ملكوت الله فى النصرانية واليهودية والإسلام ص/ ٧٥ ، ٧٦ بتصرف
(٢) إنجيل متى / إصحاح ٣(١١) وبنحوه فى مرقس إصحاح / ١٤(٨،٧)
(٣) إنجيل يوحنا / إصحاح /٣ (٢٢) بتصرف

وقال لهم : « يوحنا عمد بالماء ،وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس بعد هذه الايام بكثير ،أما هم - المجتمعون - فسألوه قائلين ، يا رب هل فى هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل فقال لهم ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه .[1] . ا.هـ [2]

والروح القدس هو جبريل عليه السلام كما سماه القرآن بذلك ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا ﴾ [3] ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾[4]

وكان السيد المسيح يحذر اليهود من التجديف على « الروح القدس » ويؤكد على تلاميذه أن التأييد الذى يلقاه السيد المسيح من الله يأتيه من جبريل الروح القدس ،والأعمال التى يعملها المسيح والمعجزات التى يعملها هى بتأييد الروح القدس وقال لهم : إنهم سيجدون نفس التأييد من الروح القدس إذا حفظوا وصايا المسيح واتبعوه . لذلك ظهر فى قوانين الإيمان القديمة للأجيال الأولى للمسيحيين فى القرنين الأول والثانى والثالث كلمة نؤمن بالروح القدس لتبرئة أنفسهم من التجديف اليهودى على الروح القدس ، أو عدائهم لجبريل عليه السلام .ومع تطور الأحداث ، ووقوع التثليث ، دخل الروح القدس فى التثليث على أنه الأقنوم الثالث ورفع إلى رتبة الله ، مساويا للإله الآب والابن ،وله كل الحقوق مثل الآب والابن ، وأصبح فى قانون الإيمان الجديد فى سنة ٣٨١ م هو «نؤمن بالروح القدس . الرب معطى الحياة المنبثق من الآب ،نعبده ونحمده مع الآب والابن الناطق فى الأنبياء » .

وآخر من قال عن الروح القدس إنه جبريل ملاك الله ، «مقدونيوس » أسقف القسطنطينيه سنة ٣٦٢ م وجاء هذا فى الخريدة النفيسة الأرثوذكية ،وأول

---

(١) سفر أعمال الرسل ، إصحاح ١(٥-٧)
(٢) ملكوت الله - صـ ٨٢ ، ٨٣ بتصرف
(٣) سورة النبأ (٣٨)
(٤) سورة القدر (٤)

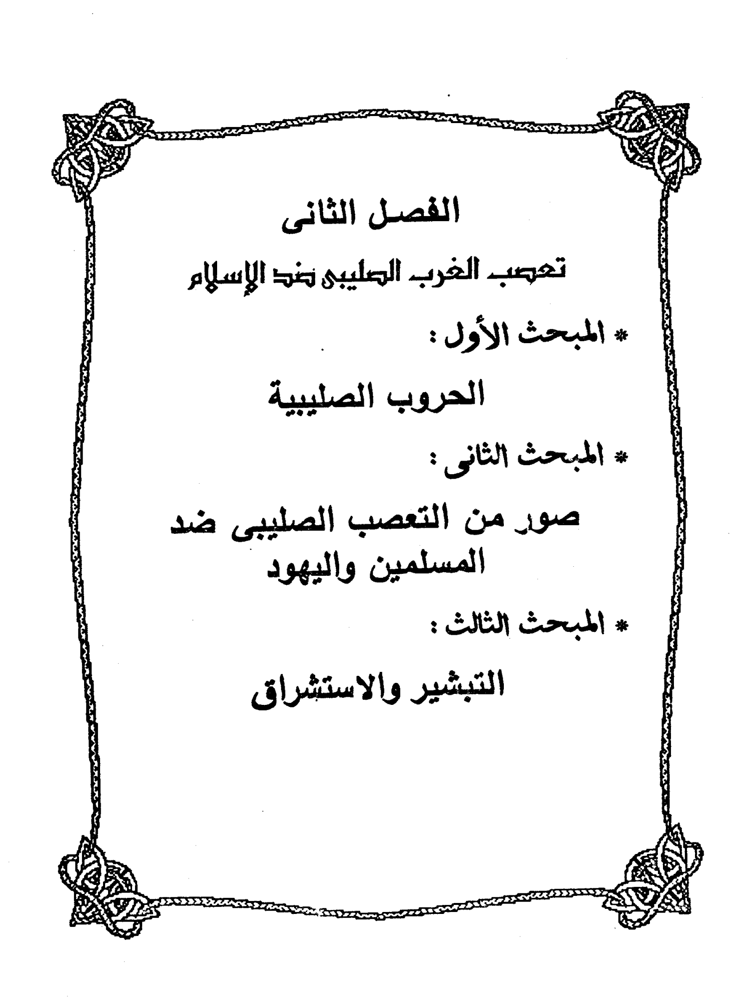
إمبراطور تعمد بالثلاثة هو « ثيودوسيوس » الكبير الذى عقد مجمع القسطنطينية ، وجاء هذا فى مختصر تاريخ الكنيسة » لأندروملر » . . [١]

ورغم إصرار الكنيسة النصرانية على عـدم الاعتراف بالمعزى أنه « المسيا » ورغم إصرار اليهود على عدم الاعتراف بأن « المسـيا » النبى المنتظر هو محمد رسول الله ﷺ لم يمنع ذلك الـرسـول الكريم ﷺ أن يأتى فى أوانه المقـــدر له دون حـاجـة لاعتـراف اليهـود والنصارى وهذا لا شك فـيه مِنّةٌ وفضل من اللـه على الإسلام والمسلمين .

والحمـد لله أقيم ملكوت الله كله كـاملا من ألفه إلى يائه نـظريا وتطبيقـيا فى واقع الحياة وانتشر فى الأرض رغما عن اليهود والنصارى وعلى كره منهم .

وأقيم الملكوت بسـيادة شريعـة القرآن ووجه سـير التاريخ وحـقق قدر الله فى مصيـر هذه الحياة ، وأثر فى ضميـر البشرية وفى واقعـها من وقت ظهوره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وتحـققت كل النبوءات والبشـارات والآمال التى بشر بها الأنبياء والقديسون منذ الدهر . [٢] ولله الحمد والمنة ،فماذا فعل تعصب اليهود أو النصارى فى إنكار نبوة النبى محمد ﷺ !!

(١) ملكوت الله صـ٨٣ ، ٨٤ ،بتصرف
(٢) ملكوت الله صـ٧٧ ، ٧٨ بتصرف



الفصل الثانى

تعصب الغرب الصليبى ضد الإسلام

* المبحث الأول :

الحروب الصليبية

* المبحث الثانى :

صور من التعصب الصليبى ضد المسلمين واليهود

* المبحث الثالث :

التبشير والاستشراق

الفصل الثانى

تعصب الغرب الصليبى ضد الإسلام

* المبحث الأول
الحروب الصليبية

* إننا لا نريد فى صفحات تلك الدراسة أن نحيط بالحركة الصليبية ، مقدماتها وتاريخها ونتائجها ، أو أن نرصد الظاهرة أو نضيف الجديد إليها أو استقصاء حصادها وغايتها ، وإنما نريد أن نلقى نظرة على الدوافع والأسباب التى دفعت عجلة أحداثها والظروف التاريخية التى أحاطت بها ، ثم حصادها فى العالم العربى الذى عانى من جراء وقائعها على مدى أكثر من قرنين من الزمان.

* وعن الحديث عن الحروب الصليبية ؛ يقف الباحث أمام مصطلح يحمل معنى التناقض فى نفسه ، لاسيما إذا كان المصطلح ذاته يحمل تناقضا بين دلالته اللغوية وحقيقته التاريخية ، لقد ارتبط اسم هذه الحركة بالصليب بعد حوالى قرن ونصف من دوران عجلة أحداثها ، والناظر فى مجريات وقائعها يجد مزيجا من القسوة والوحشية والتدين العاطفى الذى يشوبه التعصب ويكتشف فى ذلك كله تناقضا مع الصليب - بالمعنى الذى ذهبوا إليه - رمز الفداء والتضحية بالنفس فى سبيل الآخرين ، ولم يكن الصليب أبدا رمزا للحرب والقتل والعدوان وإن كان من المهم أن نشير إلى أن هذه الحروب لم يطلق عليها اسم « الحملة الصليبية ، أو الصليبيين » فقط وإنما أطلق عليها كذلك « الحرب المقدسة ، أو الحملة العامة، أو الرحلة إلى الأرض المقدسة ، أو مشروع يسوع المسيح، أو حملة الصليب أو حجاج بيت المقدس» وما إلى ذلك . . وإن كان اسم الحروب الصليبية من أشهر أسمائها

التى أطلقت عليها وإن استخدم مؤخرا عن الحرب فى أيامها الأولى» . .[١]

« إن الحروب الصليبية تقدم لنا نموذجا فذا لمدى ما يمكن أن ينتج من استجابات فى مجتمع يجعل العنف شريعته ،ويلبس الحرب ثوب الدين لتصدير فائض حيويته الحضارية خارج حدوده التى ضاقت عن استيعاب تفاعلاته الحضارية على كافة المستويات » [٢]

« ولا شك فى أن المعاصرين لمولد الحركة الصليبية وتطوراتها المختلفة كانوا يعرفون ماهية « الحملة الصليبية » على الرغم من أنهم لم يستخدموا هذا المصطلح سوى فى القرن الثالث عشر ، وعلى الرغم من أنهم استخدموه بجانب العبارات الاخرى التى أشرنا إليها ، ولا يهمنا فى هذه الدراسة أن نتناول التحديد أو التعريف القانونى للحملة الصليبية وإنما يهمنا أن نحدد مدلولها بالنسبة لمن شاركوا فيها ، وبالنسبة لمعاصريهم ، وما أدى إليه ذلك على مستوى الواقع التاريخى » .[٣]

« متى كانت البداية ؟ لقد بدأت أحداث الحركة الصليبية الفعلية فى السابع والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٠٩٥ م بالخطبة التى ألقاها البابا « أربان الثاني»[٤] فى حشود المستمعين الذين اجتمعوا فى حقل فسيح فى أوفرينى فى جنوب فرنسا، وكانت هذه الخطبة الشهيرة خاتمة مجمع دينى عقده البابا ،وجمع الأساقفه لمناقشة أحوال الكنسية الكاثوليكية المتردية وكانت الدعوة التى وجهها البابا بشن حملة

---

(١) ما هية الحروب الصليبية « الأيديولوجية - الدوافع - النتائج» تأليف د/ قاسم عبده قاسم ،سلسلة عالم المعرفة ١٤٩ صـ/١١، ١٢ بتصرف.

(٢) الحروب الصليبية « نصوص ووثائق » د/ قاسم عبده قاسم ص / ٢٦ ط - العربية للدراسات والنشر .

(٣) نفس المصدر ص /٩

(٤) أربان الثانى ولد فى سنة ١٠٤٢ ومات سنة ١٠٩٩ وتولى البابوية سنة (١٠٨٨ - ١٠٩٩) وهو فرنسى واسمه (لودو) انتقل إلى روما والتحق بخدمة الباب جريجورى السابع وساعده فى اصلاحاته ، هوأول من دعا إلى الحروب الصليبية بعد موعظته الشهيرة انظر الموسوعه العربية الميسرة ج ١ ص / ١١ بتصرف ط/ دار القلم أو مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .

تحت راية الصليب ضد المسلمين فى فلسطين [1]

« وبدأت دعوة الناس لأخذ شارة الصليب وهو ما يعنى أن يقسموا على الانضمام لحملة عسكرية ذات هدف دينى معلن ،وكان هذا القسم يتم فى احتفال عام « كان يختلف من مكان لآخر » حيث يقوم الرجال والنساء والأغنياء منهم والفقراء والقساوسة والعلمانيون بالتطوع للمشاركة فى الحملة ،ومن المهم فى هذا المقام أن نوضح أن الجيوش الصليبية لم تكن قاصرة على أولئك الذين أقسموا على حمل شارة الصليب ، ولكنها كانت تضم أيضا هذه الأعداد المألوفة من غير المحاربين الذين كانوا يسيرون فى ركاب الجيوش ذلك الزمان لأداء المهام والخدمات التى تؤديها أسلحة الخدمات فى الجيوش الحديثة من ناحية ، كما كانوا يجدون رزقهم فى ركاب تلك الجيوش من ناحية أخرى ، كذلك كانت الجيوش الصليبية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر تضم أعدادا من المرتزقة ، إذ صار من الممكن للصليبى أن يدفع مبلغا من المال لتجنيد من يقوم بدلا منه بالوفاء بقسمه الصليبى وكان هذا فى الواقع تطورا هاما مما أدى إلى انتشار « صكوك الغفران ». على أية حال كانت الدعوة إلى المشاركة فى الحملة الصليبية سمة أساسية من سماتها بشرط أن تكون هذه الدعوة صادرة عن البابا . . هذه هى أهم مدلولات عبارة « الحملة الصليبية » وهى تكشف عن نوع من الالتزام المتبادل بين الصليبى والبابوية ، إذ يقوم الصليبى بتلبية دعوة البابوية ، ويقسم على أداء المهمة المطلوبة ، لقاء حصوله على الغفران وعدة امتيازات دنيوية أخرى .

لماذا نشأت الحركة الصليبية؟ نشأت الحركة الصليبية أصلا بهدف الزحف على الشرق لتخليص الأرض المقدسة من أيدي المسلمين ، والقضاء علي الوجود الإسلامى فى مناطق الشرق الأوسط أو شرق المتوسط ، وكذلك مساندة الكيان

(١) ماهية الحروب الصليبية صـ ٩ ، تاريخ الحروب الصليبية «ستيفن رنسيمان» ترجمة د/ السيد البار العرينى جـ١ صـ/ ١٦٩ ، ١٧٠ بتصرف دار الثقافة بيروت - لبنان - الثانية ١٩٨١ م.

الصليبى على الأرض العربية »[1] وهذا على سبيل المثال إجمالا . . لقد كانت الحركة الصليبية واحدة من القوى الكبرى المحركة لتاريخنا وتاريخ الغرب الأوربى على السواء ،وقد دارت معارك الحروب الصليبية على نطاق واسع ، سواء من حيث النطاق الجغرافى أو المدي الزمنى أو من حيث الأعداد التى شاركت فى هذه المعارك ،وسيطرت الحروب الصليبية وأخبارها وأحداثها على مشاعر الناس وأفكارهم فى الغرب الأوربى ، فيما بين سنة ١٠٩٥م وسنة ١٣٩١ م على أقل تقدير ، بل إننا لا نغالى إذا قلنا إن الأفكار والقيم والمثل التى تبلورت فى أتون الحروب الصليبية (والتى كانت بدورها من عوامل قيام الحركة الصليبية قبل ذلك) ظلت ماثلة فى أذهان الأوربيين ووجدانهم فترة طويلة من الزمان ، بحيث أن كل من كتب فى الشئون الأوربية آنذاك - تقريبا - كان يشير بشكل أو بآخر إلى الحروب الصليبية ،أو إلى المكان الصليبى فوق الأرض العربية ، أو إلى مشروع أو خطة صليبية جديدة ، بل إن فكرة الصليبية ظلت محتفظة بجاذبيتها فى الغرب الأوربى حتي القرن الثامن عشر ، بل ومن غير المستبعد أن تكون الحركات الاستعمارية طوال القرن الماضى والحالى هى حربا صليبية جديدة على العرب والمسلمين ، وكذلك ما يعرف بحرب الخليج ،أخيرا .

ومن ناحية أخرى كان التصدى للصليبيين ومحاولة القضاء على الكيان الصليبى هوالشغل الشاغل للأمة العربية والإسلامية طوال القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين ، بل إن بقايا الصليبيين ظلوا يتهددون السواحل العربية على البحر المتوسط خلال فترة طويلة شملت معظم سنوات القرنين التاليين »[2]

« و مما لا شك فيه أن كثيرا من الفرسان الأوربيين الذين شاركوا فى الحملة

(١) الحروب الصليبية ، نصوص ووثائق ص/٩. ١٠ بتصرف تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ص/ ١٧١ - ١٧٢ بتصرف .

(٢) الحروب الصليبية « نصوص ووثائق » ص/٦. ٧ بتصرف

الأولى كانوا يتلظون شوقا بالرغبة فى قتل المسلمين الذين أشاعت الدعاية البابوية أنهم يقتلون المسيحيين الشرقيين ويدمرون الكنائس ، وبغض النظر عن أن الحقيقة التاريخية كانت أبعد ما تكون عن الدعاية الكنسية فإن الأخبار والقصص التى روجتها الدعاية الكنسية جعلت الناس فى غرب أوربا يأخذون هذه الأنباء مأخذ الجد ، وكانت صورة المسلمين لدى أهل الغرب تنطق بملامح وحشية عابسة قاسية بحيث تجعلهم يستحقون القتل والتدمير » [١]

ولا شك أنه كانت هناك أسباب أخرى كالظروف الاجتماعية والاقتصادية السيئة ونحو هذا ، وراء مشاركة تلك الأعداد الغفيرة من عامة الناس حتى وصلت إلى ما وصلت إليه ، كما كان لفكرة «الحرب المقدسة» لتحرير قبر المسيح من أيدى المسلمين فرصة هائلة لتحرير المقهورين فى غرب أوربا ، إذ لم يكن من المعقول أوالمقبول أن يحرر قبر المسيح من تقيدهم بالأغلال والقيود الإقطاعية ،وأن الصورة الفعلية للحروب الصليبية تحمل الكثير من الملامح القاتمة ،كما أن قصتها حافلة بمشاهد الطمع والخسة وصور الخزى والعار،فقد كان الصليبيون قوما من الهمج المتوحشين حتي بمقاييس ذلك الزمان ،وكما صورتهم أقلام المؤرخين من بنى جلدتهم وعلى الرغم من أنهم زعموا أنهم جنود الرب العاملون فى خدمته ،فإن الصور التى ترسمها المصادر التاريخية الصليبية نفسها تكشف عن أنهم قد صدروا أحقادهم وحروبهم الإقطاعية إلى الأرض التى شهدت خطوات المسيح » [٢]

ولئن كانت تلك الحروب باسم الدين والدفاع عن المقدسات فإن ذلك لم يمنعهم فى الوقت نفسه من ارتكاب أحط الجرائم بالشكل الذى كشف عن أبشع الشرور الدنيوية والأطماع المادية ، لقد كان تدينهم من ذلك النوع العاطفى الذى يشوبه التعصب المقيت وظنوا أن التدين يعنى التعصب ضد أصحاب الديانات الأخرى ،

---

(١) الحروب الصليبية نصوص ووثائق ص/١٥

(٢) الحروب الصليبية نصوص ووثائق ص/١٥ ،١٦ بتصرف

بل ضد كل من لا يؤمن بالعقيدة الكاثوليكية ،ومن ناحية أخرى . كانت جماهير العامة تخلط بين التدين العاطفى المتعصب وحقائق حياتهم التعسة فى ظل المجتمع الإقطاعى الذى يظلم الطبقة الدنيا ظلما فادحا .

وفى الخامس عشر من شهر أغسطس سنة ١٠٩٦ م بدأت تتحرك جموع الصليبيين صوب الشرق ،وتحركت الفرقة الأولى وعلى رأسها فارس شرس نبيل المولد، الذى قام هو وأتباعه بأعمال السلب والنهب فى بلغاريا ، فهاجمهم البلغاريون وقتلوا منهم أعدادا كبيرة وتفرقوا هاربين فى غابات بلغاريا ، ثم تحركت الفرقة الثانية وعلى رأسها « بطرس الناسك »[1] الذى لم تسلم البلاد من شره أيضا فقام بالهجوم على مدينة « سملين » على حدود المجر المشتركة مع الامبراطورية البيزنطية ، كشف « جيش الرب » عن وجهه القبيح فارتكب مذبحة راح ضحيتها أربعة آلاف قتيل ، وعدد لا يحصى من الجرحى ، وتحولت مدينة سملين إلى خراب يتصاعد دخان الحرائق التي أشعلها الصليبيون فى كل ركن منها أنفاسا غاضبة من الجريمة التى ارتكبها « جيش المسيح » و كانت هذه المذبحة ضد «الإخوة المسيحيين» «الذين زعم الصليبيون أنهم جاءوا لتحريرهم ...[2]

وخشى بطرس من انتقام المجر فآثر أن يسير بجيشه فى ظلمات الغابات حتى وصل إلى حدود الامبراطورية البيزنطية ، وخاف حاكم مدينة نيش البيزنطية على مدينته عندما علم باقتراب هذه الجموع الخرقاء التى اكتسبت سمعة سيئة للغاية فى تلك الأنحاء ، وعلى الرغم من أن الحاكم سمح للصليبيين بالشراء واستقبلهم بود شديد ، فإن بعض صانعى المشاكل أحرقوا عددا من مساكن القرويين فى تلك

(١) بطرس الناسك وهو رسول الحركة الصليبية الأولى ، ولد من عائلة معتبرة فى إيرشيه اميانى من فرنسا نحو أواسط القرن الحادى عشر توفى سنة ١١٢٥م وكان ناسكا وقاد أول جيش صليبى (انظر دائرة المعارف للبستانى ح٥ ص/٤٧٥ بتصرف ط / دار المعرفة - بيروت - لبنان .

(٢) الحروب الصليبية ، وثائق ونصوص ص/١٧ -١٩ بتصرف وتاريخ الحروب الصليبية ج١ ص/١٧٩ ، ١٨١ بتصرف .

الأنحاء ، وأحرقوا سكانها أحياء بداخلها، وقد وجد الحاكم البيزنطى أن كرم الضيافة الذى قابل به الصليبيين لم يثمر غير الدمار لبلاده ، فهاجم مؤخرة جيش بطرس ، وأعمل الجنود سيوفهم فى جنود الحملة الشعبية وأسروا منهم أعدادا كبيرة وعاد بطرس أدراجه لمهاجمة المدينة ولكن جيشه لقى هزيمة نكراء فقد فيها الكثير من رجاله ، فضلا عن الأموال التى جمعها من أثرياء الغرب الأوربى لتمويل حملته .

وكان على الامبراطورية البيزنطية أن تعانى من جموع الجماهير المشاغبة القادمة من الغرب الكاثوليكى بحجة مساعدة البيزنطيين وتحرير المسيحيين الشرقيين ،فقد أخذ الصليبيون ينهبون قصور المدينة ويحرقونها ويسرقون محتويات الكنائس ووجد الامبراطور نفسه مضطرا لنقلهم على وجه السرعة إلى آسيا الصغرى ، وهناك تصرف « جنود الرب » !! بطريقة لا يرضى عنها الرب وارتكبوا أبشع المذابح ضد السكان المسيحيين !! وتكفل الطمع والجشع وسيوف الأتراك السلاجقة بهؤلاء الذين قطعوا رحلة الألف ومائتى ميل واستضافت أرض الشرق المضيافة أجسادهم التى حصدتها سيوف الأتراك ، وفى هذه المعركة قتل « والتر المفلس » ونجا «بطرس الناسك » من الموت لسبب أو لآخر ،وهكذا انتهت الحملة الشعبية على تراب الشرق الذى داعب خيال الفقراء من بداية الدعوة الصليبية وعلى طول الألف ومائتى ميل .

وفى تلك الأثناء كانت جماعات شعبية أخرى تتجمع فى غرب أوربا بقصد الرحيل إلى الشرق المقدس ، ولكن هذه الجماعات أخذت على عاتقها مهمة قتل اليهود فى مدن الراين وسائر أنحاء الغرب الأوربى ، وعندما انتهت من هذه المهمة بدأت تسير على طريق حملة « والتر المفلس »و« بطرس الناسك » ولكن ملك المجر الذى تجرع مرارة التجربة من قبل ، تصدى لهذه الفرق المشاغبة وقضى عليها تماما قبل

أن تحاول الخروج من مملكتـه ، وبرزت أسماء «فولك »[١] « وانجو »[٢] فى تاريخ الحملة الصـليبيـة الشعبـية التى ارتكبت كـثيـرا من الفظائع على الطريق إلى بيت المقدس .[٣] وحيثما تواجدت جيوش الحملة الشعبية فى حوض الراين ،وفى المجر والبلقان ، وضواحى القـسطنطينية ، وآسيا الصغرى ،ترك أفـرادها بيوتا تحترق ، وقرى تنعى سكانهـا ، وخرائب وجثـثا ترصع طريق « جيش الرب » !! فقـد كان الطريق الذى سـارت عليه تلك الفـرق الهائجـة مرصـعا بالقـرى المحتـرقة والمدن المنهوبة ، وأكوام جثث الضحايا.

وكانت البابوية والفـرسان مشغولين آنذاك بالاسـتعداد لخروج حملة الفـرسان وقد غضـوا النظر عن ذلك الزلزال الاجتـماعى الذى أحدثتـه حملة الفقـراء أو الحملة الشعبيـة ، وكانت مشكلة تمويل الحملة الرسمية مـن أكبر المشكلات التى واجهت حملة الفرسـان ،وكان على كل أمير ممن أخذوا شـارة الصليب أن يبحث عن حل لمشكلة التـمويل بطريقـته الخـاصة ، فـمنهم من ابتز اليـهود وحـصل منهم على مسـاعدة مالية كـبيرة لتمـويل حملته إلى فلسطين ، ومنهم من تخلى عن أمـلاكه للكنيسة ،ونحو هذا ، وتكونت عدة جيـوش وتجهزت للتحرك صوب فلسطين فى أواخر صيف سنة ١٠٩٦م ، وواصل الجيش الصليـبى مسيرته ،الذى انقسم على نفـسه أثناء السـير وراح كل منهـما يـنافس الآخر فى الاسـتيـلاء على بعض المدن والمناطق لنفسه ،ووصل التنافس بيهما إلى القتال ، فقاتلا بعضهما فى وحشية كما لو كانا من ألد الأعداء هذا فضلا عن المجاعة التى كانت قد أنشبت مخالبها القاسية فى معسكرهم ،واتفق الزعماء على تشكيل فرق للسلب والنهب من المناطق الريفية المجاورة ،كـما أن المسلمين من العرب والأتراك من ناحـية أخرى أخـذوا ينظمون وسائل الدفـاع عن أملاكـهم وهو الأمر الذى جعـل الصليبيين فى مـأزق حقـيقى لأنهم لم يجـدوا مـا ينهبـونه ، كـما أن المسـلمين قضـوا على بعض هذه الفـرق

(١) فولك : ولد فى سنة ١٠٩٢ ومات فى سنة ١١٤٣ وملك القدس سنة ١١٣١ لمدة ٤٣ سنة - انظر، الموسوعة العربية ج٢/ص/١٣٣٨.

(٢) انجو : ينسب إلى إقليم قديم غرب فرنسا وإليه ينسب الأنجويون. انظر الموسوعة العربية ج١ ص/٢٣٨

(٣) تاريخ الحروب الصليبية ص/٣٩٧ - ٤٠٧ بتصرف

الصليبية بأكملها فى بعض الأحيان . (١)

وفى غمرة البؤس الذى حاق بالصليبيين ، حيكت مؤامرات ،ودبرت خطط واخترعت أساطير تركت آثارها الواضحة فى نفوس الصليبيين ، فرفعت معنوياتهم وتركت الأثر المقابل فى نفوس المسلمين الذين كانت قد مزقتهم الانقسامات ، وتفرق الجيش الإسلامى ، ولم يقف فى طريق الصليبيين جيش إسلامى يمكنه سد الطريق إلى القدس ، وواصل الصليبيون زحفهم صوب بيت المقدس دونما يلقى مقاومة تذكر لوقف تقدمهم ، إلا بعض المناوشات والتحصنات داخل المدن، كما حدث فى مدينة طرابلس التى فرضوا الحصار عليها ولم ينجحوا فى الاستيلاء عليها ، وبيروت وصيدا وصور ، وأخيرا وصلوا إلى فلسطين وساروا بحذاء الساحل حتي وصلوا إلى عكا التى أمدهم حاكمها الفاطمى ببعض المؤن والأموال ليتقى شرهم ، وملك الخوف سكان يافا والرملة ،فهجروا المدينتين اللتين سقطتا فريسة باردة فى أيدى الصليبيين وأخيرا صافحت عيون الصليبيين المدينة المقدسة من فوق التل الذى أطلقوا عليه اسم « تل الفرح » وكان الفصل الأخير فى قصة الحملة الصليبية الأولى هو الحصار الذى فرضه الصليبيون على بيت المقدس على مدى خمسة أسابيع (٧ يوليو سنة ١٠٩٩ م) ومرة أخرى شاعت أنباء الأحلام المقدسة والرؤى الدينية لتشد من أزر الصليبيين وفى يوم الجمعة الخامس عشر من يوليو سنة ١٠٩٩م - تمكن الصليبيون من اقتحام المدينة ، وجرت على السكان مذبحة فظيعة تحدث عنها المؤرخون الصليبيون من شهودها بفخر . وفى هذا الجو الموحش الذى يلفه الصمت الرهيب ، والعفن المنبعث من الجثث الطريحة فى شوارع المدينة اجتمع الصليبيون لأداء صلاة الشكر فى كنيسة القيامة وأياديهم تقطر دما !!

وهكذا انتهت الحملة الصليبية الأولى » (٢)

---

(١) الحروب الصليبية . وثائق ونصوص ص/ ١٩ ، ٢٣ بتصرف

(٢) الحروب الصليبية .وثائق ونصوص ص/ ٢٣ - ٢٥ بتصرف ، ص/ ٢٥٠ بتصرف.

صور من العدوان الصليبى علي مصر

« أُستهدفت مصر فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى بهجوم صليبى كبير بقيادة « لويس التاسع » ملك فرنسا ، منى فيـه الصليبيون بهزيمة منكرة ، ولم تكن هذه الحملة هى أولى الحملات الصليبية التى اتجهت صوب مصر بقصـد امتلاكها وإنما وقعت محاولات متوالية لغزوها منذ أواسط القرن الثانى عـشر الميلادى ولم يكن هذه التغيير الذى طرأ على الحركة الصليبية بالتوجه إلى مصر بدلا من بيت المقدس – وهى الهدف الأصلى لهذه الحـركة – وليد الساعة أو مجرد فكـرة عابرة استولت علي عقـول الغربيين فعـملوا علي تحقيـقها . . لكن البـاحث المدقق يرى أن اتجاه اللاتين ناحية مصر فى حملة لويس التاسع » وما سبقها من حملات له أسبابه التى دعت إليه ،كان منهـا أنه لما قامت الحملة الصليبية الأولى فى ختـام القرن الحادى عشر الميلادى من أجل غزو بيت المقدس ،وقد أفلحت فى تحقيق هدفها فى وقت كان فـيه العالم الإسـلامى منقسمـا على نفسـه مما أضعفـه عن مواجهـة العدوان الصليـبى بيد أنه قـد ظهرت فى أوائل القـرن الثانى عـشر الميلادى بعـض القوى الإسلامـية الفتـية بشمال العـراق والشام التى أخذت عـلى عاتقها مـهمة توحـيد المسلمين لمقاومة الفرنج ودرء خطرهم ، وتمخضت هذه الحركـة عن ظهور شخصية «عـمـاد الـدين زنكى » .[1] أتابـك الموصل ،وسـلطان حلـب الذى تمكـن من الاستيلاء على إمارة الرها من اللاتين فى ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ ومن بعده ابنه ، «نور الدين محـمود »[2] الذى واصل سيـاسة أبيـه فى الجهـاد ضد الفرنج حـتى إنهم

---

(١) عماد الدين زنكى بن آقسـنقر ، صاحب الموصل ومدينة حماه وتولى حلب وكـان من المماليك ،وقتل وهو محاصر جعبر سنة أحدى وأربعين وخمسمائه هـ (انظر : الأعلام للزركلى ج٣ص / ٤٦ ط مصرية .

(٢) هو الملك العادل / نور الدين أبو القاسم محمود بن الملك الأتابك ، الملقب بالشهيد بن الملك ،ولد فى السابع عشر من شوال سنة إحدى عشر وخمسـمـائة بحلب ، ولم يكن بعد «عمر بن عبد العزيز » مثل الملك نور الدين ولا أكثر تحريا للعدل والإنصاف مثله ،وكانت سيرته مضرب المثل فى الصلاح والتقوى ومات فى الحادية عشر=

استشعروا منه الخطر على أنفسهم ، وباتوا فى قلق متزايد واضطراب بالغ ، وفى تلك الفترة التى كان فيها كل من نور الدين والصليبيين بالشام يتحفز للآخر طرأ على الحركة الصليبية تطور هام وخطير ، مظهره التنافس بينهما فى الاستيلاء على مصر ، وقد حفزهم على ذلك ما انتهت إليه حالة الدولة الفاطمية من الضعف والانحلال فى أواسط القرن السادس الهجرى وتوالت الحملات بين كل من سلطان حلب وأمورى ملك بيت المقدس فيما بين سنة ٥٥٨ ، ٥٦٤ ،تلك الحملات التى انتهت بهزيمة الفرنج ،وانتصار جيش نور الدين بقيادة « أسد الدين شيركوه » .[١] الذى دخل القاهرة فى ربيع الآخر ٥٦٤ هـ ، يناير ١١٦٩ وقد حفز هذا الفتح الصليبى على ضرورة القيام بعمل حاسم لغزو مصر وإحباط خطط نور الدين بها ، وساعدتهم الظروف إلى حد بعيد ، إذا قامت مؤامرات داخلية فى مصر من أجل إحياء الدولة الفاطمية والقضاء على الوزير الجديد«صلاح الدين» [٢] الذى خلف شيركوه على الوزارة وكان من تدبير المتآمرين أن يستنجدوا بالفرنج لغزو مصر ، فإذا خرج « صلاح الدين » لصدهم هاجمه المتآمرون من مؤخرته وبذلك يسهل القضاء عليه ، وقدم الفرنج لمساعدة الثائرين ،فهاجموا دمياط فى صفر ٥٦٥ هـ إثر المؤامرة الأولى ، والإسكندرية فى ذى الحجة ٥٦٩ هـ عقب المؤامرة الثانية ،ولكن «صلاح الدين » تمكن من القضاء على المؤامرتين وصد

= من شوال سنة تسع وستين وخمسمائه عن ثمان وخمسين سنة كان أبرز أبطال الإسلام قضى حياته يجاهد الصليبيين من الشرق الأدنى الإسلامى ،انظر : الأعلام للزركلى جـ٨ص/٤٦ بتصرف والموسوعة العربية ج٢ ص/١٨٥٨بتصرف .

(١) شيركوه : أبو الحارث أسد الدين الكردى الرازى ، وهم أشرف شعوب الأكراد ،عم صلاح الدين ، وأحد قواد السلطان نور الدين ، أمير حلب ودمشق ، ولقد فتح مصر وتولى منصب الوزارة بعد مقتل شاور ، وكان مثالا للشهامة والشجاعة والصرامة ،وتوفى يوم السبت فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من سنة أربع وستين وخمسمائة هـ (انظر الموسوعة العربية ج٢ص/١١٠٥ بتصرف.

(٢) صلاح الدين يوسف بن أيوب ،ولد بتكريت فى سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة ولقد كانت سيرته مضرب المثل، وكان الخصم الأكبر للصليبيين ،وكان مصابه شديدا على المسلمين يوم موته فى يوم الأربعاء ، السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة هـ عن سبع وخمسين سنة انظر الموسوعة العربية ج٢ ص/١١٢٨

غزوات الفرنج ،وهكذا فشل الصليبيون للمرة الثانية فى محاولاتهم ضم مصر إلى أملاكهم بالشام ومنذ ذلك الحين أصبح اللاتين محصورين من الشمال والجنوب بقوات المسلمين وباتت ممتلكاتهم معرضة للضياع حتى انتهى الأمر بانتصار صلاح الدين عليهم فى معركة حطين ٥٨٣هـ / ١١٨٧ م وطردهم من بيت المقدس فى العام نفسه ولقد هيأ هذا الجهاز لمصر الأيوبية مكان الصدارة فى العالم الإسلامى حينذاك ، إذ أصبحت مصر معقل الإسلام المنيع ومصدر الإمداد الوفير من الرجال والمال والميرة والسلاح ،وانحصر هدف الغرب المسيحى منذ ذلك الحين فى إزالة قوتها من الميدان ، يقينا منه أنه لن يتم استرداد بيت المقدس إلى حظيرة اللاتين إلا بملك مصر أولا قبل كل شىء وعلى هذا الأساس يمكن أن نفسر السر فى اتجاه الحملات الصليبية الكبيرة نحو مصر منذ أوائل القرن السابع الهجرى (أوائل القرن الثالث عشر الميلادى)[1]

***

(١) العدوان الصليبى علي مصر ، هزيمة لويس التاسع فى المنصورة وفارسكور « للدكتور / جوزيف نسيم يوسف ص / ٢٣ - ٢٧ بتصرف . ط مؤسسة شباب الجامعة سنة ١٩٨٤ م

صور من العدوان الصليبى على بلاد الشام

« فى أواخر سنة ١٢٤٨ م خرج « لويس التاسع »[1] ملك فرنسا فى جيش ضخم قاصدا مصر للاستيلاء عليها ،والتمهيد بذلك لإعادة بيت المقدس إلي دولة اللاتين بعد أن فقدتها قبل عام ١٢٤٤ م ، ولكن محاولته هذه أخفقت إخفاقا تاما ، وغادر هو وحملته الأرض المصرية يجرون وراءهم أذيال الخزى والخذلان ومع ذلك لم يقفل الملك الفرنسى عائدا إلى بلاده ، وإنما وجه ركبه شطر الأراضى المقدسة ذاتها ، حيث أقام أربع سنوات كامله من مايو ١٢٥٠ م إلي ابريل ١٢٥٤م وهو يناضل نضالا عنيفا لتحقيق أغراضه العدوانية وتعويض مافاته فى حملته المشئومة على مصر .

وهذه حلقة من حلقات الصراع الطويل بين المسيحية والإسلام أو بين الغرب المسيحى والشرق الإسلامى ،وهى فترة هامة دقيقة فى تاريخ الحركة الصليبية نفسها ، وتاريخ مصر والشام آنئذ ،عندما تحالفت المصالح والأهواء أحيانا وتعارضت أحيانا أخرى ،والملك الفرنسى « لويس التاسع » واقف فى هذا البحر الخضم يحالف قوة ويهدد ثانية ويلوح لثالثة بالاتفاق مع منافسيها وهكذا ، ولا هم له من وراء ذلك كله إلا خدمة القضية الصليبية ولا شيء غير هذه القضية [2].

وهكذا كان الملك الفرنسى قد عقد النية منذ البداية على مواصلة الحملة ضد المسلمين بقصد امتلاك بيت المقدس ، وهكذا كان يسير وفقا لخطة منظمة شرع فى

---

(١) لويس التاسع أو القديس لويس ولد عام ١٢١٤ ومات عام ١٢٧٠ م وملك فرنسا من سنة ١٢٢٦ - ١٢٧٠ م وهو ابن لويس الثامن وخليفته ، قام بحملة صليبية على مصر سنة ١٢٤٨ وأخرى على تونس ١٢٧٠ ، ولكنه توفى بالطاعون بعد قليل من نزوله فى تونس ورفع إلى مصاف القديسين سنة ١٢٩٧ ويقع عيده فى ٢٥ اغسطس (الموسوعة العربية الميسره) ج٢ ص ١٥٨٥ .

(٢) العدوان الصليبى على بلاد الشام د / جوزيف نسيم ص ١ بتصرف ، ط شباب الجامعة ١٩٨٤ .

تنفيذها على مراحل قبل خروجه من مصر إلى أن أعلنها صريحة فى قراره بالبقاء فى الأراضى المقدسة ، وفى رسالته إلى أهل الغرب الذى يدعوهم فيها لحمل الصليب ، وهكذا تفنن أيضا فى ابتداع وسائل الترغيب لاستمالة المقاتلين إلى صفوفه ولكن جهوده ومساعيه باءت فى النهاية بالفشل ، فقد انصرف عاهلا العالم المسيحى عن نصرته إلى كفاح داخلى عانت منه المسيحية الأمرين ، كما كانت أحوال أمم الغرب الأوربى والشرق اللاتين لا تسمح لهما بتقديم يد العون له ، فضلا عن أن القوات الهزيلة التى كانت معه وتلك التى انضمت إليه لم تكن كافية للقيام بعمل إيجابى حاسم.

وأخيرا فقد فتر الحماس الدينى للحركة الصليبية فتورا ملموسا ،وبدلا من أن يندفع الناس اندفاعا طبيعيا إلى حمل الصليب كما كان الحال فى بدء الحركة أصبحوا الآن يتشككون فى جدوى الحرب الدينية ضد المسلمين ، إلا أن حماس «لويس» للقضية الصليبية ،وإيمانه بها ، وتعصبه الشديد ، بل حنقه الزائد ضد الإسلام والمسلمين ، كما وصفه بذلك أتباعه ،كل ذلك كان كفيلا بحشد آلاف الغربيين من سائر الأقطار الأوربية لو أنه عاصر بابوية أربان الثانى ، أو أنوسنت الثالث ، فى تلك الحقبة من التاريخ ، حيث كان الإيمان فتيا عميقا ، ولكن «لويس» عاش فى عصر بدأت فيه العقيدة الدينية تهن فى نفوس الأوربيين بوجه عام سواء كانوا من الشعب أو رجال الكنيسة أو حتى البابا نفسه»[1]

« ومن كل هذه المحاولات من لويس وأتباعه والتى باءت بالفشل ،لم يقف لويس مكتوف اليدين ، بل استغل الظروف المحيطة به استغلالا ينم عن مهارة سياسية وحصافة فى الرأى وبعد فى النظر وروية فى التفكير ،فقد أتاح له النزاع بين مسلمى مصر والشام عقب اغتيال المعظم توران شاه ثم العداء التقليدى المستحكم بين الشيعة والسنة ، فرصة طيبة لتبادل البعوث والرسل مع كل من المماليك فى

(١) العدوان الصليبى على بلاد الشام ص / ١٢٧ بتصرف وتاريخ الصليبية ج٣ ص ٤٣٩ - ٤٤٥ بتصرف .

مصـر والأيوبيين والحشـاشين فى بلاد الشام فـيهـدد أمراء مـصر بالانضـمام إلى خـصومـة بنى أيوب إن لم يسرعـوا بإجـابته إلى مطالبـه وهو يعلم سلفـا أثر هذا الوعيـد ، ثم يؤكد لـلأيوبيين أنه لن يتردد فى مناصـرتهم على أعدائهـم بمصر إن أهمل المماليك مطالبه ،فيبعث الطمأنينة إلي نفوسهم فهو لم يوصد الباب نهائيا فى وجـوههم ، بل تركـه مفـتـوحا ليلج مـنه فى أى وقت يشاء ،وبـعد ذلك يتـرك الفريقين المتنافسين جـانبا ، ويتجه إلى خصم ثالث عنيد ، عـرف بمؤامراته وبطشه ومواقفه المشهودة فى فترة الحروب الصليبية المتقدمة وهو إسماعيلية الشام ، فيلوح بهم فى وجه السنيين من مماليك وأيوبيين على السواء .

ويدل هذا التصرف علي دهاء لويس وسعة درايته بأحوال العالم الإسلامى فى ذاك الحين فنراه يتنقل بين المسلمين فى مكر وترقب وحذر ، ويستقبل رسلهم ويتباحث معهم ، ثم يوفد إليهم مندوبيه مـزودين بمطالبه وتعليماته وإرشاداته ، كل هذا فى آن واحد ، أو فى فترات متقاربة ، وقـد شهدت مدينة عكا الجانب الأكبر من هذه المناورات السياسية التى كان محورها الملك الفرنسى . . [١]

ولم تقتصـر خطته على المسلمين فى الشرق العربى ، إنما اتجـه بأنظاره إلي الشرق الأقـصى ، موطن التـتار ذلك الـعنصر الذى كـان يتنافس على اكـتسـابه كل من المسيحية والإسلام فتتـصل السفارة كذلك بينه وبينهم فى كل من قبرص وسوريه ، عساه أن يفلح فى ضمهم إلى الكاثوليكية واستخدامهم فى صراعها ضد المسلمين، وهو فوق هذا وذاك لا يغفل أمر الفرنج فى الشرق ، وإنما يشملهم بحدبه ورعايته وتوجيهاته السديدة ،ولم يترك ناحية من نواحى الإصلاح فى الإمارات اللاتينية إلا وطرقـها لعلمـه أن السبـيل لوصولهـا إلى هدفهـا البعـيد هو فى قـوتها وتماسكـها وتكتلهـا، وأن هذا هو السـلاح الوحـيد لـها بعـد أن أخـفق فى تحـقيق أمنيتـه العسكرية. . تلك هى الخطـوط العريضة لخطة لويس فى بلاد الشـام والتى التقت

(١) تاريخ الحروب الصليبية ج٢ ص/ ٥٢٣ - ٥٢٥ بتصرف .

كلهـا عند هدف واحد ، هو الهـدف الذى من أجله قامت الحـركة الصلـيبيـة فى أخـريات القـرن الحـادى عـشـر والتى شنهـا العـالم الغـربى ضـد بلدان الشـرق الإسلامي، وجـدير بالذكر هنا أن النكبـات التى تكالبت على هذا الملك بمصـر قد هذبته وصقلته وعلمته كيف يتخذ من ماضيه عبرة لمستقبله وكيف يجهز نفسه لكافة الاحتمـالات ، كما أصبح أكـثر مرونه واستعـدادا للتفاهم مع خصـومه بالوسائل السلمية والطرق الدبلوماسية ، بعد أن كانت القوة هى اللغة الوحيدة التى يفهمها ، وبعد أن لقنته مصر درسا قاسيا جعله يحنى هامته ويقبل الأمر الواقع ، فسعى إلى تعويض إخـفاقه الحربى فى الديار المصـرية بنصر سياسى فى سـورية ، وقد لاقت جـهوده فى هذا السـبيل بـعض النجاح وهكذا كـان لويس فى سـورية سيـاسيـا ومفاوضـا ومصلحا أكثر منه محـاربا ، وإن مواقفه العديدة التى أشـرنا إليها لدليل واضح علي صـدق ما نقـول ، أمـا عن المعارك الـقليلة التى نشـبت بين المسلمين والصليبيين ،فى تلك الأثناء ، فلم تكن بينهـا معركة حاسمة بالمعنى المفـهوم ،كما أنها كـانت نتيـجة طبيـعية للصلـح الذى انعقد بين الناصـر والمعز ومـقدمة طيـبة للضربات القوية التى كالتها القوات الإسلامية للاتين المغيرين وإماراتهم فيما بعد.

وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن نشاط لـويس التاسع فى الشام خلال السنوات الاربع التى أقامها متنقـلا بين بلدانه يعتبر فى الواقع حملة صليبيـة قائمة بذاتها لها كيانها ومقـوماتها ، شأنها فى ذلك شأن غيرها من الحـملات الأخرى المعروفه فى تاريخ هذه الحركة ، ولكنها تمتاز عنها بأنها حملة سياسية اصلاحية أكثر منها حربية عسكـرية ،فلم تسمح له الظروف بحـشد عـشرات الآلاف من المقـاتلين كمـا فعل غيره، ولم يعلنها حربا شعواء على المسلمين فى عـقر دارهم كما فعل هو نفسه فى مصر وتونـس ، ولكنه حشد برنامجـا قويا قوامه السـياسة والدبلوماسـية والخبث والدهاء والإصلاح ، وهدفه النهائى « أورشليم » والأراضى المقدسة » . . [١]

(١) العدوان الصليبى على بلاد الشام ص / ٣٤٩ - ٣٥٢ بتصرف .

« ولتفهم هذه النظرية الجديدة ، يحسن بنا أن نتساءل عن طبيعة الحركة الصليبية وماهيتها ، لقد أجمع المؤرخون القدامى منهم والمحدثون على أن الحروب الصليبية بمعناها المعروف لابد أن يتوافر فيها ما يلى :-

أولا : هدفها الاستيلاء على بيت المقدس والمحافظة على كيان اللاتين المنهار فى الشرق .

ثانيا : فكرتها الصراع بين الغرب المسيحى والشرق الإسلامى أيا كان لون هذا الصراع.

وإذا دققنا النظر فى حملة لويس إلى بلاد الشام نجد أنه يتوافر فيها هذان الشرطان، فهى كانت تهدف أولا وأخيرا إلى امتلاك أورشليم وضمها إلى حظيرة اللاتين والمحافظة على ما يتبقى من ممتلكاتهم المتداعية فى الشرق وهى فضلا عن ذلك تمثل الصراع العنيف بين الغرب الأوربى والشرق العربى لتحقيق هذ الغاية، حقا إنه لم يكن صراعا عسكريا مثل الحملات الصليبية الأخرى ،ولكنه كان نضالا سياسيا دبلوماسيا ، وهذا يذكرنا بحملة « فريدريك الثانى » . [1] الصليبية التى انتهت باستيلائه على القدس دون حرب أو إراقة للدماء ، فبدلا من أن يستخدم لويس التاسع أدوات الفتك والدمار لجأ إلى حيلة أخرى لا تقل عن ذلك خطرا، ونعنى بها الوسائل السياسية وأسلوب السياسة والمداهنة والدهاء للوصول إلى غرضه » [2]

وبعد أن تكشف لنا دقائق هذه الخطة ، وسلطت الأضواء على أطرافها من كل جانب ، أصبح من الضرورى وضع هذه السنوات الأربع فى المكان اللائق بها فى

(١) فريدريك الثانى ولد فى سنة ١١٩٤ ومات سنة ١٢٥٠ حفيد دردك باربا روسا وابن الأمبراطور هنرى السادس والأمبراطور كونستان[illegible] قلده البابا ، انوسنت الثالث » حكم صقليه ١١٩٧ وجاء بحملة صليبية سنة ١٢٢٨ - الموسوعة العربية ج٢ ص / ١٢٨٤ .

(٢) العدوان الصليبى على بلاد الشام ص/٣٥٢، ٣٥٣

الإطار التاريخي العام للحركة الصليبية التى دامت زهاء ثلاثة قرون من الزمان، لهذا كله نقدم على القول بأن لويس التاسع قام فعلا بثلاث حملات صليبية . . الأولى على مصر ، والثانية فى سورية ،والثالثة ضد تونس . . وهذا غير ما أجمع عليه المؤرخون من أنه لم يقم إلا بحملتين اثنتين فقط هما حملتا مصر وتونس ، فتلك هى الحلقات الثلاث من التدخل اللاتينى فى بلدان الشرق العربى من مصر إلى سوريه إلى شمال أفريقيا فى عهد الملك لويس التاسع والتي ترجع إلى سبعة قرون مضت من الزمان [1]

« لقد أخلص لويس لقضيته الصليبية التى تبناها وظل يكافح من أجلها طيلة ربع قرن من الزمان ، وفى سبيلها قام بحملاته الثلاث التى كان يهدف من ورائها تمكين النفوذ اللاتينى فى بلدان الشرق الإسلامى ،متخذا من الدين ستارا رقيقا شفافا يخفى أطماعه ومآربه وعلى هذا فإن حملات لويس أحق الحملات بأن توصف بالصليبية ، فهو قد قام بها غازيا فاتحا ، كما فعل غيره من زعماء الحركة الصليبية الذين هرعوا إلى الشرق العربى ليملأوا أيديهم من أمواله وغنائمه ، ولينهبوا خيراته وثماره ، وليستقروا فيه ملوكا وحكاما وليستغلوا كل شبر من أراضيه ،مع تأسيس إمارات لهم ، والرغبة فى الفتح والتوسع وهكذا مزجت تلك الحملات بين الأغراض والأطماع الشخصية وبين الحقد الدفين والتعصب الأعمى ضد الإسلام والمسلمين » [2]

« لقد كان لويس مصابا بحمى دينية جعلته يقامر بكل شيء حتى بنفسه فى سبيل قضية خاسرة ،ومع أنه عاد إلى بلاده من الشرق دون امتلاك بيت المقدس ، فإن هذا الحلم ظل يراوده طوال حياته ،وكان يترقب الفرصة لاستئناف نشاطه ، لقد أعلن عقب عودته من بلاد الشام أن حجه لم ينته ولكنه أجل لموسم آخر ، وقد

---

(١) المصدر السابق ص/٣٥٣ ، ٣٥٤ بتصرف

(٢) المصدر السابق ص/٣٥٦ بتصرف

قدر لتأجيل حملته الجديدة ، أن يطول وهو منشغل بأعباء دولته وقتا طويلا ، وبعد ثلاثة عشر عاما من انتهاء حملتيه فى الشرق حمل الملك الفرنسى الصليب مرة أخرى فى ١٢٦٧م وقام فى ١٢٧٠ م ، بعد ثلاث سنوات أمضاها فى الاستعداد بحملته الصليبية الثالثة والأخيرة ،ولكن وجهتها كانت تونس فى هذه المرة وكان يهدف من وراء ذلك استمالة صاحبها محمد بن يحيى الملقب بالمستنصر إلى المسيحية الغربية ،و مواصلة الزحف على مصر خط الدفاع الأول عن بلاد الشرق الإسلامى آنذاك ،وبالقضاء عليها يمكنه استخلاص القدس بسهوله من أيدى المسلمين ، ولكنه لم يوفق إلى تحقيق حلمه العزيز ، إذ قضى نحبه وهو على أبواب قرطاجنه ،إثر مرض لم يمهله طويلا يوم الاثنين الموافق ٢٥ أغسطس سنة ١٢٧٠ وكان آخر ما هتف به وهو على فراش الموت « أورشليم - هيا إلى أورشليم » [١]

« وأما الحملة الصليبية المعروفة بالرابعة التى دعا إليها البابا « أنوسنت الثالث» [٢] بقصد امتلاك القدس ،فقد استحالت إلى عصابات ناهبة استقر زعماؤها فى القسطنطينية ،واقتسموا أشلاء الدولة البيزنطية فيما بينهم بعد أن نبذوا فكرة الحرب المقدسة ،وبعد أن سيطرت عليهم الأطماع الشخصية والمصالح المادية ، وهكذا برهنت الحملة على عمقها وعلى فشل سياسة البابوية الخارجية ،وانحلال الدافع الدينى بين كثيرمن المسيحيين ،وقد اعتبرت هذه الحملة وصمة عار فى جبين المسيحية الغربية » [٣]

---

(١) العدوان الصليبى على بلاد الشام ص/٣٦٦ ،٣٦٧ بتصرف .

(٢) أنوسنت الثالث : واسمه جوفانى لوتارى ،ولد فى سنة ١١٦١ وتوفى فى سنة ١٢١٦ ، تولى البابوية سنة ١١٩٨ وعنده ٣٨ سنة كان له موقف من فيليب ملك فرنسا ،وكان أول مشروعاته بعد ارتقائه الكرسى البابوى تحريك الناس إلى الحرب الصليبية الرابعة ،وكان له نفوذ على ملوك عصره.انظر / دائرة المعارف للبستانى ج٤ص/٧٩٦ ،٧٩٧ بتصرف - ط دار المعرفة - بيروت .

(٣) المرجع السابق ص/ ٣٦٠ وتاريخ الحروب الصليبية ج٣ ص/ ١٩٥ -١٩٨ بتصرف.

النهاية المريرة بأقلام الصليبيين

يقول ريمون الأجـويلرى : . . و عند ظهر اليوم التـاسع من حصار القـدس كانت شجاعة رجالنا قد خارت إلى حد كبير ، فقد كانوا متعبين ، وقد نال منهم الإرهاق مداه ، وكان ما يزال هناك عدد كبيـر من الأعداء يتصدون لرجالنا وكانت الأسوار عاليـة جدا وقوية ، كـما أن الموارد الهائلة والمهـارة الكبيرة الـتي أبداها العدو فى إصلاح دفاعـاته ظهرت لنا أكبر من أن نسـتطيع التغلب عليها ولكن عـندما كنا قد بدأنا نتردد ونتخاذل والعـدو قد أخذ يعمل على هزيمتنا ألهمتنا رحـمة الرب الغالبة وحولت حـزننا وأسفنا إلى سـرور ، لأن الرب لم يتخل عنا ، فـبينمـا كان هناك اجتمـاع منعقد ليقرر ما إذا كنا سـنسحب آلاتنا أم لا ، لأن بعضها كان قـد احترق وتفسخت الآلات البـاقية إلى أجزاء ، بدأ أحـد الفرسان على جبل صـهيون يلوح بسيـفه لأولئك الذين كـانوا مع « الكونت[1] » والآخـرين ، وهو يشيـر لهم بأن يتـقدمـوا ، ولم نكن قـادرين على التعـرف علي هوية هذا الفـارس ، وعند هذه الإشارة بدأ رجالنا يتـشجعون ،وبدأ البعض ينـزلون من فوق الأسوار ،على حين كان البـعض الآخر يصعـدون بالسلالم والحبال ، وأخـذ رماتنا يقذفـون القذائف النارية وبهـذا قللوا من قـوة الهـجـوم الذى كان المسلمون يـشنونه على الأبراج الخشبيـة لنا ، وكانت القذائف النارية ملفوفة مـن القطن ، هذا الوابل المنهمر من النيران أبعد المدافعيـن عن الأسوار ،ثم قام الكونت فى سرعة بمد جسر طويل كان يحمى البرج الخشبى المجاور للسور فارتطم بالسور بعد أن سقط من عل وتم تثبيته فى منتصـف البرج ليصنع جـسرا بدأ رجـالنا يدخلون منه إلى القدس فى جـسارة

---

(١) الكونت ريمون : ولد سنة ١١٤٠ ومـات سنة ١١٨٧ م ، كـونت طرابلس (١١٥٢ - ١١٨٧) لعب دورا بارزا فى السنوات الأخيرة لمملكة القـدس أيام صلاح الدين الأيوبى ثم حاربه فى معركـة حطين وتوفى بعدها بقليل ، انظر / الموسوعة العربية ج١ ص/٩١٢.

وإقدام ، وقد أراقـوا من الدماء فى ذلك اليوم كميـة لا يمكن تخيلها وعندئذ بدأت معاناة المسلمين.

ويقول : ومن الغريب على كل حال أنـه حدث فى ذلك الوقت ، عندما كانت المدينة قد سقطت فعلا فى أيدى الفـرنج ، أن كان المسلمون ما يزالون يقاتلون فى الجانب الآخـر حيث كـان « الكونت » يهاجم السـور كما لو أن المدينـة لن تسقط أبدا،ولكن مـا إن استـولى رجالنا على السـور والأبراج تجلت علامـات مدهـشة فـبعض رجـالنا - وكانت هذه رحـمة بالـغة - أطاحـوا برؤوس أعدائهم ، بينمـا رشقـهم البعض الآخـر بالسهام ،بحـيث سقطوا من الأبراج ، علـى حين عذبهم البعض فـترة طويلة بأن قذفـوهم فى النار أحياء ،وكـانت أكوام الرؤوس والأيدى والأرجل تستـرعى النظر فى شـوارع المدنية ،وكان المرء يـشق طريقة بصـعوبة بين جثث الرجال والخيول ،ولكن هذه كانت أمـورا صغيرة إذا ما قورنت بما جرى فى معبد سليمان ، وهو مكان تتم فيه عادة الخدمة الدينية ،ترى ما الذى حدث هناك؟ إذا ذكرت الحقيقة ، فإنها ستتعدى قدرتكم على التصديق ، ولذا يكفى أن أقول : إنه فى معبد سليمان كان الرجال يخوضون فى الدماء حتى ركبهم وحزام ركابهم ، والواقع أنه كان حكما عادلا ومحترما من الرب أن يمتلىء هذا المكان بدماء الكفار، لأن هذا المكان طالما عـانى من دنسهـم وامتـلأت المدينة بالجثث والدمـاء واحتـمى بعض الأعداء فى برج داود ، وتوسلوا إلى الكونت ريمون أن يحمـيهم وسلموا له البرج ، والآن تم الاستيلاء على المدينة وهى جديرة بكل أعمالنا السابقة والمصاعب التى واجـهناها لترى إخـلاص الحجـاج فى الضريح المقـدس ،كمـا كانوا سـعداء تغمرهم البـهجة وهم يغنون للرب أغنية جديدة ، لأن قلوبهم كـانت تسدى صلاة الشكر للرب ، وهم ظافرون منتصرون و هو ما تعجز الكلمات عن تصويره »[1]

---

(١) الحروب الصليبية ، نصـوص ووثائق ص/ ٢٧١ ، ٢٧٢ بتصرف وعليك أن تراجع المـزيد فى هذا الكتاب من أقوالهم ووثائقهم .

« لقد حفلت الكتابات الأوربية للعصور الوسطى بالحديث عن أكل الأوربيين للحوم العرب ، فقد حدث أثناء الحملة الصليبية الأولى أن شكا قائد وحدة عسكرية من رجالات الحملة جوع أتباعه ، وانعدام الطعام ، إلى بطرس الناسك فأشار عليه بطرس الناسك بجمع جثث قتلى المسلمين وسلخها وشيها لأكلها .

وقبل ذلك التاريخ - سنة ١٠١٨ م أغار « روجر النورماندى »[1] على الأندلس ، وقام بجمع جثث القتلى من العرب ، وأقام وليمة كبيرة لجيشه كان طعامها من لحوم هذه الجثث ، ومثل هذا قد ورد واضحا فى ملحمة « ريتشارد قلب الأسد »[2] المكتوبة فى القرن الثانى عشر ، أيام ريتشارد وأثناء الحديث عن الحملة الصليبية الثالثة وحصار مدينة عكا ، ففى أثناء ذلك أصيب ريتشارد بحمى حادة ألزمته الفراش ، وجعلته يرفض ما كان يقدم له من طعام وشراب ، وطلب فى أحد الأيام أن يقدم له شواء لحم خنزير ، وقام طباخ الملك بالتفتيش عن خنزير فلم يجد ، وهنا قال لنفسه « خذ فتى عربيا يانعا قد فارق دنياه التعيسه لتوه، عليك تنظيفه وفركه وسلخه ، وقبل أن يفسد لحمه ملحه وضع له توابل حارة وأطله بالعصفر ثم اشوه ، فعندما يتذوق مليكنا طعم هذا الشواء سيشفى من حماه الشديده وستعود له قواه ، وأكل الملك اللحم وشرب المرق ، ثم غرق فى سبات عميق أفاق بعده وقد استرد عافيته فارتدى ثيابه وحمل سلاحه وامتطى حصانه، ونزل إلى ساحة الوغى ، حيث قاتل قتالا شديدا ، وعندما عاد إلى خيمته فى المساء طرح سلاحه جانبا ونزع ثيابه ، ثم نادى طباخه وقال له أخشى عودة الحمى إلى لذلك أحضر لى رأس الخنزير ، وهنا تردد الطباخ ، وخاف من

(١) روجر الأول : وهو روجر جيسكار ، ولد فى سنة (١٠٣١) ومات فى سنة (١١٠١) انضم إلى أخيه روبرت جيسكار فى الاستيلاء علي بعض البلاد البيزنطية ، واستولى على صقلية من المسلمين ، ثم صار بعد موت أخيه أقوى ملك نورماندى فى جنوبى ايطاليا - الموسوعة العربية ج١ ص/٨٨٨

(٢) رتشارد الأول ، وهو ريكاردوس قلب الأسد ، ولد فى سنة ١١٥٧ ومات فى سنة ١١٩٩ ، وكان ملكا على انجلترا (١١٨٩ -١١٩٩) وكان رمزا انجليزيا للفروسية وذهب للحملة الصليبية الثالثة مع فيليب الثانى ملك فرنسا ، وقتل سنة ١١٩٩ (انظر الموسوعة العربية ج١ص/٩٠٦)

ملكه ، ثم أقدم على حمل رأس العربى إليه ، ووضعها أمامه على مائدته ، وفوجىء الملك فى البداية ، لكنه ما لبث أن انفجر ضاحكا ذلك أنه فهم الحكاية ، وصاح «عجبا » هل لحوم العرب طيبة ولذيذة إلى هذا الحد ؟! بحق موت الرب وصعوده ، لن تهدر حياتنا بعد اليوم جوعا ما دمنا قادرين على الهجوم، نقتل العرب ونعوض نقص المؤن لدينا ، فقد نعمنا بمذاق لحومهم ، وما علينا الآن إلا أن نشوى جثثهم أو نقليها أو . . [١]

« هذا ومما قاله صاحب كتاب « أعمال الفرنجة » وهو شاهد عيان فى استيلاء الصليبيين على مدينة حلب « فيذكر أن جيوش الصليبيين تجمعت أمام أسوارها وحاصرتها وحملت عليها حملة عنيفة من جميع نواحيها واستبسلوا استبسالا عظيما شديدا مكنهم من تثبيت السلالم على الأسوار ، غير أن قوة الكفار كانت أشد فلم يستطع رجالنا أن يصيبوهم بأدنى أذى ، وكان يوجد خلف الحصن جماعة القسس والشمامسة فى مسوحهم المقدسة وهم يصلون لله ويبتهلون إليه أن يرفع المعرة عن شعبه وأن يعلى كلمة المسيحية ويلاشى الوثنية !! إلى أن تمكن رجالنا من نقب سور البلد ، فلما رأى المسلمون أن رجالنا قد نقبوا حائطهم استولى عليهم الرعب وفروا هاربين إلى داخل المدينة ، وقد تم ذلك كله يوم السبت كانون أول - وقت صلاة الستار عند غروب الشمس ، وإذ ذاك أمر «يوهيمند » [٢] على لسان مترجمه زعماء المسلمين بالالتجاء هم ونساؤهم وأطفالهم ومتاعهم إلى قصر واقع جنوب الحصن وأخذ على نفسه عهدا أمنهم به على حياتهم بعدئذ دخل رجالنا جميعا إلى المدينة واستحوذ كل منهم لنفسه على كل قيم ثمين مما وجدوه فى المنازل والمخابئ ، فلما طلع الصباح أخذوا يقتلون كل من

---

(١) ريتشارد قلب الأسد ، ترجمة انجليزية ط نيويورك ١٩٦٦ ص/١٨٣ -١٩٢ ، نقلا عن كتاب « حطين مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس تأليف الدكتور ؟ سهيل زكار ص/٨،٧ ص دار حسان أولى .

(٢) يوهيمند الأول : ولد سنة ١٠٥٦ ، مات سنة ١١١١ وأمير أنطاكيا ١٠٩٩ - ١١١١ وأحد قواد الحملة الصليبية الأولى (انظر الموسوعة العربية ج١ ص/٤٤٩)

يعثرون عليه من أعدائهم رجلا كان أم امـرأة، حتى لم تعد ثم ناحية ما من المدنية خـالية من جـثث المسلمين ،وندر أن يجـوب المرء شـوارع البلدة دون أن يطأ تلك الجثث ، وقبض « يوهيمند » على من أمرهـم بالدخول إلى القصر الذى عينه لهم وسلبـهم كل مـا كـانوا يملكون من الذهب والفـضـة وسـواها من الحلى ،وقـتل البعض، وساق الباقين إلـى أنطاكيه ليباعوا بها ، بقى الفـرنجة فى هذه المدينة مدة شهـر وأربعة أيام ، وفى أثناء ذلك مـات « وليم »[1] أسقف أورنج ، وكـان بين رجالنا فريق لم يجد هناك ما يحتاجه ، وذلك لطول مكثه ولصعوبة التموين ولأنه لم يستطع أن يجد خارج المديـنة شيئا يستولى عليه ، وإذ ذاك أخـذ رجاله يبقرون بطون القتلى لماعلموه من أن بعـضهم كان قد ابتلع النقود ومضى غـيرهم يقطعون لحومهم قطعا ويطهونها ليقتاتوا بها .[2]

وهكذا اضطر الصليبيون إلى مغادرة المـعره « معرة النعمان » والزحف جنوبا ، تقتل وتحرق وتدمـر حتى وصلت إلى القدس ، وكانت تابعـة للحكم الفاطمى فى مصر فحاصرتها حصـارا شديدا وقاومت المدينة ،وانتظرت ورود النجدات إليها من القـاهرة ، ولكن عبـثا كـان هذا الأمل ، وأثناء الحصـار وصل إلى يافا عـدد من السفن الايطالية حاملة العتاد والأخشاب والأغـذية للفرنجة ، وقام الصليبيون ببناء عدة أبراج حصار تمكنوا بواسطتها من الاستيلاء على القدس و نترك هنا وصف ما حل بالقدس لصـاحب كتاب أعمال الفـرنجة ،وقد شارك بالأحـداث ، فها هو ذا يقول : « تقدم واحـد من فرساننا واسمـه « ليتو» واعتلى سـور المدينة ، وما كاد يرتقيه حتى هرب جـميع المدافعين عنها من الأسوار إلى داخلها ، فتعـقبهم رجالنا وأخذوا فى مطاردتهم معملين فيهم القتل والتذبيح حتى بلغوا هيكل سليمان حيث

---

(١) وليم الصورى : ولد سنة ١١٣٠ ومـات سنة ١١٨٥م مؤرخ ورئيس أسـاقفة صور ، ولـد فى مملكة القدس اللاتينية من أصل فرنسى وتقوم أهميته الرئيـسية على مؤلفاته التاريخية ونجاحه فى الحروب الصليبية إلى سنة ١١٨٤ (الموسوعة العربية ج٢ ص/١٩٦٧ بتصرف) .

(٢) حطين مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس ص/٥١ - ٥٤ بتصرف .

جرت مذبحة هائلة ، فكان رجالنا يخوضون حتى كعوبهم فى دماء القتلى ولما ولج حجاجنا جدوا فى قتل المسلمين ومطاردتهم حتى قبة عمر ، حيث تجمعوا واستسلموا لرجالنا الذين أعملوا فيهم أعظم القتل طيلة اليوم بأكمله حتى فاض المعبد كله بدمائهم وانطلق الصليبيون فى جميع أنحاء المدينة يستولون على الذهب والفضة والجياد والبغال ،كما أخذوا فى نهب البيوت الممتلئة بالثروات ، واشتد السرور برجالنا حتى بكوا من فرحتهم ،ثم سجدوا أمام قبر مخلصنا يسوع ، وقضوا واجباتهم الدينية إزاءه ،وفى صباح اليوم التالى تسلق رجالنا سطح الهيكل وهجموا على المسلمين رجالا ونساءا واستلوا سيوفهم وراحوا يعملون فيهم القتل. وصدر الأمر بطرح كافة موتى المسلمين خارج البلدة لشدة النتن المتصاعد من جيفهم ، ولأن المدينة كادت أن تكون بأجمعها مملوءة بجثثهم ، فقام المسلمون الذى قيضت لهم الحياة بسحب القتلى خارج بيت المقدس ، وطرحهم أمام الأبواب،وتعالت أكوامهم حتى حازت البيوت ارتفاعا ، وما تأتى لأحد قط أن سمع أو رأى مذبحة كهذه المذبحة التي ألمت بالشعب المسلم ،لأنهم أحرقوا فى أكوام مثل الأهرامات ، ولا يعرف أحد غير الرب كم كان عددهم »[1] وعلى أيه حال فإن « الكونت ريمون » أمر بأن يذهب الأمير « افتخار الدين » حاكم المدينة من قبل الدولة الفاطمية فى مصر آنذاك . ومن معه أحياء إلى عسقلان سالمين آمنين[2]

والحقيقة المرة أنه لم يسلم شىء من يد الصليبيين ،عثروا عليه أو مروا عليه ، فهم لم يكتفوا بقتل الرجال والتمثيل بهم ، أو قتل النساء وبقر بطونهن ، أو قتل الأطفال وأكل لحومهم ، بل راحوا يقطعون الشجر ، ويخربون المشاهد والعمران ولم يكتفوا بهذا ، بل نبشوا قبور موتى المسلمين وأخذوا توابيتهم إلى الخيم

(١) تاريخ الحروب الصليبية (ستيفن) ج١ ص٤٢٦ - ٤٢٨ بتصرف تحت عنوان المذبحة .

(٢) صاحب كتاب أعمال الفرنجة ، أو رواية الفارس المجهول ،نقلا عن كتاب الحروب الصليبية نصوص ووثائق ص/ ٢٧٢ - ٢٧٧ بتصرف وكتاب حطين مسيرة التحرير ص/ ٥٤ ،٥٥ بتصرف .

وجعلوها أوعية لطعامهم ،وسلبوا الأكفان ،وعمدوا إلى ما كان من الموتى لم تنقطع أوصاله ، فربطوا فى أرجلهم الحبال ،وسحبوهم مقابل المسلمين ،وجعلوا يقولون هذا نبيكم محمد ، وآخر يقول هذا عَلِيّكُم ،وأخذوا مصحفا من بعض المشاهد بظاهر حلب ، وقالوا : يا مسلم أبصر كتابكم ، وثقبه الفرنجى وشده بخيطين وعمله ثغرا لبرذونه [1] وأقاموا كلما ظفروا بمسلم قطعوا يديه ومزاكيره ودفعوه إلى المسلمين [2].

تلك مقتطفات نقلناها عن الحروب الصليبية ، فيما يخص تعصب المسيحية عن أناس هم أهلها ، وأبناؤها ، وقد رأوا رأى العين ،و شهدوا على أنفسهم شهادة الحق ،واعترفوا بتعصبهم ،والاعتراف سيد الأدلة ،وإن كان هذا غيضا من فيض و قليلا من كثير .

* * *

---

(١) ثغر البرذون : السير الذى يجعل من مؤخرة السرج للفرس ، يمتهن كتاب الله بجعله فى هذا المكان عند تبول الفرس .

(٢) حطين مسيرة التحرير ص/ ٥٩ ، ٦٠ بتصرف

* المبحث الثانى
صور من التعصب الصليبي ضد المسلمين واليهود

« إن المتتبـع لتاريخ العلاقات ما بـين الغرب المسيحى وشعـوب الإسلام يلاحظ حقدا مريـرا يملأ صدور الغرب الصليبى حتى درجة الجنون ، يصـاحب هذا الحقد خوف رهيب من الإسلام إلى أبعد نقطه فى النفسية الأوربية » .

هذا الحـقد ، وذلك الخـوف لا شأن لنا بهـما إن كـان مجرد إحـساس نفـسى شخـصى ، أما إذا كانا من أهـم العوامل التى تبلور مواقـف الحضارة الغـربية من الشعوب الإسـلامية سيـاسيا واقـتصاديا ، وحتى هذه السـاعـة ،فإن موقفنا يتـغير بشكل حاسم ، وسـوف تشهد لنـا أقوال قادتهم أن للغـرب ، وللحضارة العـربية بكل فروعها القـومية وألوانها السياسيـة موقفا تجاه الإسلام لا يتغـير ، إنها تحاول تدميـر الإسلام ، وإنهـاء وجود شعـوبه دون رحمة ،حـاولوا تدميـر الإسلام فى الحروب الصليـبية الرهيـبة ففشلت جـيوشهم التى هاجـمت بلاد الإسلام بالملايين فعادوا يخططون من جديد لينهضوا ، ثم ليـعودوا إلينا بجيوش حديثه وفكر جديد وهدفهم تدمير الإسلام من جديد .

وانتصرت جـيوش الغرب على أمة الإسلام - فى هـذه المرة - التى قادها أسوأ قادة عـرفهم التاريخ ، اضطهـدوا أممهم حتى سحـقوها ،وذللوا السـبل لأعدائهم . . فماذا فعلت هذه الجـيوش ، استباحت الأمة كلها ، هدمت المساجـد أو حولتها إلى كنائس ،ثم أحرقت مكتبات المسلمين ،ثم أحرقـت الشعوب نفسها ، وأوضح مثل لذلك ، ما وقع فى الأندلس ، ومن ذلك أريتريا المسلمـة وبنجلاديش وغيرها من البلاد الإسلامية » [1]

---

(١) أنظر / قادة الغرب يقولون :دمروا الإسلام أبيدوا أهله ،للشيخ جلال العالم ص/٩ - ٢٩ بتصرف ،ط دار السلام ، التاسعة سنة ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م

« ويبنى الغرب علاقـاته مع المسلمين على أساس أن الحروب الصليـبية لا تزال مستمرة بينـنا وبينه ، فـسياسة أمريكا « المسيحـية» معنا تخطط على هذا الأساس ، ويقـول « أيو جين روستـو » [1] يجب أن ندرك أن الخـلافات القـائمـة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب ،بل هى خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسـيحية ، لقد كان الصراع محتدمـا بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى وهو مـستمر حـتى هذه اللحظة بصورة مختلفـة ، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب ، وخضع التراث الإسلامى للتراث المسيحى ويتابع « إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هى جزء مكمل للعالم الغربى ، بفلسفته، وعقيدته ،ونظامه ،وذلك يجـعلها تقف معادية للعالم الشرقى الإسلامى بفلسفته وعقيدته المتمثلة فى الدين الإسلامى ،ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف فى الصف المعادى للإسـلام وإلى جانب العالم الغربى والدولة الصهـيونية لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها و فلسفتها وثقافتها ومؤسساتها .

إن « روستو» يحدد أن هدف الاستعمـار فى الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامـية ،وأن قيـام إسرائيل ، هو جـزء من هذا المخطط ، وأن ذلك ليس إلا استمرارا للحرب الصليبية ،[2] وكذلك انجلترا التى قامت بحـملاتها ضد المسلمين يقودها « اللنبى » [3] بعد أن باءت الحروب الصليـبية بالفشل فقـامت بهذه الحملة أثناء الحرب العالمية الأولى وأطلقت عليهـا اسم « الحرب الصليبية الثامنة » ،لذلك نشرت الصحف البريطانية صور اللنبى وكتب تحتها عبارته المشهورة التى قالها عندما فتح القدس ، اليـوم انتهت الحروب الصليبـية، ونشرت هذه الصحف خـبرا آخر

---

(١) أيوجين روستو : رئيس قـسم التخطيط فى وزارة الخارجية الإمريكيـة ،ومـساعد وزير الخارجيـة الأمريكية ، ومـستشار الرئيس جونـسون لشئون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧ م.

(٢) المؤامرة ومعركة المصير ص/ ٨٧ - ٩٤ بتصرف عن قادة الغرب يقولون ص/ ٣١ ، ٣٢

(٣) هو : هنرى أو موندا النبى ولد عـام ١٨٦١ مات عام ١٩٣٦ وهو قائد بـريطانى قاد الحملة البريطانيـة بمصر (١٩١٧ - ١٩١٩) فغـزا فلـسطين واستولـى على بيت المقدس ، وانتصـر على الأتراك وعين مندوبا سامـيا فى مصر فى أبريل سنة ١٩١٩ واستقال فى ربيع ١٩٢٥ م..

أن هذا الموقف ليس موقف اللنبى وحده ، بل موقف السياسة الإنجليزية كلها ، فقالت : هنأ « لويد جورج » وزير الخارجية البريطانى الجنرال « اللنبى » فى البرلمان البريطانى لإحرازه النصر في آخر حملة من الحروب الصليبية التى سماها «لويد جورج » الحرب الصليبية الثامنة والفرنسيون أيضا صليبيون ، فالجنرال «غورو » [١] عندما تغلب على جيش« ميسلون » خارج دمشق ، توجه فورا إلى قبر «صلاح الدين الأيوبى » عند الجامع الأموى وركله بقدمه وقال له « ها قد عدنا يا صلاح الدين» .

ويؤكد صليبية الفرنسيين ما قاله « مسيو بيدو » وزير خارجية فرنسا عندما زاره بعض البرلمانيين الفرنسيين ، وطلبوا منه وضع حد للمعركة الدائرة فى « مراكش» أجابهم ، إنها معركة بين الهلال والصليب .

وحزب الكتائب وشمعون يعتبرون أن حرب لبنان هى حرب صليبية وقال «راندولف تشرشل »[٢] « لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء ، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود ، وقد أصدر الكنيست اليهودى ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية ، ولن تعود إلى المسلمين فى أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود .[٣]

« واستغلت إسرائيل صليبية الغرب ، فخرج أعوان إسرائيل فى باريس بمظاهرات قبل حرب ١٩٦٧ يحملون لافتات ، سار تحت هذه اللافتات « جان بول سارتر » وقد كتبوا عليها وعلى جميع صناديق التبرعات لإسرائيل جملة واحدة من

---

(١) غورو : قائد فرنسى ، اسمه هنرى جوزيف غورا ولد بباريس سنة ١٨٦٧م عين مندوبا ساميا فى سوريا ولبنان عام ١٩٢٠ وتولى منصب الحاكم العسكرى بباريس (١٩٢٣ - ١٩٣٧) توفى سنة ١٩٤٦ اشتهر بالعنف

(٢) تشرشل : سيرونـ ـن تشرشل ، ولد عام ١٨٧٤ م سياسى بريطانى شهير من حزب المحافظين ، تقلد عدة وزارات ، ثم رأس الوزارة فى ١٠ مايو سنة ١٩٤٠ م خلال سنوات الحرب العالمية الثانية الخمس ، وتنحى عنها لخليفته ايدن ، وتوفى فى ٢٤ يناير ١٩٦٥ م.

(٣) قادة الغرب يقولون . . ص ٣٣ - ٣٦ بتصرف .

كلمتين هما « قاتلوا المسلمين » فالتهب الحماس الصليبي الغربي وتبرع الفرنسيون بألف مليون فرنك خلال أربعة أيام فقط . كما طبعت إسرائيل بطاقات معايده كتب عليها « هزيمة الهلال » بيعت بالملايين لتقوية الصهاينة الذين بواصلون رسالة الصليبية الأوربية فى المنطقة وهى محاربة الإسلام وتدمير المسلمين »[١]

نتساءل هنا : هل يشن الغرب حربا صليبية على العالم الإسلامى استجابة لظروف تاريخية التحم فيها الإسلام مع المسيحيه ، وانتزع من المسيحيه اسمها وعواصمها ؟

أم أن هناك عوامل أخرى تدفع الغرب إلى شن حروبه الصليبية ضد العالم الإسلامى ؟

يبدو من تصرحيات قادة الغرب أنهم يشنون الحرب على الإسلام لعوامل أخرى، إنهم يرونه الجدار الصلب الذى يقف فى وجه سيطرتهم على العالم واستغلالهم له .

يقول « لورانس براون » إن الإسلام هو الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى .[٢]

ويقول الحاكم الفرنسى فى الجزائر ، فى ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر « إننا لن ننتصر على الجزائريين ماداموا يقرأون القرآن ، ويتكلمون العربية فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم ، ونقتلع اللسان العربى من ألسنتهم »[٣]

ويقول أحد المبشرين : « إن القوة الكامنة فى الإسلام هى التى وقفت سدا

---

(١) طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية للأستاذ / محمد جلال كشك ص/١٨ ، ١٩ بتصرف ط المختار الإسلامى ، الثانية سنة ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م

(٢) التبشير والاستعمار ، الدكتوران / مصطفى خالدى وعمر فروخ ص/ ١٨٤ بتصرف ط منشورات المكتبة العصرية - بيروت ،الثالثة سنة ١٩٨٦ م وكذلك جذور البلاء للأستاذ / عبد الله التل ص ٢٠٢ ،٢٠٣ بتصرف ط دار الإرشاد الأولى سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م

(٣) مجلة المنار ، عدد ٩/١١/١٩٦٢ م

منيعـا فى وجه انتشار المسيحية ، وهى التى اخضعت البلاد التى كانت خاضعة للنصرانية .[١]

ويقول : « أشعيا بومان » فى مقالة نشرها فى مجلة العالم الإسلامى التبشيرية « لم يتفق قط أن شعبا مسيحيا دخل فى الإسلام ثم عاد نصرانيا » ، وإن شيئا من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربى من الإسـلام ، لهذا الخوف أسباب منها أن الإسلام منذ ظهر فى مكة لم يضعف عدديا ،بل إن أتباعه يزدادون باستمرار ، ومن أسباب الخوف أن هذا الدين من أركانه الجهاد »[٢]

وصرح « سالازار » [٣] فى مؤتمر صـحفى ، قائلا « إن الخطر الحقـيقى على حضـارتنا هو الذى يمكن أن يحدثه المسلمـون حين يغيـرون نظام العالم فلمـا سأله أحد الصحفـيين ،لكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم ونزعـاتهم ،أجابه أخشى من يخرج منهم من يوجه خلافاتهم إلينا » [٤]

ويقول :« غـاردنز » إن الحروب الصليـبية لم تكن لإنقـاذ القدس ، إنهـا كانت لتدمير الإسلام ، [٥] ولقد كان نشيد جيوش الاستعمار ،« أنا ذاهب لسحق الأمة الملعونة ، لأحارب الديانة الإسلامية ولأمحو القرآن بكل قوتى .[٦]

يقول فيليـب فونداس : « إن من الضرورى لفرنسا أن تـقاوم الإسلام فى هذا العالم وأن تنتهج سياسة عدائية للإسلام ،وأن تحاول على الأقل إيقاف انتشاره [٧]

---

(١) جذور البلاء صـ ٢٠٠ ، ٢٠١ بتصرف .

(٢) التبشير والاستعمار ص/ ١٣١ بتصرف .

(٣) انطونيو سـالازار : ولد عام ١٨٨٩ م ومات عـام ١٩٧٠ وهو رجل دوله برتغالى وعين وزيرا للمـالية ، ثم رئيـسا للحكومة (١٩٣٢ - ١٩٦٨ م).

(٤) جند الله ثقافة وأخلاقا ، للأستاذ ./ سعيد حوى ص / ١٥ بتصرف ط مكتبة وهبة الثالثة سنة ١٩٨٠ م

(٥) التبشير والاستعمار صـ١١٥ بتصرف .

(٦) قادة الغرب يقولون ص٣١ / ٦٠ بتصرف .

(٧) قادة الغرب يقولون ص/ ٦٠.

ويقول المستشرق الفرنسي « كيمون » : إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس ، وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هو مرض مريع ، وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الإنسان علي الخمول والكسل ،ولا يوقظه من الخمول والكسل إلا ليدفعه إلى سفك الدماء ،ويدمن معاقرة الخمور وارتكاب جميع القبائح ، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون فى رؤوس المسلمين ، فيأتون بمظاهر الصرع والذهول العقلى إلى ما لا نهاية ، ويعتادون على عادات تنقلب إلى طبائع أصيلة ككراهة لحم الخنزير والخمر والموسيقى ، إن الإسلام كله قائم على القسوة والفجور فى اللذات ،ويتابع قائلا ، « وأعتقد أن من الواجب إبادة خمس المسلمين والحكم علي الباقين بالأشغال الشاقة ، وتدمير الكعبة ووضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر .[1]

فهذا الهذيان المحموم من المبشر الفرنسى يوضح تناقضه وفزعه من هذا الدين وتعصبه ضده بطريقة أورثته التناقض والاضطراب ، فضلا عن توجيه الشتائم وإلصاق التهم الكاذبة ، وصرح « الكاردينال بور »[2] قائلا ، « إن المسيحيين لابد لهم من التعاون مع اليهود للقضاء على الإسلام وتخليص الأرض المقدسة .

وقال لويس التاسع ملك فرنسا الذى أسر فى دار ابن لقمان بالمنصورة فى وثيقة محفوظة فى دار الوثائق القومية فى باريس « إنه لا يمكن الانتصار على المسلمين من خلال الحرب ، وإنما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة باتباع ما يلى : إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين ، وإذا حدثت فليعمل على توسيع شقتها ما أمكن حتى يكون هذا الخلاف عاملا فى إضعاف المسلمين ، . .عدم تمكين البلاد الإسلامية والعربية أن يقوم فيها حكم صالح ،.. إفساد أنظمة الحكم فى البلاد

---

(١) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (د / محمد البهى ص /٥٥ بتصرف ط وهبة الحادية عشر سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م وجذور البلاء ص/٣ ٢ ، ٢٠٤ بتصرف .

(٢) الكاردينال بور (١٨٦٦ - ١٩٤٢ م) مستشرق هولندى ،أستاذ الفلسفة فى امستردام

الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء حتى تنفصل القاعدة عن القمة ، ، الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق وطنه عليه ، يضحى فى سبيل مبادئه ، . . العمل على الحيلولة دون قيام وحدة عربية فى المنطقة ، . العمل على قيام دولة غريبة فى المنطقة العربية تمتد ما بين غزة جنوبا ، وأنطاكية شمالا ثم تتجه شرقا ، وتمتد حتى تصل إلى الغرب » [1]

«هذا،وبعد فشل الحروب الصليبية الأولى التى استمرت قرنين كاملين فى القضاء على الإسلام،قاموا بدراسة واعية لكيفية القضاء على الإسلام وأمته وبدأوا منذ قرنين يسعون بكل قوة للقضاء على الإسلام وكانت خطواتهم كما يلى :-

أولا : القضاء على الحكم الإسلامي بإنهاء الخلافة الإسلامية المتمثلة بالدولة العثمانية. التى كانت رغم بعد حكمها عن روح الإسلام ، إلا أن الأعداء كانوا يخشون أن تتحول هذه الخلافة من خلافة شكلية إلى خلافة حقيقة يهددهم بالخطر ، وكانت فرصتهم الذهبية التى مهدوا لها طوال قرن ونصف بسقوط تركيا مع حليفتها ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى ، ودخلت الجيوش الإنجليزية واليونانية والإيطالية والفرنسية أراضى الدولة العثمانية وسيطرت على جميع أراضيها ، ومنها العاصمة « استانبول »

ولما ابتدأت مفاوضات مؤتمر «لوزان » [2] لعقد صلح بين المتحاربين اشترطت انجلترا على تركيا أنها لن تنسحب من أراضيها إلا بعد تنفيذ الشروط الآتية : -

١- إلغاء الخلافة الإسلامية ، وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله .

٢-أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .

---

(١) آخر ساعة . العدد ٦ ٢١٠ (٥آزار ١٩٧٥ م من خطبة أمير الحاج المصرى والوزير أحمد كمال وزير الرى المصرى

(٢) لوزان : مدينة فى جنوب غربى سويسرا على بحيرة ليمان ، عقدت فيها معاهدة الصلح بين تركيا والحلفاء سنة ١٩٢٣ م

٣- أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام .

٤- أن تختار لها دستورا مدنيا بدلا من دستورها المستمد من أحكام الإسلام .

وقام « كمال أتاتورك » بتنفيذ الشروط السابقة ، فانسحبت الدول المحتلة من تركيا ، ولما وقف « كرزون » وزير خارجية إنجلترا فى مجلس العموم البريطانى يستعرض ما جرى مع تركيا ، احتج بعض النواب الإنجليز بعنف على « كرزون » واستغربوا كيف اعترفت انجلترا باستقلال تركيا التي يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية مرة أخرى وتهجم على الغرب ، فأجاب «كرزون» لقد قضينا على تركيا، التى لن تقوم لها قائمة بعد اليوم ، لأننا قضينا علي قوتها المتمثلة فى أمرين «الإسلام ، والخلافة » فصفق النواب الإنجليز كلهم ، وسكتت المعارضة » [1]

ثانيا : *القضاء على القرآن ومحوه.* لأنهم يعتبرون القرآن هو المصدر الأساسى لقوة المسلمين وبقاؤه بين أيديهم حيا يؤدى إلى عودتهم إلى قوتهم وحضارتهم . كما يقول جلادستون[2]: ما دام هذا القرآن موجودا ، فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هى نفسها فى أمان كما رأينا[3].

ويقول « المبشر وليم جيفورد بالكراف »: متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى طريق الحضارة الغربية بعيدا عن محمد وكتابه » [4]

ويقول المبشر « تاكلى» يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح ضد الإسلام نفسه ، حتى نقضى عليه تماما ، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح فى القرآن

---

(١) كيف هدمت الخلافة ص / ١٩٠ عن قادة الغرب يقولون ص/ ٦٧ .

(٢) جلاد ستون وليم : (١٨٠٩ - ١٨٩٨) سياسى انجليزى ولد فى ليفربول زعيم حزب الأحرار ، ورئيس الوزارة البريطانية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

(٣) الإسلام على مفترق الطرق للأستاذ / محمد أسد ، نقله للعربية الدكتور / عمر فروخ ص/ ٣٩ بتصرف ص/ دار العلم للملايين سنة ١٩٥١ م وجذور البلاء ص/ ٢٠٣

(٤) جذور البلاء ص/ ٢٠١

ليس جديدا وأن الجديد فيه ليس صحيحا [١].

ثالثا :تدمير أخلاق المسلمين وعقولهم وصلتهم بالله وإطلاق شهواتهم .

يقول «مرما ديوك باكتول»: إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضاراتهم فى العالم

الآن بنفس السرعة التى نشروها بها سابقا ، بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التى كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول ، لأن هذا العالم الخاوى لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم » [٢]

ويقول « صموئيل زويمر » رئيس جمعيات التبشير فى مؤتمر القدس للمبشرين المنعقد عام ١٩٣٥ م « إن مهمة التبشير التى ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ليست فى إدخال المسلمين فى المسيحية فإن فى هذا هداية لهم وتكريما ، إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالى لا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها ، وبذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الإسلامية ، لقد هيأتم جميع العقول فى الممالك الإسلامية لقبول السير فى الطريق الذى سعيتم له، ألا وهو إخراج المسلم من الإسلام ،إنكم أعددتم نشأ لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ،أخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه فى المسيحية ، وبالتالى جاء النشء الإسلامى مطابقا لما أراده الاستعمار ، لايهتم بعظائم الأمور ويحب الراحة والكسل ،ويسعى للحصول على الشهوات بأىّ أسلوب ، حتى أصبحت الشهوات هدفه فى الحياة فهو إن تعلم فللحصول على الشهوات ،وإذا جمع المال فللشهوات وإذا تبوأ أسمى المراكز ففى سبيل الشهوات ، إنه يجود بكل شىء للوصول إلى الشهوات ،أيها المبشرون ، إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه»[٣]

---

(١) التبشير والاستعمار ص/ ٤٠ بتصرف

(٢) جند الله ص/ ١٥

(٣) جذور البلاء ص / ٢٧٥ ، ٢٧٦ بتصرف

ويقول صموئيل زويمر نفسه : إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتين ، مزية هدم ومزية بناء ، أما الهدم فنعنى به انتزاع المسلم من دينه ولو بدفعه إلى الالحاد، وأما البناء فنعنى به تنصير المسلم إن أمكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه » [1] ويقولون : « إن أهم الأساليب للوصول إلى تدمير أخلاق المسلم وشخصيته يمكن أن يتم بنشر التعليم العلمانى . كما قال المبشر « تكلى » يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربى العلمانى ،لأن كثيرا من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية [2]

ويقول «جب » [3] « لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئا فشيئا حتى انحصرت فى طقوس محددة ، وقد تم معظم هذا التطور تدريجيا عن غير وعى وانتباه ، وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد ، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه ، لكن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حد بعيد على القادة والزعماء فى العالم الإسلامى ، وعلى الشباب منهم خاصة ، كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمى الثقافى العلماني [4]

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى ، تأليف : ا.ل شاتليه ،ترجمة : محب الدين الخطيب ومساعد اليافى ص/٨ بتصرف ط/ السلفية « الرابعة » سنة ١٣٩٨ هـ.

(٢) التبشير والاستعمار ص /٨ بتصرف .

(٣) هاملتون جب : ولد سنة ١٨٩٥ ومات سنة ١٩٧١ وهو مستشرق انجليزى شهير درس اللغات الشرقية وعضو المجمع العلمى العربى فى دمشق والمجمع اللغوى فى القاهرة من مواليد الاسكندرية فى مصر .

(٤) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر الأستاذ / محمد محمد حسين ج٢ ص/٢١٩ ، ٢٢٠ بتصرف ط / مؤسسة الرسالة بيروت « السادسة » ١٩٧٣م

رابعا : القضاء على وحدة المسلمين

يقول القس سيمون « إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية وتساعد على التملص من السيطرة الأوربية ، والتبشير عامل مهم فى كسر شوكة هذه الحركة ، من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية » [١]

يقول المبشر « لورانس براون » [٢] « إذا اتحد المسلمون فى امبراطورية عربية ، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا ، أو أمكن أن يصبحوا أيضا نعمة له ، أما إذا بقوا متفرقين ، فإنهم حينئذ يظلون بلا وزن ولا تأثير ، ولذلك يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين ليبقوا بلا قوة ولا تأثير [٣]

ويقول « أرنولد توينبى » إن الوحدة الإسلامية نائمة ، لكن يجب أن نضع فى حسابنا أن النائم قد يستيقظ [٤].

ولذلك تم عقد مؤتمر أوربى كبير ضم أكبر نخبة من المفكرين والسياسيين الأوربيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا عام ١٩٠٧ ، الذى قال فى خطاب الافتتاح : ، إن الحضارة الأوربية مهددة بالانحلال والفناء ، والواجب يقضى علينا أن نبحث فى هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول دون انهيار حضارتنا ، واستمر المؤتمر شهرا من الدراسة والنقاش .

واستعرض المؤتمرون الأخطار الخارجية التى يمكن أن تقضى على الحضارة الغربية الآفلة فوجدوا أن المسلمين أعظم خطر يهدد أوربا . فقرر المؤتمرون وضع

---

(١) كيف هدمت الخلافة ص ١٩٠ ، عن قادة الغرب يقولون ص/ ٧٤

(٢) لورانس براون : مستشرق انجليزى له مؤلفات منها الدين فى تركيا سنة ١٩٢٩ م والثقافة الإسلامية سنة ١٩٥١ م

(٣) جذور البلاء ص / ٢٠٢ بتصرف .

(٤) الإسلام والغرب والمستقبل ص/ ٧٣ عن قادة الغرب ص / ٧٥

خطة تقضى ببذل جهودهم كلها لمنع إيجاد أى اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط ،لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوربا وكان من وراء ذلك غرس إسرائيل فى قلب العالم العربى ، أو إنشاء دولة يهودية فى فلسطين ليبقى العرب متفرقين [١]

خامسا : تشكيك المسلمين فى دينهم :

فى كتاب مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين ، يقول :إن المسلمين يَدَّعُونَ أن فى الإسلام ما يلبى كل حاجة اجتماعية فى البشر ،فعلينا نحن المبشرين أن نقاوم الإسلام بالأسلحة الفكرية والروحية [٢].

وتنفيذا لذلك وضعت كتب المستشرقين المتربصين بالإسلام ، التى لا تجد فيها إلا الطعن بالإسلام والتشكيك بمبادئه ، والغمز بنبيه محمد ﷺ.

ومن هذه الكتب موسوعة تاريخ الجنس البشرى وتقدمه الثقافى والعلمى الذى أصدرته منظمة العلوم والثقافة « اليونسكو » للأمم المتحدة فقد قالت فى الفصل العاشر من المجلد الثالث ما يلى :-

١- الإسلام ترتيب ملفق من اليهودية والمسيحية والوثنية العربية .

٢- القرآن كتاب ليس فيه بلاغة .

٣- الأحاديث النبوية وضعت من قِبَل بعض الناس بعد الرسول بفترة طويلة ونسبت إلى الرسول ﷺ.

٤-وضع الفقهاء المسلمين الفقة الإسلامى مستندين إلى القانون الرومانى والقانون الفارسى والتوراة وقوانين الكنيسة .

٥- لا قيمة للمرأة فى المجتمع الإسلامي.

(١) المؤامرة ومعركة المصير ص/ ٢٥ عن قادة الغرب ص /٧٦، ٧٧
(٢) التبشير والاستعمار ص/ ١٩١ بتصرف

٦- أرهق الإسلام أهل الذمة بالجزية والخراج (١).

وأضف على ذلك ، لمزهم فى الجهاد واتهامهم الفتوحات الإسلامية بأنها غارات عربية شرسة ، استغلت بقصد السلب والنهب ، وأن الإسلام قام على عداوة أهل الذمة وإهانتهم ، وعزلهم عن المجتمع العام ، وأن الحكم الإسلامى يصادر العقائد الأخرى ،فهكذا هم بهذا التعصب يكتبون وبذلك الحقد يسطرون ، بل بهذه الحقارة والكذب مع الحقد الأسود المتأجج فى أعلى هيئة ثقافية تابعة للأمم المتحدة ،وكذلك فيما يصرح لهم بكتابته فى كتبهم وعلى صفحات مجلاتهم وصحفهم (٢)

سادسا : إبقاء العرب ضعفاء :

يعتقد الغربيون أن العرب هم مفتاح القوة الإسلامية.

يقول « موروبيرجر » فى كتابه « العالم العربى » لقد ثبت تاريخيا أن قوة العرب تعنى قوة الإسلام ، فليدمروا العرب ليدمروا بتدميرهم الإسلام (٣)

سابعا : إنشاء ديكتاتوريات سياسية فى العالم الإسلامى:

يقول المستشرق « و . ك ، سميث » الأمريكى والخبير بشئون الباكستان : إذا أعطى المسلمون الحرية فى العالم الإسلامى ،وعاشوا فى ظل أنظمة ديمقراطية ، فإن الإسلام ينتصر فى هذه البلاد . . وبالديكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها » .

وينصح رئيس مجلة « تايم » - فى كتابه « سفر آسيا » - الحكومة الأمريكية أن تنشىء فى البلاد الإسلامية ديكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون دعوة الإسلام

---

(١) مجلة التمدن الإسلامى - مجلد ٤٤ - عدد ٧ ص /٥٠٨
(٢) سنتناول ذلك بالرد بعد ذلك إن شاء الله .
(٣) قادة الغرب يقولون ص/ ٧٩

للسيطرة على الأمة الإسلامية وبالتالى الانتصار على الغرب وحضارته واستعماره[1]

لكنهم لا ينسون أن يعطوا هذه الشعوب فترات راحة حتى لا تنفجر ، كما يقول « هانوتو »[2] وزير خارجية فرنسا « إن الخطر لايزال موجودا فى أفكار المقهورين الذين أتعبتهم النكبات التى أنزلناها بهم ، لكنها لم تثبط من عزائمهم[3]

ثامنا : إبعاد المسلمين عن تحصيل القوة الصناعية ومحاولة إبقائهم مستهلكين لسلع الغرب :

يقول أحد المسئولين فى وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢ م : إن الخطر الحقيقى الذى يهددنا تهديدا مباشرا عنيفا هو الخطر الإسلامى « ويتابع » فلنعط هذا العالم ما يشاء ،ولنقو فى نفسه عدم الرغبة فى الإنتاج الصناعى والفنى ، فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة ، وتحرر العملاق من عقدة عجزه الفنى والصناعي،أصبح خطر العالم العربى وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطرا داهما ينتهى به الغرب وينتهى معه دوره القيادى فى العالم[4].

تاسعا : سعيهم المستمر لإبعاد قادة المسلمين الأقوياء عن استلام الحكم فى دول العالم الإسلامى حتى لا ينهضوا بالإسلام :

يقول المستشرق البريطانى «مونتجومرى وات »[5] « إذا وجد القائد المناسب الذى يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام ، فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى فى العالم مرة أخرى .[6]

---

(١) جند الله ص/ ٢٠

(٢) هانوتو (١٨٥٣ - ١٩٤٤) وكان عضواً فى المجمع اللغوى الفرنسى ووزيرا فى الحكومة الفرنسية .

(٣) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص/ ٢٧ بتصرف

(٤) جند الله ثقافه وأخلاقا ص / ١٣ ، ١٤ بتصرف .

(٥) مونتجمرى وات : مستشرق انجليزى مشهور ،وكان عميد قسم الدراسات العربية فى جامعة أدنبرا ،وله دراسات وترجمات متعددة فى الدراسات الإسلامية والعربية

(٦) جريدة التايمز اللندنية ، فى أزار مارس ١٩٦٨ نقلا عن الحلول المستورده وكيف جنت على امتنا د/ يوسف القرضاوى ص / ١٠ ، ١١ ط / مؤسسة الرسالة الحادية عشر سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥

ويقول جب : إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بصورة مذهلة تدعو إلى الدهشة فهى تنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة فى أمرها ، فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة ، لا ينقصها إلا ظهور « صلاح الدين » جديد [1] ويقول ابن غوريون « أن أخشى ما نخشاه أن يظهر فى العالم العربى محمد جديد » .

عاشرا : إفساد المرأة وإشاعة الانحراف الجنسى:

تقول المبشرة : « آن مليجان » لقد استطعنا أن نجمع فى صفوف كلية البنات فى القاهرة بنات آباؤهن باشاوات وبكوات ، ولا يوجد مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات - تحت النفوذ المسيحى ، وبالتالى ليس هنالك من طريق أقرب إلى تقويض حصن الإسلام من هذه المدرسة [2] ولذلك مزيد فى المبحث القادم.

* * *

(١) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ج ٢ ص ٢٢٠ بتصرف .
(٢) التبشير والاستعمار ص /٨٧ بتصرف .

تعصب الغرب الصليبى ضد اليهود

لقد لقى اليهود فى بعض العهود ألوانا من التعذيب وصنوفا من القتل والتشريد علي أيدى بعض الدول الأوربية أو المسيحية،وكـان هذا العداء يشتد أحيانا ويخف أحيـانا ، ولكن ما يكاد اليـهود يلتـقطون أنفاسـهم إلا عاودهم النصـارى بالعداء والعذاب ونضرب على ذلك أمثله :-

١- فى بريطانيا ، أصدر الملك الإنجليزى « يوحنا » [(١)] أمرا بحبسهم فى جميع أنحـاء مملكتـه وفـى سنة ١٢٩٨ م أصـدر الملك « إدوارد الأول » [(٢)] أمرا بطرد اليهود من جميع البلاد البريطانيـة فى غضون ثلاثة أشهر إلا أن الشعب البريطانى لم يصـبر على اليـهود حـتي تنقضى تـلك المدة ، بل أخذ يقـتل منهم العشـرات والمئات، وفى قلعة « يورك » التى أحـصن بها عدد كبير من اليـهود أحرق الإنجليز أكثر من خمـسمائة يهودى ، وقد اضطر الملك لترحيلهم قبل انقضاء المدة لئلا يفتك الشعب بهم جميعا.

٢- وفى فرنـسا : تعرض اليـهود في أزمنـه مختلفـة لنقمـة الشعب الفـرنسى وغضبـه ،لأنهم دمروا اقتصاده الوطنى وخنقـوه بالربا الفاحش والمعاملات السـيئة وفى عهد لويس الـتاسع تدهورت الحالة الاقتصادية فى فرنسا ،فأصـدر أمرا بالغاء ثلث ما لليـهود على الفرنسـيين من ديون ، ثم أصدر أمرا بإحـراق جميع كتـبهم المقدسـة وخاصة التلمـود ،وخلال تولى (فيلـيب الجميل) حكم فـرنسا ، أنزل الفـرنسيـون باليهـود صنوفـا من القتل والنهب والـتشـريد ،ثم طردوا من فرنسـا

---

(١) يوحنا : ولد سنة ١١٦٧ ومات سنة ١٢٢٦ وملك انجلترا (١١٩٩ -١٢٢٦) أصـغر أبنائه هنرى الثانى وأخو ريتشـارد الأول قلب الأسد أعلن نفســه وريثا بالتآمر مـع فيليب ضد أخيـه « انظر الموسوعة العـربية ج٢ ص/ ١٩٨٨ بتصرف .

(٢) ادوارد الأول ولد سنة ١٢٣٩ ومـات سنة ١٣٠٧ وملك انجلترا سنة ١٢٧٢ - ١٣٠٧ ابن هنرى الـثالث - الموسـوعة العربية ح١ص/١٠٣

نهائيا، ولكنهم عادوا إليها بعد أن دفعوا « لفيليب » ثلثى الديون التى لهم فى فرنسا. وفى سنة ١٣٢١ م هاجمهم الشعب الفرنسى وذبح عددا كبيرا منهم ونكل بهم تنكيلا شديدا ، وفى أوائل القرن التاسع عشر حاول نابليون [١] أن يستغلهم لبلوغ مطامعه ولكنهم خانوه فاحتقرهم ،وبطش بعدد منهم ، وقال عنهم : إنهم حثالات البشر وجراثيمة ، ولم ينج اليهود من بطش الشعب الفرنسى إلا فى القرنين التاسع عشر والعشرين .

٣- وفى ايطاليا ، حاربهم البابوات حربا شعواء ، وأطلقوا عليهم اسم (الشعب المكروه) وأغروا الشعب الايطالى بهم ، فأعمل فيهم القتل والتشريد وقد أصدر البابوات مراسيم عديدة لتكفير اليهود وتسفيه ديانتهم القائمه علي التلمود .

وفى سنة ٢٤٢م أعلن البابا ،« جريجورى » التاسع [٢] اتهامات صريحه ضد التلمود الذى يطعن فى المسيح والمسيحية ، وأصدر أوامره بإحراقه ،فأحرقت جميع نسخه .

وفى سنة ١٥٤٠ م ثار الشعب الايطالى على اليهود ثورة عارمه قتل فيها الآلاف منهم وطردوا من بقى حيا خارج إيطاليا .

٤- وفى أسبانيا : ذاق اليهود من الشعب الأسبانى وملوكه صنوف الذل وألوان الهوان ولم يظفروا بالراحة إلا فى أيام الحكم الإسلامى لأسبانيا ،ثم بعدها طرد اليهود شر طرده من أسبانيا ، بعد أن ارغموا على ترك ذهبهم ونقودهم وبعد

---

(١) نابليون الأول ولد سنة ١٧٦٩ ومات سنة ١٨٢١ وهو امبراطور الفرنسيين ولد فى ١٥ اغسطس فى أجاكسيوا بجزيرة كورسيكا وهو ابن كارلوا وليتشيا بونابرت وكان قائدا للحملات الإيطالية جعلته انتصاراته الرائعه فيها بطل فرنسا المرموق .

(٢) جريجورى التاسع أو غريغوريس التاسع ، بابا الفاتيكان ، وقد تولى البابوية سنة ١٢٢٧ - ١٢٤١ انظر موسوعة المعرفة ج٩ص/١٤١٩ وما بعدها ط /١٩٨٥م.

أن نفثوا سمومهم فيها زهاء سبعة قرون وكان عددهم عندما خرجوا منها مطرودين يبلغ نصف مليون نسمة .

٥- وفى روسيا : كان يعيش نصف يهود العالم تقريبا ، خلال القرن التاسع عشر وقد استعملوا طوال مدة إقامتهم فى روسيا كل وسائلهم الخبيثة للتدمير والتخريب كما قتلوا وسرقوا وأقاموا الثورة الشيوعية فى سنة ١٩١٧ م، هذه الثورة التى كان معظم قوادها من اليهود ، ولم ينس الروس لليهود ما قاموا به نحوهم من عدوان واستغلال فانقضوا عليهم عدة مرات للتخلص منهم ، وأعملوا فيهم الذبح والقتل بلا رحمة ،وكان من أبرز المذابح التى أوقعها الروس باليهود مذبحة سنة ١٨٨١ ، ومذبحة سنة ١٨٨٢ م فقد حاول الفلاحون الروس أن يدمروا اليهود تدميرا فى هاتين السنتين فلما نشر الكاتب الروسى (نيلوس) نسخا قليلة من « بروتوكلات حكماء صهيون) سنة ١٩٠٢ م التى تفضح نيات اليهود الإجرامية تجاه العالم أجمع ، جن جنونهم خوفا وفزعا وعمت المذابح ضدهم فى روسيا حتى لقد قتل منهم فى إحداها نحو عشرة آلاف يهودى .

٦- وفى ألمانيا : وبعد فضائحهم وفسادهم واستغلالهم ، هاج الشعب الألمانى ضدهم فى أوقات مختلفة ، واستعمل معهم كل وسائل القتل والسلب والطرد ، وكان آخر ما لاقوه من عذاب وتقتيل وتشريد على يد «هتلر » [١] ابتداءا من توليته حكم ألمانيا سنة ١٩٣٣م إلى أن سقط حكمه سنة ١٩٤٥ م [٢] هذا وقد لقى اليهود ألوانا من العذاب وتعرضوا لنقمة السكان وغضبهم ، يستوى فى ذلك تاريخهم القديم والوسيط والحديث ، ولقد أنزل العالم بهم ضربات قاصمة وعقوبات

---

(١) هتلر - زعيم ألمانى ورئيس دولة يعرف كذلك بلقبه « الفوهرر » وهو أودلف هتلر ولد فى ٢ ابريل سنة ١٨٨٩ بقرية برونا النمسوية ثم أقدم على الانتحار بعد حياة مليئة بالحروب والثورات فى ١ مايو ١٩٤٥ وأحرق جثمانه بناء على وصيته . الموسوعة العربية ح٢ ص ١٣٤٠ - ١٣٤٢ بتصرف

(٢) بنو اسرائيل فى القرآن والسنة حتى ٦٢١ - ٦٢٤ بتصرف

صارمة ، شملت التنكيل والطرد والسجن والقتل ومصادرة الأموال ، ويقرر أحد الكتاب الغربيين «أن كل الأمم المسيحية اشتركت فى اضطهاد اليهود وإنزال مختلف العقوبات بهم ، وكانت القسوة مع اليهود تعد مأثرة يمتدح المسيحيون بعضهم بعضا عليها»(١)

(١) اليهودية د. أحمد شلبى ص ٧٣ بتصرف

* المبحث الثالث :
التبشير والاستشراق

« الاستشراق والتبشير توأمان تجمعهما وحدة الهدف ، هما يسيران جنبا إلى جنب ، يعملان لهدف واحد وغاية مشتركة ،هى توهين القيم الإسلامية وتفتيت وحدة المسلمين ، والسيطرة على مقدراتهم وثرواتهم ،ثم صرفهم فى نهاية المطاف عن إسلامهم وحملهم على الارتماء فى أحضانهم ، والسير فى ركبهم ،ولهذا يوليهما الاستعمار كبير عنايته ،وبالغ تأييده ،باعتبارهما الجسر الذى يعبر عليه لتنفيذ مخططاته ، وتحقيق أهدافه فى العالم الإسلامى والعربى .

كما يقول اللورد « بلفور » إن المبشرين هم ساعد جميع الحكومات المستعمرة وعضدها فى كثير من الأمور المهمة ،ولولاهم لتعذر على تلك الحكومات أن تذلل كثيرا من العقبات ،ولذلك فإنا فى حاجة إلى لجنة دائمة تعمل لما فيه صالح المبشرين [1].

كما يقول الدكتور « محمد البهى » أيضا : « إن التبشير والاستشراق كلاهما دعامة الاستعمار فى مصر والشرق الإسلامى ، فكلاهما دعوة إلى توهين القيم الإسلامية ، والغض من اللغة العربية وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب العربية، وكذا بين الشعوب الإسلامية ، والتنديد بحال الشعوب الإسلامية المعاصرة والازدراء بها فى المجالات الدولية العالمية . [2]

يحدثنا الأستاذ / كامل الشريف - وزير الأوقاف الأردنى السابق ، عن الدور الخطير الذى يقوم به كل من الاستشراق والتبشير فيقول : إن أى دراسة واعية

---

(١) قوى الشر المتحالفة ، الاستشراق والتبشير والاستعمار وموقفها من الإسلام والمسلمين للأستاذ / محمد محمد الدهان ص/٤٨ بتصرف ط/ دارالوفاء الثانية سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م

(٢) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص/ ٥٧

لطبيعة الهجمة التى عصفت بالشرق الإسلامى فى القرون الأخيرة ، ولعب فيها التبشير والاستشراق أدوارا لا تقل خطرا عن دور السياسى والجندى ، تلك الدراسة تقود حتما للقناعة بأن إضعاف العقيدة وتشتيت الفكر وتشويه الثقافة كانت هى الميادين التى اتجه إليها الهجوم ، وفيها تحدد مصير المعركة ، ومن هذه المواقع المستباحة خرجت سموم كثيرة بعضها يحمل شعارات قومية مدخولة هدفها ضرب الإسلام ، وإضعاف شوكته ، وبعضها يدمر الثقافة والحضارة باسم العلمانية، أما الهدف الحقيقى فهو تمزيق الفرد المسلم ، والجماعة المسلمة ، وإبعاد الأمة عن الأصل الأول والفكرة الموحدة التى يرتكز عليها الكيان الواحد . . [١]

على أنه إذا كان هناك فرق بين التبشير والاستشراق ، فإنما هو فى أسلوب العمل فقط لتحقيق الهدف المشترك بينهما .

فالاستشراق أخذ صورة البحث العلمى ، وادعى لنفسه الطابع العلمى بينما بقيت دعوة التبشير فى حدود مظاهر العقلية العامة الشعبية ونحو هذا .

ويقول الأستاذ / أنور الجندى : « ولا شك أن التبشير والاستشراق هما وجهان لعملة واحدة وهما متكاملان، الأول فى ميدان التربية والثانى فى ميدان الثقافة والمهمة مشتركة ، يقدم الاستشراق الشبهات والسموم ، ثم تجى وسائل التبشير الظاهرة والخفية ، فتنتشر هذه الشبهات فى أفق الفكر الإسلامى عن طريق مناهج التعليم أو المذاهب والعقائد المطروحة للدراسة والبحث فى مجال الصحافة والثقافة . وقد تخفف التبشير فى أسلوبه القديم من الدعوة الجديدة إلى عمليات التنصير ، ولكن ذلك لم يكن إلا خطوة لإحكام عمله بالتخفى وراء أساليب التربية والثقافة [٢] على تفصيل سنذكره إن شاء الله .

---

(١) جريدة المسلمون العدد / ٣ الصادر فى ٤ من جمادى الآخرة سنة ١٤٠٥ هـ

(٢) الإسلام فى وجه التغريب « مخططات التبشير والاستشراق » أنور الجندى ص/ ١١ بتصرف ط/ دار الاعتصام . بدون تاريخ

أولا : التبشير المسيحى

لقد ضرب الإسلام بعدة لطمات مخيفة ، وطعنات قاتلة من نواحى مختلفة كان أشدها خطرا وأكبرها بلاءا وأعظمها مصيبة سيل التبشير الذى تدفق علينا من ربوع الغرب ، فسمم العقول ، وضلل الأفئدة بنفثاته السامة ، ولدغاته القاتلة ، ودعاماته الواسعة النطاق التى يراد منها هدم كيان الإسلام وتقلص مجده وأفول نجمه فانشئت مكاتب الدعاية والتبشير فى مختلف البلدان الإسلامية وخصصت لها ميزانيات ضخمة وإيرادات هائلة ، وانتخب لها مجموعة برعت فى وسائل الدس والتدليس وتشويه الحقائق الناصعة ، فعاثوا فى الأرض فسادا وأوجدوا شقاقا تفرع منه جماعة الملحدين ، فكانوا أدهى وأمر ، وأنكى وأضر ، إذ دسوا السم فى الدسم ، والمسلمون فى غيهم يعمهون، وفى نومهم يغطون »[1]

وتمضى سلسلة الإرساليات التبشيرية التى طوقت العالم الإسلامى كآخر محاولات الغرب لحصار الإسلام فى عقر داره ، كما اعتقدوا ، فى نهاية القرن الماضى وبداية هذا القرن ، فما هو التبشير؟!!

١- تعريفه

التبشير من البشرى والبشر والبشارة ، مصدر لفعل بشر ، أبشر وبشر أى أخبر خبرا يؤثر فى البشرة فهو فى أصلة اللغوى يدل على التبليغ والإخبار بما يسر ويفرح حقيقة ، وبما يسوء ويحزن مجازا [2] ، واستعماله فى الحزن فيه معنى التهكم والتبكيت فى مثل قوله تعالى ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ [3] واستعماله

---

(١) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية فى مصر ، دراسة وثائقية د/ خالد محمد نعيم ص/٣٥٩ بتصرف ط / المختار الإسلامى .

(٢) راجع : معجم مقاييس اللغة ، احمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ج١ ، ص/٢٥١ ط / عيسى البابى الحلبى ط ١٣٦١ هـ ومعجم مفردات ألفاظ القران ، للراغب الأصفهانى ص ٤٥ ، ٤٦ ط دار الفكر بيروت وتفسير المنار ج ٢ ص ٢١٧

(٣) سورة الانشقاق / ٢٤

الأكثر فى الفرح .[١]

أما اصطلاحا ، فقد استخدم علما على تلك الحملة التى تولتها الصليبية فيما أسمى بتعليم الدين المسيحى ونشره بين غير المسيحيين والعمل علي جذبهم إليها [٢]

« واطلاق هذا المفهوم غير سديد لما يلى : -

١- إن كان التبشير في أصله اللغوى يدل على التبليغ والإخبار بما يسر ويفرح حقيقة وبما يسوء ويحزن مجازا ، فحمل اللفظ على الحقيقة أولى من حمله على المجاز ما لم تكن هناك قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى ، ولا قرينة.

٢- الواقع أن استعمال لفظ التبشير فيه مجاراة لما يهدف إليه القائمون به من الخداع والزيف فى استخدام ألفاظ براقة تحمل معنى السرور والفرح والبشر مما يحمل الناس على الاستعداد لقبول ما يوجه إليهم » [٣]

٣- إذا كانت كلمة تبشير ومشتقاتها قد تصلح بمعنى تحويل الوثنيين علي اختلاف فئاتهم ومستوياتهم إلى المسيحية ، وهو دين سماوى فى الأصل فإن كلمة « تبشير» لا يجوز استخدامها على أى نحو من الأنحاء ، بمعنى تحويل المسلم إلى المسيحية ، فى جزيرة العرب أو مصر أو العالم الإسلامى [٤]

٤- التبشير فى أصله لا يكون إلا بخير ، وهذا الخير فى الإسلام قال تعالى:
﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا[٥]

---

(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة د/ على جريشة ص/١٣ ، ٢٣ بتصرف ط دار الوفاء ، الثانية ،١٤٠٩ هـ
(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة ص ٢٣ بتصرف .
(٣) رسالة دكتوراه من مواقف علماء الأزهر فى الدفاع عن الإسلام من سنة ١٩٠٠ للآن إعداد الباحث / عبدالله على عبد الحميد سمك ص/٨٥ بتصرف كلية الدعوة الإسلامية ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م
(٤) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية فى مصر ، دراسة وثائقية د/ خالد محمد نعيم ص/١٣ بتصرف
(٥) سورة الأحزاب ٤٥ -٤٧

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا** ﴾ . [١]

٥- إطلاق لفظ التبشير ، أو قبولنا له من باب المجاز - الذى هو تبشير بالشر والعذاب ، تهكما ، أو من باب الخطأ الشائع ، أو على سبيل الحكاية .

٦- إن التبشير يحمل فى الوقت نفسه ، أهدافا أخرى غير تنصير غير النصراني [٢]

٧- التبشير لفظ مشترك بين جميع الدعوات وليس مختصا بدعوة دون أخرى فعلى سبيل المثال نجد اليهودى مبشرا بيهوديته ، والنصرانى مبشرا بنصرانيته ، والمسلم مبشرا بإسلامه وهكذا . [٣]

لهذا وجب على الدارس العدول عن استعمال مصطلح التبشير ، حيث إن دلالة اللفظ في أصله اللغوى تخالف حقيقة موضوعه ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر عدم اختصاصه بدعوة دون أخرى مما يستدعى الباحث الوقوف على ما يجنبه هذين الأمرين [٤]

فاللفظ الصحيح الذى يجب أن يطلق هو «التنصير» ويعنى التحويل إلى النصرانية ، نصره تنصيرا ، جعله نصرانيا [٥]

وفى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول « قال رسول الله ﷺ « **ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**

---

(١) سورة الفتح : ٨ ، ٩

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة ص/٢٣ بتصرف

(٣) التبشير فى العالم الإسلامى ، رسالة دكتوراه / إعداد الباحث / محمد زين العابدين ص ١ - ٣١ بتصرف كلية أصول الدين بالقاهرة - ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م

(٤) من مواقف علماء الأزهر فى الدفاع عن الإسلام ص ٨٥ .

(٥) القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادى ج٢ ص١٤٣ ط / المكتبة التجارية الكبرى .

كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه ، واقرأوا إن شئتم ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ . . الآية [١].

ويعتقد الصليبيون أن تنصير غيرهم أمر إلهى لايستطيعون أن يحلوا أنفسهم من تبعة واجب القيام به [٢] وحجة الصليبيين ماجاء فى إنجيل مرقس « اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل الخليقة كلها .[٣]

٢- نشأته

« لقد بدأ التبشير فى الشرق الإسلامى منذ قرون عديدة ، ولكنه كان يسير هادئا عاقلا ، وكان يتبع أساليب لا تثير الضغائن ولا تهيج الرأى العام [٤] ولكن الكنيسة أبت إلا أن تسلك طريق التعصب والتحامل على المسلمين ،ولقد كان من أخطر جنايات هذه الكنيسة دعايتها الكاذبة ضد الإسلام طوال الحروب الصليبية وبعدها ، وتصويرها له بصورة الدين الوثنى المتخلف المنحرف مما عبأ النفس الأوربية عامة بعقدة الكراهية العارمة والمقت البالغ للإسلام والمسلمين يتوارثونها كأنها من المسلمات البديهية بلا فهم ولا تمييز إلى اليوم [٥]

ويعد « ريمون لول » الأسبانى هو أول من تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية فى مهمتها فتعلم اللغة العربية بكل مشقة وتجول فى بلاد الإسلام [٦] .

---

(١) الحديث قد سبق تخريجه ، والآية ٣٠ من سورة الروم .
(٢) حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر للأستاذ / أحمد عبد الوهاب ص / ١١٣-١١٥ بتصرف ط / وهبة (الأولى) سنة ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .
(٣) إنجيل مرقس ، إصحاح ١٦ عدد / ١٥.
(٤) الاستشراق والتبشير للأستاذ / إبراهيم خليل أحمد ص / ٤٢ بتصرف .
(٥) الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام.. د / عبد الستار فتح الله سعيد ص/٣٨ بتصرف ط / دار الوفاء (الرابعة) سنة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ .
(٦) الغارة على العالم الإسلامى ص / ١٢ ، ١٣ بتصرف .

ومعلوم أن البرتغاليين قد اكتشفوا طريق رأس الرجاء الصالح وعرفوا المنافذ الضعيفة ، فطمعوا فى الاستيلاء على بلاد المسلمين وتحويلها إلى المسيحية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا [١]

« ويبدو أن الأسبان والبرتغال (وهم سكان الأندلس الإسلامية) لم يكتفوا بما فعلوه بالمسلمين فيما سمى بعصر الاسترداد ،ولكنهم عزموا على قيادة حملة واسعة لتدمير الإسلام فى أنحاء المعمورة مسترشدين بتجربتهم معه فى الأندلس وهكذا افتتح عصر تبشيرى تقوده العصبية ويغذيه الحقد ، كما سنرى » [٢].

لقد كان ميلاد التبشير مع فشل الحروب الصليبية ، تنفيذا لوصية قائد الحملة الثامنة « لويس التاسع » الذى نبه إلى قوة العقيدة الإسلامية ووقوفها فى وجه أى زحف حربى مثيرة روح الجهاد فى سبيل الله ، ومن هنا توجه التبشير إلى العقيدة، ومحاولة لقتلها بالفكر والختل بعد أن عجزوا عن قتلها بالسلاح والفتك، وآخاه الاستشراق في أكثر ميادينه وفى أكثر مراحله ،وحماه الاستعمار العسكري، ومن قبله ومن بعده النفوذ السياسى الذى كثيرا ما يعتمد على قبضة قوية من الداخل » [٣]

٣- أهدافه

« إن توهم الصليبية دعوة للدين المسيحى أمر باطل ، بل هى إحدى أدوات الاستعمار الغربى ،ولا يهمه من الدين إلا الغلبة بأى أسلوب كان حتى يكفل له سيادة الحضارة الغربية على حضارات الأمم ولاسيما أكبر حضارة فى عالمنا نحن وهى الحضارة الإسلامية التى ساوت آسيا وأفريقيا إلى أن خرجت أوربا لغزو

(١) الاستشراق والتبشير ص / ٢٤ بتصرف .

(٢) ـ أخطار التبشير فى ديار المسلمين ، محمد عبد الرحمن عوض ص / ٩ ، ١٠ ط/ دار الأنصار سنة ١٩٧٧م .

(٣) ـ الاتجاهات الفكرية المعاصرة ص / ٢٣ ، ٢٤ بتصرف .

بلاد الإسلام » [(١)].

« ومن هنا كان عمل النشاط الصليبى يقوم على : -

١- محاولة إقناع الرأى العام أن ما يقوم به الاستعمار هو عمل حضارى وإنسانى يهدف إلى ترقية البشر باعتبار أن الجنس الأبيض هو صاحب الحضارة والمسئول عن تمدين الأجناس الملونة .

٢- تحويل العقلية الإسلامية عن مفاهيمها الأساسية وإثارة الشبهات حول مقومات فكرها الإسلامى ،وذلك كمقدمة لتذويبها فى الفكر الغربى باعتباره هو الفكر العالمى المسيطر ، وبذلك يفقد العالم الإسلامى قيمته الأساسية ويستسلم للاحتواء الغربى ويسقط كفريسة ذليلة فى يده » [(٢)]

٣- « إثارة الفتنة الطائفية بين رعايا البلاد الإسلامية ومواطنيها كالذى حدث فى لبنان ، وفى مصر ظهرت بوادر أزمة كادت تودى بالشعب المصرى ، حيث شاع بين الأقباط الشعور بالظلم والحرمان كأقلية مستضعفة ، لا يزال لهذه الطائفية دور فى إثارة الفتنة الطائفية لارتباطها بالهيئات التنصيرية العالمية التابعة لدول أجنبية» [(٣)]

٤- التنفيس عن الهزيمة التى لحقت بالحملات الصليبية طوال قرنين من الزمان (٤٩٠هـ / ١٠٩٦ م . ٦٩١ هـ / ١٢٩١ ،) أنفقوهما فى محاولة الاستيلاء على بيت المقدس وانتزاعه من أيدى المسلمين الهمجيين !! [(٤)] فى زعمهم هذا ،

---

(١)- أباطيل وأسمار للأستاذ / محمود محمد شاكر ص / ٢٥٣ ط / المدنى (الثانية) سنة ١٩٧٢ .
والتبشير والاستعمار للأستاذين مصطفى خالدى ، وعمر فروخ ص / ٣٤
والتبشير والاستشراق، أحقاد وحملات الأستاذ / محمد عزت إسماعيل الطهطاوى ص / ٨٤ . . ط ، مجمع البحوث الاسلامية . سنة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

(٢) مقدمات العلوم والمناهج ، أنور الجندى حـ ٣ ص / ٣٠٩ ط/ دار الانصار بالقاهرة .

(٣)- الجذور التاريخية لإرساليات التنصير ص / ٢٣٢،٣٢٢ بتصرف ، والاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، محمد محمد حسين حـ ١ ص / ١٢٥ بتصرف .

(٤)- المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام ص / ٤٢٤ ، الملحق بكتاب الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى

..اعتراف سيد الأدلة . . . ما فى ذلك شك .

وهنا تسعفنا اعترافات أهل التبشير المسيحى - من مخططين ومنفذين - لتحديد أهداف عملهم فى العالم الإسلامى ،فلنعرض مقالاتهم ولنستمع إليهم ،وحسبنا ذلك .

يقول المؤرخ « جان دى جوانفيل » الذى رافق الملك لويس التاسع ملك فرنسا فى حملته الصليبية - سابعة الحملات :

« إن خلوته فى معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئة ليفكر بعمق فى السياسة التى كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين ، وقد انتهى به التفكير إلى تلك الآراء والمآخذ التى أفضى بها لأعوانه المخلصين ، أثناء رحلته إلى عكا مقلعا إليها من دمياط » .

وكان ما انتهى إليه « لويس التاسع » أنه لم يعد فى وسع الكنيسة أو فرنسا مواجهة الإسلام وإن هذا العبء لابد أن تقوم به أوروبا كلها لتضييق الخناق على الإسلام ثم تقضى عليه ، وليتم لها التخلص من الحائل الذى يحول دون تملكها لآسيا وأفريقيا

ويقول المؤرخ رينيه جروسيه : « إن الملك لويس التاسع كان بذلك فى مقدمة كبار ساسة الغرب الذين وضعوا للغرب الخطوط الرئيسية لسياسة جديدة شملت مستقبل آسيا وأفريقيا بأسرهما » .

وهكذا رسم «لويس التاسع» التخطيط المبدئى للسياسة التى رأى أنها تمكنه من مواجهة الإسلام والنيل من قوتة وكان من بينها : تحويل الحملات العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف الغرض نفسه لا فرق بين النوعين إلا من حيث نوع السلاح المستخدم فى المعركة وتجنيد المبشرين الغربيين فى هذه المعركة السلمية لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنويا ،اعتبار هؤلاء

المبشرين فى تلك المعارك جنودا للغرب »[1].

ويقول القس اليسوعى « ميز » فى معرض حديثة عن سياسة فرنسا الدينية فى الشرق :-

« إن الحروب الصليبية الهادئة التى بدأها مبشرونا فى القرن السابع عشر ،لا تزال مستمرة إلى أيامنا هذه ، ولقد احتفظت فرنسا طويلا بروح الحروب الصليبية، وبالحنين إلى تلك الحروب حية فى نفسها ،وكان من غايات الامتيازات الأجنبية ، دائما أن تحتفظ (فرنسا) بالدور الذى يلعبه رهبانها . . وقد اعترف لقناصلنا وسفرائنا بالحماية للنصارى ،وكثيرا ما اختارت فرنسا قناصلها وسفراءها من رجال الدين .[2]

ويقول اليسوعيون فى عرض نشاطهم التبشيرى فى الشام « ألم نكن نحن ورثة الصليبيين ، أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيرى والتمدين المسيحى ، ولنعيد فى ظل العلم الفرنسى وباسم الكنيسة مملكة المسيح »[3]

« فمن الواضح إذن أن التبشير المسيحى فى العالم الإسلامى هو فى حقيقته حرب صليبية ،و هو امتداد لتلك الحروب الصليبية الصاخبة التى بدأها الغرب المسيحى منذ تسعة قرون ، والتى فشلت فى تحقيق أهدافها ثم تعرضت للإدانة الشديدة من قبل الكثير من المسيحيين ،ومن مؤرخين ومبشرين وفلاسفة ومفكرين»[4]

فالمبشرون هم طلائع الاستعمار وهم عيونه وأرصاده ،مهمتهم الأساسية توطئة

---

(١) حقائق عن التبشير للأستاذ / عماد شرف ص ٩ ـ ١١ بتصرف ط / المختار الإسلامى القاهرة ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ص / ١٥٣ ، ١٥٤ ، بتصرف .

(٢)ـ التبشير والإستعمار للخالدى وفروخ ص١٢٧ .

(٣) نفس المصدر ص / ١١٥

(٤)ـ حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر ص ١٥٦ .

ظهورنا لدولهم وشعوبهم وحكوماتهم ثم تحويلنا إلى مطايا يركبونها وأبقار يحلبونها، ولقد استطاعوا بالمكر والخديعة وتقمص جلود الحملان أن ينتزعوا من البلاد الإسلامية فى أقل من نصف قرن ما عجزت الجيوش الصليبية الجرارة عن انتزاع عشر معشاره فى مائتى عام .

يفدون إلينا وتحت مسوحهم نفوس قذرة وضمائر خربة وقلوب خلت من كل المعانى الإنسانية ، ولقد كانوا أساس كل فتنة عمياء حدثت فى البلاد الإسلامية بما أثاروه من نعرات طائفية ودعوات شعوبية ونزعات إقليمية ، كما كانوا سببا فى تخلفها فى جميع المجالات .

وهم يزعمون أنهم حملة رسالة المسيح لإدخال العالم فى حظيرة المسيحية ولكن هل انتهوا أولا من إعادة مئات الملايين من الملحدين فى البلاد التى قدموا منها حتى يتفرغوا لنا إن كانوا صادقين فى دعواهم ؟

وهل تنهال عليهم الإعانات والمساعدات من دول وشعوب تؤمن حقا بالمسيحية وتخضع دساتيرها لتعاليمها التى تقول أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم ، وأحسنوا إلى من أساء إليكم ، ومن ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ، فى الوقت الذى نراهم فيه يتفننون فى اختراع أبشع وسائل الفتك والتدمير ، ويتنافسون على ابتلاع خيرات الشعوب ونهب ثرواتها ،

والمبشرون يعرفون كساد بضاعتهم ، ولذا فهم يعمدون إلى ترويجها بالأساليب الخادعة والوسائل الملتوية وخلف واجهات مضللة ، كافتتاح المدارس وإنشاء الملاجىء والمستشفيات ، ليصطادوا بها السذج والبسطاء ، وليتخذوا منها فى نفس الوقت أوكارا للتجسس وحبك المؤامرات ونشر الرذيلة ، ولأنهم وجدوا فى هذه المؤسسات وسيلة من أفضل وسائل الكسب الحرام ، وأسلوبا من أخبث أساليب

النصب والاحتيال (١)

ولعل الوثيقة التى تفضح التبشير والمبشرين هى ذلك الخطاب الذى ألقاه «صموئيل زويمر» . . (٢) رئيس جمعيات التبشير فى الشرق الأوسط ، فى مؤتمر القدس الذى عقده المبشرون فى عام ١٩٣٥ وهذا نصه :

«أيها الإخوان الزملاء ممن كتب الله لهم الجهاد فى سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس ، لقد أديتم الرسالة التى أنيطت بكم خير أداء ، ووفقتم لها أسمى التوفيق ، وإن كان يخيل إلى أنه مع إتمامكم العمل على أكمل وجه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه .

إنى أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين فى المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين ، لقد كانوا أحد ثلاثة : -

إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه بالإسلام ، وإما رجل مستخف بالأديان لا يبغى غير الحصول على قوته ، قد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش ، وأما الآخر فيبغى الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية .

ولكن مهمة التبشير التى ندبتكم لها الدول المسيحية فى البلاد الإسلامية ليست هى إدخال المسلمين فى المسيحية ، فإن فى هذا هداية لهم وتكريما ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالى لا صلة له بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها .

ولذلك تكونون أنتم طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الإسلامية ، وهذا ما قمتم به خير قيام ، وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم عليه دول المسيحية والمسيحيون

---

(١) ـ ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير ، تأليف / إبراهيم السليمان الجبهان ص ١٠٠ ، ١٠١ ط ـ بدون ذكر الطبعه .

(٢) ـ هو القس صموئيل زويمر ولد سنة ١٨٦٧ ، وتوفى سنة ١٩٥٢ م وكان يهوديا وقيل مات على يهوديته ، ترأس مؤتمر القاهره التبشيرى ، ومؤتمرات أخرى ، ووضع خطط للتبشير فى العالم الاسلامى .

جميعا من أجله كل التهنئة .

لقد قبضنا أيها الإخوان فى هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية المستقلة أو التى تخضع للنفوذ المسيحى أو التى يحكمها المسيحيون حكما مباشرا ، ونشرنا فى تلك الربوع مكامن التبشير المسيحى والكنائس والجمعيات وفى المدارس التى تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية ، وفى مراكز كثيرة ولدى شخصيات لا تجوز الإشارة إليها ، الأمر الذى يعود فيه الفضل إليكم أولا ، وإلى ضروب كثيرة من التعاون باهرة النتائج وهى من أخطر ما عرف البشر فى حياته الإنسانية.

إنكم أعددتم بوسائلكم الخاصة جميع العقول فى الممالك الإسلامية إلى قبول السير فى الطريق الذى مهدتم له كل التمهيد .

إنكم أعددتم نشئا لا يعرف الصلة بالله ،و لا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه فى المسيحية ، وبالتالى جاء النشء طبقا لما أراده الاستعمار لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ، فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففى سبيل الشهوات يجود بكل شيء .

إن مهمتكم تمت على أكمل وجه وقد انتهيتم إلى خير النتائج ، وباركتكم المسيحية ورضى عنكم الاستعمار فى أداء رسالتكم ، فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك - موضع بركات الله [1]

بماذا نخرج من هذا النص الخطير ؟؟؟

١- اعتراف بالعجز عن التنصير فى قوله : أقركم على أن الذين دخلوا حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين . .

---

(١) ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير ص ١٠٤ ، ١٠٧ وحقيقة التبشير بين الماضى والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ص ١٦٠ ، ١٦١ ، بتصرف .

٢- تركيزه على المهمة المركزة للتنصير ، وهى إخراج المسلم من الإسلام أو ذبذبته كما فى النص الآخر .

٣- اعترافهم بالقبض على التعليم فى جميع الممالك الإسلامية ، ولا ندرى كيف تم ذلك مع وجود الزعامات الوطنية ومع شعارات الاستقلال الزائف[١]

« والذى يعنينا هو فهم طبيعة « التبشير » وعمله ، أمر لابد منه لكل إنسان رأى بلاده نهبا ممزقا وأشلاء مقطعة من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، ومن أبعد المغرب إلى أبعد المشرق ، لأنه أحد كتائب الغزو الجديد وأفتكها بالناس ، ولذلك لا يحل لأحد ممن يتعاطى النظر فى أمور الناس فى البلاد التى وقعت نهبا للغزو الأوربى أن يغفل أمر التبشير ، ولا أن يتجاهل آثاره ، ولا أن يغض الطرف عن وسائله ، لأنه هو فى الحقيقة أقوى العوامل التى مكنت الاستعمار فى بلادنا وجعلتنا فى الحال التى نحن عليها من الضعف والتفكك ، والجهل بالأسباب الصحيحة التى تهيىء لنا مستقبلا كريما شريفا فى هذا العالم ، وسأحاول أن أوضح الأمر ما استطعت فى هذه العجالة التى لا تشفى غليلا .

« فمن تمام الجهل أن يظن المرء أن معنى التبشير هو اقتصار فئة من الرهبان أو القسوس بالدعوة إلى دينهم من حيث هو عقيدة يسمعها المرء فيرضاها أو ينكرها فهذا أمر باطل أشد البطلان ، لا من حيث الواقع فحسب ، بل من حيث شرح المبشرون أنفسهم معنى التبشير عندهم ، وهم الممارسون له ، وهم لذلك أدرى به وأشد بطلانا أن يتصور امرؤ أن التبشير بمعزل عن الغزو الحربى ، والغزو الاقتصادى ، والغزو الفكرى والسياسى وعن محاولة الجنس الأوربى المسيحى أن يخضع الأمم لسيطرة تدوم ما دامت له حضارة ،وأشد بطلانا منهما جميعا أن يخطر ببال أحد أن التبشير قد غاب عن كثيرمن الدعوات التى قام أصحابها ينادون

(١) الإتجاهات الفكرية المعاصرة د/ جريشة ص / ٢٧ ، ٢٨ بتصرف .

بضروب من الإصلاح (!!) فى بلاد العرب و فى بلاد الإسلام وفى غيرهما من البلاد ، وأنه لم يضع فيهما أصبعه ليحول معنى « الصلاح » إلى معنى التدمير والهدم والتحطيم .

ومن صدق النية واطلع على كتب المبشرين أنفسهم ، عرف أن أكثر الحركات السياسية والاجتماعية قد لوثت بمكره الخفى وأنه لم يغب عن شيء من الحركات الوطنية أو القومية أو الثقافية أو الأدبية أو ما شئت ، بل كان من ورائها عاملا يقظا شديد الخفاء بليغ الأثر ، يتزيى بكل زى على اختلاف الأمور ، لابسا لكل حالة لبوسها ، ومرسلا فيها أعوانه الذين قام على أمرهم دهرا طويلا ، حتى لا ينكشف أمرهم للغافلين عن دسائسة المدروسة المخططة الطويلة الأجل» [1]

وإذا شئت أن تعلم مقدار تكافل التبشير والسياسة وتعاونهما على إذلال الأمم والرجال وتحقيرهم وإيذائهم بأصفق ما يتسنى لإنسان من الوقاحة وغلظ الوجه وجلافة التركيب الأخلاقى وبذاءه النفس الملوثة فى داخلها بالحقد والاحتراق ، فانظر كيف جاء التبشير تحت راية الاحتلال الانجليزى ليعقد مؤتمرا فى القاهرة فيأبى على « زويمر » القس المبشر حسن خلقه ، وتمام ديانته ، وورع نفسه ، إلا أن يكون انعقاد المؤتمر فى بيت زعيم الثورة وقائدة النهضة « أحمد عرابى » المسلم العربى فيفتتح « زويمر » برئاسته هذا المؤتمر فى ٤ من إبريل سنة ١٩٠٦ فى القاهرة فى بيت عرابى ، فى باب اللوق ، والرجل يومئذ قد عاد من منفاه وحرم ماله وداره ، فهو مقيم ببيت أولاده بشارع خيرت ، وحسبك أن تعلم أن أحد هؤلاء المؤتمرين قد وقف تحت سقف هذا البيت يعرض اقتراحا بإنشاء مدرسة جامعة نصرانية تتولى كل الكنائس المسيحية الإنفاق عليها لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة . [2] ثم ختم كلامه بهذه العبارة :

---

(١) ـ أباطيل وأسمار ص ١٨٣ ـ ١٨٥ بتصرف .
(٢) هذه الدعوة تمخضت عن الجامعة الأمريكية بالقاهرة .

« ربما كانت العزة الإلهيـة قد دعتنا إلى اختيار مصر مركـر عمل لنا لنسرع بإنشاء هذا المعهد المسيحى لتنصير الممالك الإسلامية

لم يكن مؤتمرا للتبشير ، بل كان مؤتمرا لانتقام خسيس لا يصدر عن قلب سليم أبدا . وكذلك كـان فعلهم فى عشـرات من الحوادث ، وتلك كـانت مآربهم [١]

وصدق المبـشر الذى قـال « إن المكان الوحيـد فى العالم الإسـلامى الذى لا يكاد التبـشير ينفق فـيه شيئـا يذكر هو مصـر » فإنهم بعد طول اسـتيلائهم على الحياة بأساليبهم التى استخدموها كان لكل مبشر رزق يناله من قوت هذا الشعب المسلم، ويؤجر على عـمله من ماله ، فى الصحافـة ، وفى المدارس وفى المستشـفيات ، وفى كل باب دخله التبشير ، وبث فيه أعوانه مقنعين بضروب مختلفة من الثياب، ولكل طائفة منهم أسلوب قد درسوه وأحكموه ودربوا عليه .

وبعد فهذا أمر مكشوف ستاره لمن يريد أن يبصر ، وهو لم ينحدر قط علينا بهذا القدر من العنف ، والمراوغـة ، والتحايل ، ولـم ينبثق سيله من كل وجـهة وفى كل مكان ، كم انحدر وانبثق فى هذه الأيام ، وأنا أحـذر قومى ، فإن دلائل هذا التبشير واضحة فى الذى ذكرت ،وفى الذى لم أذكـره من كلام كثير يستفيض فى صحف كثيرة ومجلات .

والتبشير أداة من أدوات الاستعمار وهـما أخوان لأب وأم ، فإلحاح « التبشير » علينا بأداوته ، ودماء ، صـريحة ومتـخفيـة ،واعية وغيـر واعية ، يحـمل معنى واضحـا من إرادة التدميـر والهدم ،ونشر البـلبلة ، وافقاد الأمـة أسباب بقـائها ويرمى إلى هدف واضح قد عـمد إليه مرات من قـبل فى مصر وفى غيـر مصر ، وفى خـلال الانتفـاضـات الكبرى التـى يخشى مـعـها أن يسـترد الـعالم العـربى والإسلامى قوته وبأسه ، وينفرد بنفسه منشئا بانيا ممهدا لحضارة ترث هذه الحضارة الأوربية المسيحية فى أوان انهيارهـا هذا الذى تعيشه ، وقـد ضربت الأمثال من قبل .

(١) أباطيل وأسمار ص ١٩٤ ، ١٩٥ بتصرف .

فأنا أتخوف أن تنتهى إلى شر غاية إذا تركنا هؤلاء المفسدين العابثين يمرحون ويسرحون بلا رقيب على سوء أعمالهم وبلا وازع يردعهم عما يبغون لنا من الغوائل ، ولا يؤتى المرء إلا من غفلته ، وشر الأعمال التهاون ، ورب شرارة صارت نارا متضرمة [١]

٤- وسائل التبشير

من المعلوم أن للتبشير وسائل كثيرة يستخدمها فى مختلف المجالات التى يعمل فيها من أجل تنصير المسلمين ، أو على الأقل إخراجهم من الإسلام.

وأكتفى بعرض الوسائل الرئيسية التى يستخدمها التبشير والتى يتكون منها وسائل فرعية ، فلقد استغل الصليبيون انتشار الجهل والمرض والفقر ، فى بسط نفوذهم وتحقيق غاياتهم ، من هنا فقد استغلوا التعليم ، والخدمات الطبية ، والشئون الاجتماعية لتحقيق ما يهدفون إليه ، وذلك على النحو التالى :-

أولا : التعليم

• لقد كان التعليم أخفى وأقدم طريق عرفه الصليبيون ، وأقرته سياسة الدول الأوربية جميعا ، لأن حاجة الناس إلى العلم لا تنقطع وبخاصة فى زمن اليقظة بعد الغفوة هذه واحدة ، والأخرى أن التعليم يضمن تنشئة أجيال قد صبغوا على أيدى معلميهم بالصبغة التى يريدها المعلم ،فينشأ الطفل ويكبر حتى يصير رجلا فلا يحس فى نفسه أنه قد طبع طبعا جديدا يراد به استبقاء سيطرة الغازى عليه وعلى بلاده وتدمير أمته بمسخه هو وأقرانه إلى عبيد يذللون الطريق لأقدام السادة الطغاة من حيث لا يدرى أنه عبد مسخر [٢]

• وتمثل المؤسسات التعليمية التنصيرية سلسلة متكاملة فى التعليم تبدأ برياض

(١) أباطيل وأسمار ص / ٤١٥، ٤١٦ بتصرف .

(٢) أباطيل وأسمار / ١٨٥ بتصرف

الأطفال وتنتهى بالجامعة ، وتشمل الذكور والإناث فى جميع مراحل التعليم [١] .

وفى مصر تعتبر الإرسالية الأمريكية من أنشط الهيئات التنصيرية ،وقد أدركت أهميـة التعليم فى تحقيق أهدافها ، فأسست أول مدرسة خاصة فى بولاق سنة ١٨٢٨ م مدرسة الأمريكان الابتدائية « وافتتحت أول مدرسة للبنين سنة ١٨٥٤م ثم مدرسة أخرى للبنات سنة ١٨٥٦ م ، ثم مدرستين للبنين والبنات فى الأزبكية سنة ١٨٦١ م ، ثم كليـة رمسيس للبنات سنة ١٩٠٩م ، وتوجت الإرساليـة الأمريكية جهودها التنصيرية بإنشاء الجامعة الأمريكية سنة ١٩١٩ م [٢]

ولقد اهتم المبشرون بالتعليم اعتقادا منهم بأن المسيح كان معلما ، وكان يدعو أتباعـه دوما لنشر تعاليمه بين الناس ،كما أكد العهد الجديد على ذلك ،ولذلك فالشكل الأساسى للتعليم أنه دينى يهدف إلى نشر الفكر المسيحى ،وفى مقدمته الإنجيل ، وعلى كل من يذهب إلى مدارسهم أن يعلم ذلك ، وأن يعلم الآباء بأن أبناءهم يحضرون إلى المدرسة ليتحولوا إلى المسيحية [٣]

ولقد أبان المبشرون عن أهمية التعليم، فقالت المبشرة « أنا ميلجان » إن المدارس أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحى ، وهذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما ما قادة أوطانهم !

وتقول أيضا عن كلية البنات فى القاهرة « فى صفوف كلية البنات بالقاهرة بنات آباؤهن باشاوات وبكوات ، وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحى ، وليس ثمة طريق إلى حصن

---

(١) التبشير والاستعمار ص / ٧١ والمبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام ص ٤٢٧ بتصرف .

(٢) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير ص / ٨١ وما بعدها بتصرف .

(٣) التبشير فى منطقة الخليج العربى ، دراسة فى التاريخ الاجتماعى والسياسى للدكتور / عبد الملك خلف التميمى ص / ١٥٥ ، ١٥٦ بتصرف ط / دار الشباب ،قبرص ، ومؤسسة الكميل ، الكويت الثانية ، ١٩٨٨ م.

الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة.[1]

وقد بين «دانبى» المبشر ذلك حين ذكر التعليم ، فقال « وهكذا ينشأ الطالب معه فلسفة مسيحية للحياة »[2]

ولهذا الهدف نفسه كانت البعثات التعليمية بحيث يكون الهدف منها كما قالوا «إن الطلاب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسا يجب أن يلوثوا بالمدنية المسيحية»[3]وكذلك « إن التعليم فى مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط ، هذه الغاية هى قيادة الناس إلى المسيح وتعاليمه حتى يصبحوا أفرادا مسيحيين وشعوبا مسيحية »[4]

ولقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التى استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها فى سعيهم لتنصير سورية ولبنان [5]

« وهذا ما تعمل له أكثر الجامعات فى أوربا وأمريكا ، وسائر ما يتفرع عنها من الجامعات التى تقام تحت إشرافها فى بلاد العرب كالجامعة الأمريكية فى بيروت ، وفى مصر ، وكما بينت ذلك [6]

وتستطيع أن تجد فائدة عظيمة فى تتبع تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر فى القرنين التاسع عشر ، والعشرين ،فى رسالة كتبها الأستاذ «جرجس سلامة» وإن كان نظر إلى هذا الموضوع من غير الوجه الذى ننظر إليه منه ، ولكنه أقر فى مقدمته أن هذا التعليم قد بدأ فى مصر لأغراض دينية بحتة ، وأنه اتجه نحو

(١) أباطيل وأسمار ص ٢٥٤ ، حقيقة التبشير ١٦٦ والتبشير والاستعمار ص٨٧.
(٢) أباطيل وأسمار ص ٢٥٤
(٣) أباطيل وأسمار ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ بتصرف
(٤) التبشير والاستعمار ص ٦٦ بتصرف
(٥) التبشير والاستعمار ص ٤٦
(٦) أباطيل وأسمار ٢٥٥ بتصرف .

الاستقلال والعزلة ،حتى أصبح التعليم الأجنبى دولة داخل الدولة ، يوجه النشىء الوجهة التى يراها ، ويصبغهم بالصبغة التى يرغبها ، دون إشراف فعلى من الدولة عليه .

حتى يقول « بل بلغ الأمر إلى حد أن اشتملت الكتب المستعملة على معلومات خاطئة مضللة عن مصر ذاتها ، وكان كل ذلك يدرس لأبنائنا ، مع انعدام وجود أى توجيه قومى يوجه شبابنا الوجهة الوطنية الصحيحة.

وقال أيضا « وزاد من خطورة كل ذلك أن جميع المدارس الأجنبية دون استثناء، قد أسهمت بنصيب كبير فى إضعاف اللغة العربية ، فهى تلقى فى خضم الحياة المصرية كل عام ، من ينظرون إلى غيرهم من طبقات المتعلمين فى المدارس الحكومية الوطنية نظرة متعالية ، وينظرون إلى اللغة العربية نفس النظرة » .

وقد آثرت أن أنقل هذا كله هنا ،لأنها نظرة مسيحى دارس ،إلى هذا التعليم الأجنبى ، وهو غير مكلف أن ينظر إليه من حيث ننظر نحن ، ولكن سياق دراسته مفض إلى مثل الذى يفضي إليه المسلم ، من حيث استخدام هذا التعليم أداة لصبغ أبناء الناس بالصبغة التى يريدها هؤلاء الدعاة ، ويوجههم إلى وجهة غير صحيحة فى الوطنية أو فى غيرها من شئون الدين والدنيا ، وهذا كاف بحمد الله، فى إثبات ما نريد من استغلال التعليم لبث أفكار مدمرة فى المتعلمين على أيدى هؤلاء المبشرين»[1]

هذا . . « ولم تخف الجامعة الأمريكية دورها ، بل أعلنت صراحة فى منشور صدر عام افتتاحها ، ردا على احتجاج الطلبة المسلمين لإجبارهم على الدخول إلى الكنيسة ما يلى : « إن هذه كلية مسيحية أسست بأموال شعب مسيحى هم اشتروا الأرض وهم أقاموا الأبنية وهم أنشأوا المستشفى وجهزوه، ولا يمكن للمؤسسة أن

(١) أباطيل وأسمار ١٨٦ ، ١٨٧ بتصرف .

تستمر إذا لم يسندها هؤلاء ، وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليما يكون الإنجيل من مواده ، فتعرض منافع الدين المسيحى على كل تلميذ ،وهكذا نجد أنفسنا ملزمين بأن نعرض الحقيقة المسيحية على كل تلميذ ، وأن كل طالب يدخل إلى مؤسستنا يجب أن يعرف مسبقا ماذا يطلب منه ؟! [١]

ثانيا : الخدمات الطبية

استغل المبشرون (المنصرون) آلام الناس واتخذ الطب ستارا ومشروعا صليبيا، يقول الطبيب « بول هاربون » فى كتابه الطبيب فى بلاد العرب .

« إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى عمان بأسرها ، لقد وجدنا فى بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى [٢].

«وعن كيفية دخول اليسوعيين الأماكن النائية ، يقول أحدهم :

« فى بلاد الشرق هذه أكثر من أى مكان آخر - يعتبر الطبيب شخصا هاما ، إن تعليمه والاحترام الذى يحيط بمهنته وحياته الكريمة يكسبه خصوصا فى القرى سلطة معنوية وحجة لا تناقش تمكنه من الدخول إلى أكثر الأماكن انغلاقا بسبب الدين والتقاليد [٣].

وفى مؤتمر القاهرة التنصيرى سنة ١٩٠٦ م تحدث المستر «هاربر » وأبان وجوب الإكثار من الإرساليات الطبية ، لأن رجالها دائما يحتكون بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للصليبيين الآخرين ، وهنا ذكر المستر « هاربر » حكاية طفلة مسلمة عنى المبشرون بتمريضها بمستشفى مصر القديمة ،ثم ألحقت بمدرسة البنات البروتستانتية فى باب اللوق ،وكانت نهاية أمرها أن عرفت كيف تعتقد

(١) التبشير والاستعمار ص ١٠٥
(٢) التبشير والاستعمار ص ٥٩
(٣) البعثات اليسوعية د/ طلال عتريس ٨١ ط الوكالة العالمية للتوزيع - الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

بالمسيح بالمعنى المعروف عند النصارى » (١)

« ويتفق الصليبيون على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجيين فى المستشفيات أن يأتوا بهم إلى المعرفة المنقذة ، أو على حد قولهم معرفة ربنا يسوع المسيح ،وأن ندخلهم أعضاء عاملين فى الكنسية الحية ، ومفهوم هذا أن التطبيب وسيلة لا غاية .

وسيلة خدعوا بها مرضاهم زاعمين أن الذى يشفيهم هوالمسيح !!

ولم ينس الصليبييون مقام المرأة فى الأسرة فوجهوا اهتمامهم إلى التأثير عليها وجعلوها منصرة فى مستشفيات النساء ،وفى المستوصفات ،وأرسلوها إلى البيوت والقرى للاتصال مباشرة بالنساء ، ولم يقتصر الأمر على الطبيبات بل عملوا على إنشاء مدارس خاصة للتمريض لتخريج الممرضة التى تحمل أيضا رسالة المسيح!»(٢)

« وللإرساليات التنصيرية نشاط كبير فى هذا المجال الطبى حيث أقامت فى بضعة سنوات ٥٥٠ مستشفى للرجال والنساء وأسست ١٠٢٤ صيدلية لتوزيع الأدوية بالمجان ، ١١١ مجلسا طبيا ، ٩٣ جمعية للممرضات ، ويقوم النشاط التنصيرى بسياسة ماكرة فى مجال التطبيق تبدأ بحسن الاستقبال والبشاشة فى وجه المريض وتقديم كافة التسهيلات والإمكانات العلاجية واستغلال حاجة المريض بعد ذلك وربطه بمفاهيم صليبية خادعة يقوم بها طبيب صليبى آمن برسالته وتفانى فى خدمة دعوته ، وتربى على التضحية بكل ما يملك فى سبيلها » (٣)

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص /٢٣

(٢) التبشير والاستعمار ص ٥٩ ، ٦٤ بتصرف

(٣) راجع : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام : محمد محمود الصواف ص ١٩٢ ط / دار الاعتصام ، والجذور التاريخية لارساليات التنصير ص ١١٧،٧٧ والاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية ابراهيم خليل أحمد ص ٥٧ . الوعى العربى القاهرة ١٩٧٣ ، والتبشير والاستشراق ص ٨- ١١ ، مجلة الأزهر المجلد الأول جزء ثالث ص ٢١١ وما بعدها .

ثالثا : الشئون الاجتماعية

استغل المنصرون أوجه النشاط الاجتماعى لتحقيق النفوذ الاستعمارى وكانت حالات الفقر والحاجة سبيلا اتخذه الصليبيون إلى تلك الغاية فى مناطق متعددة ، منها على سبيل المثال لا الحصر ، ما حدث فى السنغال حيث توقع البعثات التنصيرية فيها مع عدد من الأسر الفقيرة عقودا تقوم بموجبها تلك البعثات إلى الأسر السنغالية مساعدات عينية (ضئيلة) من أرز مثلا فى كل شهر على أن يكون لها حق فى اختيار طفل من أطفال الأسرة تربيه على حسابها ويكون فى العقد مادة تنص على أن الأسرة مجبرة على رد ثمن المساعدات وعلى دفع نفقات ابنها ونفقات تعليمه إذا خالفت شروط العقد (بطلب استرداد ابنها مثلا)

وتختار البعثة التنصيرية من أطفال تلك الأسرة صبيا دون الخامسة من العمر ثم ترسله إلى مدرسة (تنصيرية طبعا) وينقطع الصبى عن أهله وينشأ تنشأة نصرانية ثم يرسل إلى فرنسا لإكمال تعلميه العالى بعدئذ يعاد إلى السنغال ليستخدم فى الأغراض التى توافق هوى فرنسا ، وحينما يعود الصبى السنغالى الذى أصبح رجلا مسيحيا فرنسيا إلى السنغال ، يمنح حق المواطن الفرنسى فى المستعمرات من حيث المستوى الاجتماعى والوظائف.

فمثلا : أنت تعلم أن كلمة « سانجور »[1] الرئيس السابق للسنغال ، معناها «سان جورج » وهو مسيحى ولكن أبويه وأخوته مسلمون »[2]

ويعمل المبشرون على استمالة المسلمين والاحتكاك بهم ، فى إطار مرسوم ، حدده أحد مؤلفيهم فيما يلى :-

إصلاح الأحداث ، الحيلولة دون الزواج المبكر ، الحيلولة دون تشغيل

---

(١) هذا الاسم الذى أطلق على الجامعة التبشيرية الحديثة بالأسكندرية على مرأى ومسمع من الأزهر والعالم الإسلامى .

(٢) التبشير والأستعمار ص / ٤٠٣

الأطفال، محاولة إصلاح الأحوال العامة للعمل فيما يتعلق بساعات العمل وبالأجور وبالأمور الصحية فى المعامل، الرفق بالحيوان ، إقامة الملاجىء لتبنى أطفال المسلمين بل خطفهم أحيانا ، لتعليمهم منذ الصغر العقيدة المسيحية .

ويمضى هذا المؤلف فى تقرير برنامجه بالسير فى الأعمال الاجتماعية على الأسس التالية : -

إيجاد بيوت الرجال والنساء وخصوصا الطلبة منهم ومنهن ،إيجاد الأندية،الاعتناء بالتعليم الرياضى ، وأعمال الترفيه ، حشد المتطوعين لأمثال هذه الأعمال .

ومن الجدير بالذكر أن سجل الخدمات الاجتماعية الصليبية حافل بأنشطة متنوعة توافق التعليم المباشر بالإنجيل وتساعده وتنميه » [1]

« إنهم يمدون يد المساعدة للمحتاجين من المرضى والفقراء ، يحاولون أن يكتسبوا صداقتهم أول الأمر كخطوة أولى عن طريق تنصريهم ، فالعامل يفتحون له باب الأمل بإيجاد ما يريده من عمل ، ومن كانت أرملة أخذوا أبنائها إلى ملاجئهم وأغدقوا عليها النعم والهدايا » [2]

رابعا : وسائل الاعلام

« أدرك المبشرون أو المنصرون خطورة الإعلام وآثارة القومية فى محاربة الأفكار والمعتقدات والترويج لأخرى يراد استبدالها بغيرها .

ومن أهم وسائل الأعلام التى ركز عليها الصليبيون واستغلوها فى دعوتهم «الصحافة » إن الصحافة لا توجه الرأى العام فقط أو تهيئه لقبول ما ينشر عليه بل

---

(١) راجع حقيقة التبشير ص / ١٨٥ ، ١٨٧ والجذور التاريخية لارساليات التنصير ص / ٣٤٤ والتبشير ص / ١٩١ ، ١٩٣ والتبشير فى العالم الإسلامى ص / ١٣٦ ١٤٣ والغارة على العالم الإسلامى ص / ١٤

(٢) أخطار التبشير فى ديار المسلمين ص ./ ١٩ ، محمد عبد الرحمن عوض ط / دار الأنصار .

هى تخلق الرأى العام وقد استغل الصليبيون الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء الصليبية أكثر مما استطاعوا فى أى بلد إسلامى آخر

واعتمد الصليبييون مدينتين لنشر صحفهم وكتبهم : القاهرة ، بيروت ، حيث اتخذ البروتستانت القاهرة مركزا لتوزيع المنشورات المسيحية فى القطر المصرى وفى جميع العالم الإسلامى .

كما أنهم أقاموا المطبعة الأمريكية فى بيروت ، تلك المطبعة التى أصبحت أهم وسائل التنصير فى الشرق كله .

أما اليسوعيون ، فقد ركزوا جهودهم فى المطبعة الكاثوليكية فى بيروت منذ عام ١٨٧١ م [١]

وبجانب الصحافة والطبع هناك وسائل الإعلام الأخرى من الإذاعات الموجهة وشاشات التلفاز ، بل إن الأقمار الصناعية أصبحت وسيلة أخرى فى خدمة التنصير حيث وافق الفاتيكان مؤخرا على مشروع ضخم تقدم به الآب الكاثوليكى « جوسانى » يتمثل فى بناء محطة تليفزيونية كبيرة للبث فى كافة أنحاد العالم «للتبشير بتعاليم الإنجيل » بواسطة ثلاثة أقمار صناعية ،حيث سمى بمشروع لومين ٢٠٠٠ والذى يعتبر الأول من نوعه من حيث الحجم واتساع مساحة البث وإمكانية السيطرة إعلاميا على كافة القارات وبالخصوص قارتى أفريقيا وآسيا التى يتواجد المسلمون فيهما بشكل مكثف [٢]

وتذكر دائرة المعارف المسيحية : أن إرساليات » التنصير أنفقت عام ١٩٧٠ م سبعين مليون دولار وفى عام ١٩٨٠ م مائة مليون دولار ،وفى عام ١٩٨٥ مائة وسبعة وعشرين مليون دولار ، وأن حركات التنصير عام ١٩٨٤ م كانت تملك

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٢١٤ بتصرف ، وأباطيل وأسمار ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ بتصرف.
(٢) المختار الإسلامى ، العدد (٧٣) السنة العاشرة رجب ١٤٠٩ هـ - فبراير ١٩٨٩ م ص٢٨

٥٨٠ محطة راديو وتـليفزيون ، وواحـد وعشرين ألف دورية منشورة على ورق ممتاز وطبـاعة فـاخرة ،وأنهـا وزعت من الأناجيل ٦٤ مليـون نسخة مـجانيـة عام ١٩٨٤ م [١]»

«فمن الغفلة التى تطمس القلب والعين والعقـل ، أن يعرف ذلك إنسان له بقية من نخوة أو كرامـة أو عقل ،ثم لا يعيد النظر في كل أمر من أمور الأمـة العربية والإسلامية ليرى أثر إصبع التبشـير العامل على تحطيم النفس العربية المسلمة ، فى كل ناحية من نواحى الحياة الأدبية والسياسية والاجـتماعية ، وليبصر عيانا صدوع التحطيم والهدم ظاهرة فى حياتنا ، وليدرك أن العدو الذى يريدنا أن نعتنق مبادىء الحضارة الغربية وأن نعيش طريقة العيش الغربية ، إنما يريد أن يقوض بناء كاملا تم كمـاله فى قـرون متطاولة ، وبقى يقـارع الخطوب والأحداث والنكبـات دهورا ، محتـفظا بقوته وكيانه ، ولم يجـترىء عليه العالم الأوربى المسـيحى إلا بعد طول تردد فى القرن التاسع عشر [٢]»

٥- أساليب التبشير

أولا : تشويه صورة الإسلام

« إن المبشرين قد برعوا فى نشر الأضاليل على كل دين غـير المسيحية وما نشر من أضاليلهم عن الإسلام لا يحصر ولا يعد ، إنها أضاليل تنشر متتابعة متكررة ، تردد فى صـور مختلفة ، وينتـهى بها التكرار والترديد إلى إيمان من تنشـر عليهم بها، وتبلغ الصفاقة إلى أن يعكسوا الحقائق عكسا تاما ، فالدين الإسلامى مثلا هو دين التوحيد الخالص ، ودين التنزيه التـام ،يشيعون عنه أنه دين عبادة الأوثان !! ويكررون ذلك فى مختلف الأمكنة والأزمنة وينتهى المسيـحيون بالاعتقاد بأن هذا

---

(١) المختار الإسلامى ، العدد (٧٧) السنة العاشرة ، ذو القعدة ١٤٠٩ هـ مايو ١٩٨٩ م ص ٦١
(٢) أباطيل وأسمار ص ٢٥٧ بتصرف

الدين إنما هو عبادة الأوثان !! [١]

« ثم هم لا ينفكون يهاجمون الإسلام . بشتى الأباطيل ،ويحاربونه بكافة المفتريات ، وإذا نحن شئنا أن نحصى أكاذيبهم كانت فيها صفحة هى أسود الصفحات فى سجل التعصب ، ويشترك فى تسويدها أعداء الإسلام قديمهم وحديثهم ،سواء منهم العلماء والرواد والقساوسة ، ورجال الحكومات والكتاب ومهما كانت قوة الإسلام وصلابته وأصالته ، فإن الواجب يحتم علينا ألا نقف مكتوفى الأيدى أمام هذا العدوان الآثم الرهيب ،فقد تنطلى هذه الأكاذيب على قلة ليس لهم من حصانة العلم والفهم ، ما يعصمهم من هذه الأخطاء وهذا الخداع فكثيرا ما يخدع من ليست لهم خبرة ودراية فى النحاس فيظونه ذهبا ، ويدفعون فيه أغلى الأسعار ، والعقيدة لا تقل أهمية عن المادة .

إننا فى صراع رهيب مع أعداء الإسلام وأباطيلهم ،ولابد لرجال الدعوة من موقف ، ومن خطة ، ومن عمل ضد هؤلاء المضللين .

نعم : إن المبشرين يهرفون بما لا يعرفون ، أو قد يعرفون ويحرفون ،وقد خلت قدراتهم من وسائل البحث ، وأنستهم أحقادهم وتعصبهم الأعمى أدوات العلم، فطعنوا فى الإسلام ولا علم لهم بحقائقه ، وتجنوا على اللغة ولا دراية لهم بأبجديتها ، واتهموا التاريخ ، ووقائعه تكذبهم » [٢]

ثانيا : من أساليب المبشرين

« ومن أساليب المبشرين : الدعوة إلى العامية ، وإضعاف اللغة العربية ، ووضع نظام يغرى باللغة الإنجليزية فى التعليم ويضعف تدريس اللغة العربية ما استطاع ويجعلها مبغضة إلى الطلبة محتقرة بقدر الإمكان ـ(ومع الأسف هذا هو

---

(١) أوربا والإسلام للأستاذ الدكتور / عبد الحليم محمود « شيخ الأزهر سابقا » ص /٣١ ، ٣٢ بتصرف ط / دار المعارف .

(٢) دفاع الإسلام ضد مطاعن التبشير د/ محمد الفاتح مرزوق ص ٤-٩ بتصرف ط / دار الاعتصام .

النظام السائد فى مدارسنا) ويختصر دراسة العربية وما يتصل بها اختصار سوف يؤدى بعد قليل إلى وجوب استمرار ضعف تعليم العربية جيلا بعد جيل » [١].

« وعن طريق اللغات الأوربية وفرض تعليمها فى مصر ، بدأت الأفكار التى تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس معتقديها ، وبدأ استغلال التعليم لأغراض دينية بحتة ، بل لبث أفكار مدمرة فى المتعلمين على أيدى هؤلاء المبشرين .

وكان من الممكن تعلم اللغات الأجنبية من كثير من الكتب والمعارف التى تفيد فى تعلم تلك اللغات فحسب ، ولكن ليس التعليم مقصودا لذاته ،لأنه يخفى من ورائه السبب الرئيس – الذى أشرنا إليه – ولذلك اختير تدريس كتب معنية ، تشتمل على مطاعن فى الإسلام وتحتوى على شبهات حول القرآن والسنة ، واتهامات ضد نبى الإسلام ،عليه الصلاة والسلام ، ومسخ الحضارة الإسلامية ، ومعلومات خاطئة لإخضاع العقل المسلم للعقل الأوربى وطرائق تفكيره ، بوسائل خبيثة من التدريس والتدمير والهدم [٢].

ولأن أحكم عروة كانت تحكم العالم الإسلامى ، على اختلاف ألسنته وأجناسه فى قارتى آسيا أوفريقية هى لغة العرب التى نزل بها القرآن ، لذلك عمل الاستعمار على محاربتها حيث كانت ، كما شهد بذلك الأستاذ « جرجس سلامة » وكما يدل عليه أيضا ما انتهت إليه مدراسنا من الاستهانة بشأن اللغة العربية ، وظهور ذلك ظهورا بينا فى جميع نواحى حياتنا التى نحياها اليوم » [٣].

ثالثا : مقاومة الأزهر وإضعاف تأثيره: يرى المبشرون أن يتوجهوا بالكتب إلى طبقتين من المسلمين على الأخص : إلى طلبة الأزهر فى مصر ، على اعتبار أن الأزهر معقل الإسلام وأن الصابىء الأزهرى – إذا اتفق ذلك – يكون عونا

(١) أباطيل وأسمار ص / ١٦٦ بتصرف.
(٢) أباطيل وأسمار ص ٢٢٦، ٢٥٧ بتصرف .
(٣) نفس المرجع ص ٢٥٧ بتصرف.

للمبشرين على زيادة التغلغل فى العالم الإسلامى :

وعلى كل فالتبشير بين الأزهريين لايزال تجربة فقط ، وإن كان المبشرون يتنظرون أن يتسع وأن يقوم فى الدرجة الأولى على الجدال والوعظ (١) .

رابعا : الدعوة إلي التسامح المشبوه والحوار المشبوه

يقولون : إن المشكلة فى العمل بين المسلمين إنما هى إيجاد الطريقة التى تساعد فعلا على الاقتراب منهم ، ثم إن ذلك الحاجز العظيم الذى يدعى عادة بالتعصب !! وهو ذلك الجدار الشاهق من الشك والاعتزاز بالذات ومن الكره، قد بناه الإسلام حول أتباعه ليحميهم فى داخله ، وليترك المبشر خارجه ، إنه جدار طالما أثبت ، مع الأسف ، أن تسلقه أو اختراقه مستحيل » (٢) .

« كما يستخدم المبشرون الحوار وسيلة للتبشير بالمسيحية ومفاهيمها بين الجماعات الإنسانية وخاصة بين المسلمين » (٣) .

خامسا : تمزيق الوحدة الإسلامية

وذلك بالدعوة إلى الشعوبية والقومية وغير ذلك : فالمبشرون حرب على كل تجمع إسلامى ، أعداء لكل وحدة إسلامية ، أيقنوا أن النصر مع الوحدة ، وأدركوا أن القوة مع الاعتصام ، فعملوا جاهدين بكل السبل على عدم وحدة المسلمين ، وتمزيق صفوفهم شر ممزق ، وذلك عن طريق دعايات كثيرة ، لا يعدمونها فى أى شيء ، وذلك بالدعوات الخاطئة ، وإثارة الحميات والعصبيات ، والقوميات والفتن الداخلية ، والحدود المصطنعة .. الخ.

---

(١) حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر ص ١٦٨

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٠

(٣) حقيقة التبشير ص ١٧٣ بتصرف

سادسا : التركيز علي المرأة المسلمة ، واستغلالها في التبشير بأكثر من أسلوب

فقد أدرك المبشرون خطورة أثر المرأة المسلمة - كأم حاليا أو مستقبلا - فى الأسرة ولذلك يقولون : بما أن الأثر الذى تحدثه الأم فى أطفالها ، ذكورا وإناثا - حتى سن العاشة من عمرهم بالغ الأهمية ، لذلك يجب استغلال هذا لصالح المهمة التبشيرية بتنصير البلاد الإسلامية [١] .

سابعا : الزيارات الميدانية

بقيام أفراد من هذه الإرساليات بعمل زيارات إلى المسلمين فى بيوتهم وأعمالهم [٢] والاختلاط بأصحاب البيوت بأى حجة ، كما يفعله الأجانب عند زيارتهم للمحافظات ويستغلون البيوت بدلا من الفنادق !!

ثامنا : الإكثار من بناء الكنائس والاهتمام بمظهرها

بحيث تكون شاهقة غريبة المنظر حتى تؤثر فى عقول الزائرين وفى عواطفهم وخيالاتهم ، فإن ذلك يقرب غير النصرانى من النصرانية ، وفى مصر خير دليل على ذلك [٣] .

تاسعا : الجمعيات العامة التبشيرية

التى كانت غايتها تحويل المسلمين إلى النصرانية ومنها جمعية الإخاء الدينى ، جمعية الإسلام والغرب وجمعيات الشباب المسيحين والعمل على استدراج المسلمين إلى تلك الجمعيات والتحكك بهم حتى يتم استماله قلوبهم [٤] .

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٢٠٣ بتصرف ، وحقيقة التبشير ص ١٨٨ بتصرف
(٢) الجذور التاريخية لارساليات التنصير الأجنبية فى مصر
(٣) حقيقة التبشير ١٧٨ ، ١٧٩ بتصرف
(٤) حقيقة التبشير ص ١٨٧ ، ١٩٠ بتصرف

عاشرا : استخدام الرشوة

عندما تخيب أساليب المبشرين فى العمل بين المسلمين لتنصيرهم ، فإنهم يلجأون إلى الرشوة ليفسدوا بها ضمائر الذين يستميلونهم [١].

والخلاصة : إنه من المعلوم أن للتبشير وسائل كثيرة يستخدمها فى مختلف المجالات التى يعمل فيها من أجل تنصير المسلمين أو على الأقل إخراجهم من الإسلام ، وقد اكتفيت هنا بعرض أهمها .

٦- مراحل التبشير

مرت المحاولات التبشيرية بالمراحل التالية :

المرحلة الأولى : تنصير المسلمين

وقد كشف ذلك بعض المبشرين بصراحة ، فقالوا : إننى أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح ، وكذلك: إن جزيرة العرب التى هى مهد الإسلام لم تزل نذير خطر للمسيحية ،وأيضا ، متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة . الخ

وهذه المرحلة لا تنفصل فصلا زمنيا عما يليها من المراحل ، لكن يبقى أن تفصل بناء على الحكم الغالب وعدم استمرارية هذه المرحلة أو الانتقال منها إلى غيرها لثبوت فشلها الذريع على مدى سنوات عديدة لم تسفر فيها إلا عن حالات معدودة سقيمة أو مخدوعة ، أفصح عنها « زويمر » فى المؤتمر بأنهم أحد ثلاثة : إما صغير اختطف من أهله ، أو لا أهل له ، أو رجل مستخف بالأديان ، أو رجل نفعى .

---

(١) المرجع السابق ص ١٩١ بتصرف

المرحلة الثانية - الخروج من الإسلام أو التذبذب فيه :

وقد جاءت تلك المرحلة لما كاد المبشرون ييأسون من تنصير المسلمين ، وقد رسم لهم هذه المرحلة « القسيس زويمر » بقوله « لا ينبغى للمبشر المسيحى أن يفشل أو أن ييأس ويقنط عندما يرى أن مساعيه لم تثمر فى جلب كثير من المسلمين إلى المسيحية ، لكن يكفى جعل الإسلام يخسر المسلمين بذبذبة بعضهم ، عندما تذبذب مسلما وتجعل الإسلام يخسره تعتبر ناجحا - أيها المبشر المسيحى - ويكفى أن تذبذبه ولو لم يصبح هذا المسلم مسيحيا .

المرحلة الثالثة : الإبعاد عن الإسلام «التغيير الإجتماعي أو التغريب أو التحديث»

وهى مرحلة متداخلة مع سابقتها أحس فيها القائمون على التخطيط أن الإخراج من الإسلام كلية صعب صعوبة التنصير ، ومن ثم كانت زحزحة عن الإخراج إلى الابعاد ليتزحزح المسلم عن الالتزام الكامل إلى الالتزام النصفى أو الربعى - بيد أن ذلك كله أخذ طريقا مرسوما - فى مجالات مختلفة فى التعليم ، وفى الإعلام ، فى تقاليد المجتمع والسياسة والحكم.[1] .

٧- مؤتمرات التبشير

« لقد شهد القرن المنصرم ، فيما شهد من مؤتمرات أعداء الإسلام ، هجمة تنصيرية عاتية ، سعت إلى تنصير أكبر عدد من المسلمين أو افسادهم ، أنفقت من أجلها أموال طائلة ، وبذلت جهود هائلة ، وأعدت خطط ، وسهرت عقول ، وتحركت الجيوش من المنصرين للعمل فى شتى بلاد المسلمين، وفى إطار المؤتمرات التنصيرية العالمية أعداد كثيرة أوردتها الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب - المعاصرة

(١) انظر بتوسع : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، د/ على جريشة ص ٤٩ - ١١٨ ط / دار الوفاء - المنصورة - الثانية سنة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م
وأساليب الغزو الفكرى : د/ على جريشة بالاشتراك ص ٤٥ - ٤٧ ط / دار الاعتصام الثالثة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م

الصادرة عن الندوة العالمية للشباب الإسلامى بالرياض [١] على النحو التالى :-

- مؤتمر القاهرة عام (١٣٢٤هـ - ١٩٠٦ م) وقد دعا إليه « زويمر » بهدف عقد مؤتمر يجمع الإرساليات التبشيرية البروتستانتية للتفكير فى مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين ، وقد بلغ عدد المؤتمرين (٦٢) شخصا بين رجال ونساء وكان زويمر رئيسا لهم .

- المؤتمر التبشيرى العالمى فى أدنبره باسكتلنده عام (١٣٢٨ هـ - ١٩١٠م) وقد حضره مندوبون عن ١٥٩ جمعية تبشيرية فى العالم .

- مؤتمر التبشير فى لكنو بالهند عام (١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م) حضره صموئيل زويمر ، وبعد انفضاض المؤتمر وزعت على الأعضاء رقاع مكتوب على أحد وجهيها (تذكار لكنو سنة ١٩١١) وعلى الوجه الآخر « اللهم يا من يسجد له العالم الإسلامى خمس مرات فى اليوم بخشوع ، انظر بشفقة إلى الشعوب الإسلامية وألهمها الخلاص بيسوع المسيح !

- مؤتمر بيروت عام (١٩١١)

- مؤتمرات التبشير فى القدس : فى عام ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م ، وفى عام ١٩٢٨ م مؤتمر تبشيرى دولى

وفى عام ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م وقد كان يضم ١٢٠٠ مندوب

وفى عام ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م

(١) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة الصادرة عن الندوة العالمية للشباب الإسلامى بالرياض فى الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م الصفحة ١٦٣ ، ١٦٤

- مؤتمر الكنائس البروتستانتية عام ١٩٧٤ م فى لوزان بسويسرا.

- وأخطر المؤتمرات ، مؤتمر كولورادو فى ١٥ أكتوبر ١٩٧٨ م تحت اسم «مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين ، حضره (١٥٠) مشتركا يمثلون أنشطة العناصر التنصيرية فى العالم ، استمر لمدة أسبوعين بشكل مغلق ،وانتهى بوضع استراتيجية بقيت سرية لخطورتها مع وضع ميزانية لهذه الخطة مقدارها ١٠٠٠ مليون دولار، وقد تم جمع هذا المبلغ فعلا وتم ايداعه فى أحد البنوك الأمريكية الكبرى .

- المؤتمر العالمى للتنصير الذى عقد فى السويد فى شهر أكتوبر ١٩٨١ م تحت إشراف المجلس الفيدرالى اللوثرانى الذى نوقشت فيه نتائج مؤتمرى لوزان وكولورادو ، وخرج بدراسة مستفيضة عن التنصير لما وراء البحار بهدف التركيز على دول العالم الثالث .

- ومن مؤتمراتهم كذلك : مؤتمر استانبول ، مؤتمر حلوان بمصر ، مؤتمر لبنان التبشيرى ، مؤتمر بغداد التبشيرى ، مؤتمر قسطنطينية التبشيرى بالجزائر وذلك قبل الاستقلال ، مؤتمر شيكاغو .

- مؤتمر مدارس التبشير فى بلاد الهند ، وكان ينعقد هذا المؤتمر كل عشر سنوات .

- مؤتمر بلتيمور بالولايات المتحدة الأمريكية ١٩٤٢ م ، وهو مؤتمر خطير جدا، وقد حضره من اليهود ،« بن جوريون »

- وبعد الحرب العالمية الثانية ،اتخذت النصرانية نظاما جديدا ، إذ ينعقد مؤتمر للكنائس مرة كل ست أو سبع سنوات متنقلا من بلد إلى آخر .

مؤتمر أمستردام - ١٩٤٨م ـ هولندا - مؤتمر ايفاتستون ١٩٥٤ م أمريكا ـ مؤتمر نيودلهى ١٩٦١ م الهند - مـؤتمر أو فتالا ١٩٦٧ م بأوربا - مؤتمر جـاكرتا ١٩٧٥م أندونيسيا ، وقد اشترك فيه ٣٠٠٠ مبشر نصرانى .

وعليه فإن أخطر هذه المؤتمرات على الإسـلام والمسلمين مؤتمران اثنان ، أولهما هذا المؤتمر الذى افتتح فى أوائل القرن الهجرى الرابع عشر فى ٤ ابريل ١٩٠٦ م بالقاهرة برئاسـة القسيـس زويمر ، والذى قام الأستـاذان محب الخطيب ومسـاعد اليافى بكشف اللثام عن مخاطره وتحذير المسلمين من منطلقاته فى كتاب حمل اسم « الغارة على العالم الإسلامى ».

أما ثانيهما - أى ثانى هذه المؤتمرات خطورة ، وهو المؤتمر الذى عقد فى أواخر القرن الهجـرى الرابع عشر فى مدنية كولورادو الأمـريكية ،وهو الذى تعرضت له هذ الدراسة بالكشف عن آفاته واستراتيجيته الخطرة .

إن المؤتمرين الذين التقوا فى «كولورادو» هم من كبار العاملين فى حقل التنصير وإن معظمـهم من أصحـاب الاختصـاصات العلمـية العـالية وبخاصـة فى العلوم الإنسانية و ، هؤلاء قـد عكسوا كل خبراتهم العلمـية فى أبحاثهم التى قدموا فـيها عصارة مهمة لهذا المؤتمر الذى أعد خصيـصا لمناقشة السبل الكفيلة بتنصير المسلمين فى العالم أجمع .

ولهـذا المؤتمر قصـة لابد من إيرادها حتى يكـون القارىء على بينة من طبـيعـة الموضوع . فـفى عام ١٩٧٤ م انعقـد مؤتمر لوزان من أجل التنصيـر ،وقد أوصى هذا المؤتمر أن تتجـه جهود التنصـير إلى المسلمين ، وكان أن صـدر قرار لوزان بأن يكون هذا المؤتمر المقترح مؤتمرا عمليا تنفيذيا يغير سياسة التنصير ووجهته .

ثم إن لجنة التنصير العالمى فى لوزان بسويسرا ، قـد تسلمت اقتراحا بعقد مؤتمر

باسم مؤتمر تنصير المسلمين فى العالم ،وأن يعقد هذا المؤتمر فى أمريكا الشمالية وقد تبنى هذا الاقتراح « بيتر واجنر » عضو معهد فوكو للتنصير العالمى ، وقام بتقديمه المبشر « دون ماكرى » الذى كان آنذاك أحد الطلاب فى ذلك المعهد وقد وافقت لجنة لوزان على تبنى عقد المؤتمر بالتعاون مع منظمة التصور العالمى على أن يكون ذلك فى خريف ١٩٧٨ ، وبالتحديد فى ١٥ / ١٠ / ١٩٧٨ م ، وقد تولى المركز العالمى للأبحاث والتنصير بكاليفورنيا عبء تقديم التمويل والمكاتب والأشخاص اللازمين لاعداد المؤتمر .

وكانت هذه أول مرة فى التاريخ يجتمع فيها هذا العدد الكبير الذى يمثل مختلف الدوائر والهيئات والمناصب التنصيرية فى العالم والتى يجمعها هدف واحد هو (كيف السبيل لتنصير المسلمين أينما كانوا) ؟

ومن خلال المداولات والمناقشات برزت الحاجة الماسة لإقامة مركز يكون معهدا للبحوث والتدريب على تنصير المسلمين،ويكون هذا المركز بمثابة جهاز عصبى ينبه إلى كل ما هو ضرورى فى هذا الصدد .

وقد أنشىء هذا المعهد بالفعل وسمى (معهد صموئيل زويمر) وذلك فى شمال كاليفورنيا ، وقد اختير « دون ماكرى » ليكون مديرا له .

إن هذا المؤتمر قد انتهى بعد أن شحن المنصرين بضرورة العمل على تنصير المسلمين ، ولقد كان عدد الذين وفدوا إلى هذا المؤتمر (١٥٠) مؤتمرا هم من أبرز قادة التنصير فى العالم ،وقد وفدوا من شتى أنحاء المعمورة ليمثلوا العديد من الشعوب والتقاليد الكنسية المختلفة والتجارب الواسعة ولقد قدموا (٤٠) موضوعا كل موضوع منها من الأهمية بمكان .

وإن القارىء لتلك الأبحاث ليشعر فى كثير من الأحيان بروح علمية تسيطر على أبحاث بعض المحاضرين والباحثين ،وتراهم يحاولون إخضاع المقاييس العلمية

لتكون فى خدمة التنصير كأدوات جديدة فى هذا السبيل .

ولأهمية هذه الموضوعات وخطورتها علــى الإسلام والمسلمين فإن المعهد العالمى للفكر الإسلامى بفيرجـينيا بالولايات المتحدة الأمريكية قد عـمد إلى ترجمة النص الإنجليزى إلى اللغـة العربية ليـضعه بين أيدى الـقراء والمهتمـين من المسلمين حتى يضـعـهم فى الصـورة ، وليكونوا على بـينة من الأمـور التى تحـاك لهم وتبـيت ضدهم، ثم ليـعرفوا الـسبيل لإنقـاذ دينهم وأنفسهم وإخـوانهم وليقـدموا الخطط الحديثة والبـديلة المكافئة والمناسبة والتى بإمكانهـا ليس فقط المحافظة على المسلمين والدفاع عنهم ضد هجـمات المنصرين ،بل نشر الإسـلام فى ربوع الأرض بما فيهم النصارى أنفسهم لأن الإسلام دين الله ، دين العالمين أجمعين [1] .

٨- نماذج من التبشير

أ- التبشير في مصر :

« وللتبشيـر فى مصر أهمية خاصة ، وتنظيم مـعين ، ويلقى من الاهتمام ما لا يلقاه غـيره وذلك لما لمصر من دور ريادى فى المنطقة العـربية ،وتخوف الإمبـريالية العالمية ، من تنامى هذا الدور، مما يؤثر على مصالحها الاسـتراتيجية ، ومخططاتها التنصيرية ، لذلك دائما وأبدا ، تحاك المؤامرات الإمـبريالية ضد مصر ، وسنعرض لشيء من ذلك الدور من خلال هذه الدراسة .

إن دراسة الجذور التاريخية للإرساليات التنصـيرية الأجنبية ، ونشاطها فى مصر الحديثة والمعاصرة ،لمسئولية ضخمـة،يجب معرفتها والتصدى لها وحمل ذلك على

---

(١) المختار الإسـلامى ، العدد ٨٣ ، بتـاريخ جـمادى الأولى ١٤١٠ هـ ،ديـسمبـر ١٩٨٩ م ص ٤٤ - ٤٩ بتصرف.

فى مقال : « تنصير المسلمين ، بحـث فى أخطر استراتيجية طرحها مؤتمر كولـورادو التنصيرى . مطلوب تنصير ٧٢٠ مليون مسلم ، بقلم عبد الرازق دياربكرلى

عاتق المسلمين .

وبالرغم من أن الحركة الإسلامية متصاعدة فى مصر ، إلا أن مؤشرات التنصير تدل على خطورة الوضع فيها ، فقد أصدر الاتحاد القبطى الأمريكى ،بيانا حول الأوضاع فى مصر نقلته مجلة « أخبار التبشير » جاء فيه « تحذير شديد مما وصف بذبح أو استبعاد المسيحيين فى مصر إذا ما طبقت الشريعة الإسلامية ، ومضى البيان يعدد خلو المناصب الهامة فى البلاد من المسيحيين « فذكر أن لا يوجد مأمور شرطة أو وكيل نيابة أو عميد كلية أو رئيس جامعة أو رئيس مجلس مدينة أو سفير من المسيحيين ،وأعاد البيان اتهامات سبق أن أوردها ضد الحكومة المصرية بأنها لا تسمح ببناء الكنائس ، ومضى البيان أخيرا إلى أسلوب التحريض والإثارة والتخويف ،فذكر « أن المتطرفين المسلمين قد تغلغلوا فى الجيش والشرطة والنظام القضائى »[1] .

« ولك أيها المسلم أن تتصور هذه المحاولات الغبية للضغط على الحكومة المصرية ، أو أن هذا ما يسمى « بالاتحاد القبطى الأمريكى » يريد أن يعود بالبلاد إلى أيام الامتيازات الأجنبية ، والاحتلال البريطانى ، وبالتحديد عند بدايات القرن العشرين عندما كانت السلطات البريطانية ، على رأسها « اللورد كورمر » تسعى جاهدة من أجل تعميق الكراهية الدينية فى نفوس المسيحيين ، وتستثير أحقادهم التاريخية ، وقد نجحت السلطات البريطانية ، فى عام ١٩٠٨ م عندما أوصلت الشقاق بين المسلمين والمسيحيين إلى دور خطير .

لقد كان هجوم الإرساليات التنصيرية الغربية التى نظمتها القوى المسيحية الأوروبية وغيرها فى بداية القرن التاسع عشر ، امتدادا لحلقات الحروب الصليبية وحتى اليوم ولكن بطرق سلمية !! ، والواقع أنه بعد أن فشلت الحملات الصليبية

١- الجذور التاريخية ص ٢٠ ، ٢٢ بتصرف

فى مهمتها أخذت القوى المسيحية الغربية ، تعمل على تحويل العالم الإسلامى إلى المسيحية ، أو القضاء على الإسلام فيه ، باعتباره قوة أساسية ، ومصدرا للانتصارات والمقاومة وذلك عن طريق الإرساليات التنصيرية والتى تقوم بمحاولات صليبية بإخراج المسلمين عن الإسلام ، وإخضاع العالم الإسلامى كله لتطويعه للغرب أو إخضاعه للثقافة الغربية والنفوذ المسيحى .

وبدأت عملية الغزو التنصيرى المنظم لمصر وغيرها من دول المشرق الإسلامى مع بدايات القرن التاسع عشر نتيجة للعوامل التى أعدتها القوى المسيحية الغربية وغيرها ، كالامتيازات الأجنبية ، وتميز نفوذ القناصل الأجانب ، وسيطرت الحكومات المسيحية الغربية وغيرها على كثير من الأمراء والحكام المسلمين كالخديوى إسماعيل [١] فى مصر ، على سبيل المثال [٢] .

« لقد بدأ نشاط الإرساليات التنصيرية فى مصر مع عهد « محمد على » عام ١٨٠٥ - ١٨٤٨ م » حيث يرجع أول إنشاء المؤسسات التعليمية التنصيرية الأجنبية فى مصر إلى عام ١٨٤٠ م وأول ما ظهر منها « مدرسة الآباء لأرنست بالأسكندرية، وأطلقوا عليها (الكلية الفرنسية) وفى ذات العام ، أسست الجمعية الأنجليكانية البروتستانية بالقاهرة .

وفى عهد الخديوى إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) اتسع نشاط هذه الإرساليات، فقد عمل الخديوى نفسه على تشجيعها إرضاء للدول الأوربية المسيحية التى كانت تمده بالقروض التى طلبها ،وكان عمل الإرساليات التنصيرية فى مصر ، قد أخذ طريقه إلى مجالين أساسين فى البداية إنشاء المدارس والمعاهد

---

(١) اسماعيل : (١٨٣٠ - ١٨٩٥) ولد فى القاهره ، ابن ابراهيم بن محمد على ، تولى حكم مصر سنة ١٨٦٣ ، وعزل سنة ١٨٧٩ م وتوفى بالأستانة قام بمشروعات متنوعه ، لكنه بالغ فى إسراف المال فوقعت مصر فى عجز بسبب الديون مما أدى إلى تدخل البلاد الأجنبية .

(٢) الجذور التاريخية لارساليات التنصير - ٢٠ - ٢٢ بتصرف

البروتستانتينية والكاثوليكية ،وتأليف كتائب طبية للتنصير ،تحت شعار تقديم الخدمات الطبية .

وبعد أن وطدت الإرساليات وجودها فى مصر ، أخذت الحكومة التنصيرية تمارس نشاطها من خلال بعض المراكز العلمية الأجنبية ،تحت سمع وبصر الحكومة، وفى حماية الاحتلال البريطانى ، الذى سيطرت قواته على مقاليد الأمور فى مصر كلها منذ عام ١٨٨٢ وحتى عام ١٩٥٢ م .

وقد ظهر بوضوح نشاط هذه الإرساليات فى ثلاثينيات القرن العشرين ،مما دفع بالقوى الشعبية الإسلامية أن تتصدى لهذه الممارسات ، التى كانت تستهدف الإسلام والمسلمين ،فتألفت الجمعيات والروابط الشعبية الإسلامية وأخذت تحارب وتقاوم محاولات المنصرين الأجانب ،تحويل الصبية والفتيات إلى المسيحية ،وكانت الإرساليات قد استخدمت وسائل كثيرة من الضغط وحتى التنويم المغناطيسى ، لتنصير هؤلاء المسلمين فى مصر » (١).

ب- التبشير في الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي :

«من المبررات التى كان يستند إليها المبشرون لـلتبشير فى هذه المنطقة أن - الجزيرة العربية كانت فى يوم من الأيام قبل الإسلام متأثرة بالمسيحية ، ويجب إعادتها إليها ! كما رأوا فى مكانة المسيح فى القرآن الكريم وسيلة ومدخلا لإقناع العرب المسلمين بالمسيحية (٢) .

« وكما هو الحال فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية فقد قام التوسع الغربى بإعادة المسيحية إلى بلاد العرب ، وقد شعر مسيحو الغرب إبان التوسع الغربى

---

(١) الجذور التاريخية ص ٢٤ بتصرف .

(٢) التبشير فى منطقة الخليج العربى ، دراسة فى التاريخ الإجتماعى والسياسى ، د/ عبد الملك خلف التميمى ص / ٩ بتصرف . .

بأنهم كانوا فى مركز يسمح لهم بأن يبدأوا نشاطهم الدينى فى بلاد العرب ، وقد بدأت الإرساليات الغربية عملياتها فى هذه المنطقة منذ مطلع القرن الثامن عشر فى الشام قبل أن يقوم الاستعمار بتجزئتها إلى عدة مناطق أو دويلات .

وكان نشاطهم فيها محدودا ، حيث اقتصر على مدارس متفرقة قليلة وبعض معاهد اللاهوت ونشر الكتب الدينية .

وكان جميع المبشرين كاثوليك ، وغالبيتهم من الفرنسيين .

وأول إرسالية أمريكية بروتستانتية وصلت إلى سوريا فى سنة ١٨٣٠ م ثم حطوا رحالهم فى بيروت وجعلوا منها أهم مركز لهم .

وقد استطاعوا التأثير فى الناس عن طريق التعليم والطب .

وعندما بدأوا يحسون بالاستقرار شعروا أن الوقت قد جان لفتح ميادين جديدة، والواقع أن جهود الإرساليات المسيحية للانتقال إلى شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربى بدأت مع « هنرى مارتن » سنة ١٨١١ م وكان أهم ما قام به من أعمال ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية والمحاولة التى قام بها لبيع بعض النسخ منه ، واستمرت المحاولات والأعمال التبشيرية بعد ذلك » (١) .

ج - كيف ستتحول أندونيسيا إلى النصرانية :

رغم قلة عدد النصارى « الكاثوليكين والبروتستانتيين » فى أندونيسيا آلا أن أنشطتهم ظهرت بكثافة ، الأمر الذى اعتبره المسلمون تحديا لهم ، وذلك لأن أنشطتهم مخططة ومدعومة بالرجال المؤهلين والأموال الهائلة .

ففى شرق أندونيسيا كانت الأنشطة المسيحية مدعومة من الجهات الخارجية ،

---

(١) نفس المصدر ص / ٣٣ ، ٣٤ بتصرف

سواء كانت رجالا مبشرين - منصرين - أو مساعدات مالية أو وسائل لازمة وكان الرجال المبشرون يحتكون بالمواطنين الأصليين قائلين إن مهمتهم تكون لمجرد البحث العلمى الميدانى ، لكن بعد فترة من الزمان قاموا بالتقرب إلى المواطنين لترجمة الإنجيل إلى لغاتهم .

وتسهيلا للقيام بالمهمة التنصيرية استعانت الجهات النصرانية بالطائرات التى كانت تملكها ، نظرا لأن ميادين أعمالهم قد يصعب الوصول إليها بالسيارات العادية ، وحسب الإحصائية ، ففى عام ١٩٨٧ م قامت ست من المؤسسات المسيحية التابعة للجهات الأجنبية بالأعمال التنصيرية فى مناطق أندونيسيا الشرقية باستخدام ٣٢ طائرة من عدة أنواع .

وكان مركز هدفها التنصيرى جزيرة أيريان بما فى ذلك الجزء الشرقى منها وهو دولة بابوانيوغينيا وجزر مالوكو وجزيرة سولاوس وجزر نوساتنقارا الشرقية وجزيرة كاليمانتان .

وكانت محافظة تيمور الشرقية مركزا للأنشطة الكاثوليكية ،حيث إن مجلس الأساقفة فى هذه المحافظة تحت إشراف إدارة الفاتيكان مباشرة .

وكان مقر تدريب الكوادر المسيحية فى جزيرة جاوه ، أو على وجه التحديد فى مدينتى سمارانج وجوكجاكرتا ، ففى مدينة « سمارانج » يوجد المعهد العالى للعلوم اللاهوتية الذى قام بتنصير ٦٠٠٠ (ستة آلاف) أندونيسى خلال التسع سنوات الأخيرة ، وإنشاء ما لا يقل عن ٣٥٠ كنيسة فى أنحاء أندونيسيا ،حيث اتخذتهما الجهات المسيحية مشروعا نموذجيا للحركات التنصيرية فى أندونيسيا ، وقد استخدمت الحركات التنصيرية الوسائل المتعددة للوصول إلى أهدافها ، خاصة فى جعل الأشياء المادية وسيلة لاصطياد ضعفاء المسلمين ، فبحجة القيام بالخدمات الخيرية الاجتماعية قامت الحركات المسيحية بالأعمال غير المحدودة ، حيث قامت بتنصير بعض المسلمين .

١- من ذلك تقديم المساعدات المالية للفقراء والمساكين ، المواطنين فى المناطق النائية، فقدمت لهم الأطعمة واللباس والأدوات والرأسمال للتجارة والأنعام والأدوات الزراعية و غير ذلك ، ومن خلال ذلك قامت الحركات بإدخال الأفكار النصرانية حتى تم لها فى النهاية تنصيرهم رسميا ، أما الذين لم يلحقوا بالدين الجديد فكانوا منعزلين عن الغير .

٢- وكذلك تشغيل الطلاب المفصولين من الدراسة ، حيث تقوم الحركات التبشيرية التنصيرية بتوجيه الطلاب المفصولين من الدراسة ،وذلك ببناء مستقبلهم وتشغيلهم ، كما يقدم لهم تعليم نصرانى . . وفى النهاية يكون عليهم الاختيار بين الأمرين : البقاء فى الشغل مع التدين بالدين النصرانى ،أو البقاء على دينهم ومن ثم طردهم من الشغل .

٣- وترميم المنازل . إذ قامت الحركات التنصيرية بترميم منازل المواطنين بشرط أن يدخلوا فى النصرانية.

٤- عرض الأفلام المسيحية : من الأنشطة الخطيرة التى تقوم بها الحركات التبشيرية بين القرويين .

٥-إقامة الدورات الدراسية أو التدريسية مجانا ، والتدريب المهنى ، وذلك مثل دورة الزراعة والخياطة والنجارة وتربية الدواجن وغير ذلك ، ويمكن لكل مواطن الاشتراك فى هذه الدورات بدون أى رسوم أو أجرة ، ومن خلال تقديم المادة فى الدورة قامت الحركات التبشيرية بتعليم دينها للمشاركين .

٦- بناء الكنائس بدون رخصة حكومية فى المناطق التى معظم أهلها من المسلمين بل وإن كان المواطن المسيحى فيها واحد فقط ، بعد أن كانت جهودها فى البداية بناء منزل عادى ، ثم يتخذ بعد ذلك مركزا للقاء ،ثم مركزا للحركات التبشيرية فى المنطقة ثم كنيسة .

٧- قامت الحركات التبشيرية بالدعاية إلى الزواج بين أصحاب الأديان المختلفة (الإسلام والنصرانية) حيث يتزوج الشاب المسلم بنتا مسيحية أو العكس ،وكان الهدف منه تنصير الزوج المسلم أو الزوجة المسلمة بحجة التحبب إلى زوجها .

٨- سوء استغلال أعمال نقل المواطنين من جزيرة إلى أخرى على حسابهم الخاص جريا وراء تنصيرهم .

٩- إنشاء مدارس جيدة باعتراف الجميع ، التحق بها أبناء المسلمين ، وقد انتهزت الهيئات النصرانية هذه الفرصة لتزويد الطلاب المسلمين بالأفكار المسيحية فيؤدى ذلك فى النهاية إلى نقص إيمانهم بالدين الإسلامى ، أو عدم التمسك به على الأقل .

١٠- إنشاء المستشفيات بالدعم المالى القوى ، وكذلك المستوصفات والخدمات الصحية الأخرى للناس ، ومن وراء ذلك نشر التعاليم المسيحية لدى الجمهور المتردد عليها .

١١- إنشاء الشركات التعاونية التى تعتبر عماد الاقتصاد الأندونيسى ، وقد انتهزت الجهات المسيحية فرصة وجود الضعفاء والمساكين ، وقامت بإنشاء الشركات التعاونية حيث كان أعضاؤها منهم ، ومن خلال المعاشرة لهذه الشركات ، قامت الجهات المسيحية المشرفة عليها بنشر تعاليمها المسيحية لدى الأعضاء . وقد أسقطت المشرفة ديون بعض الأعضاء فيما إذا استعد لترك دينه الأصلى والدخول فى الدين المسيحى بالاضافة إلى الهدايا الأخرى المغرية .

هذه هى بعض أعمال الحركات التبشيرية التنصيرية فى أندونيسيا ،حيث إن لها مصادر مالية قوية حتى تستطيع استغلال وضع المسلمين بأندونيسيا فى تقديم الخدمات الخيرية ظاهريا ، مع أن الواقع أنها تنشر التعاليم المسيحية [1] .

(١) مجلة المجتمع الكويتية ، بتاريخ شعبان ١٤١٠ هـ مارس ١٩٩٠م العدد ٩٥٧ ص ٢٢ - ٢٤ بتصرف .

د - نيجيريا :

باعتبارها أكبر دولة إسلامية فى القارة الأفريقية ، وبدأت الارساليات التنصيرية تهدد الإسلام فيها ، حيث تمتلك هذه الإرساليات الغربية أعدادا ضخمة من المدارس والمؤسسات إلى جانب المحطات الإذاعية التى تذيع برامجها باللغة العربية

وفى تقرير عن النظام التعليمى فى نيجيريا تبين أن الكنائس والهيئات التنصيرية تهيمن على قطاعات كبيرة من المدارس التابعة لهذا النظام ، وفى المدارس التابعة للمبشرين يجبر التلاميذ المسلمون على اعتناق المسيحية وإلا طردوا من المدرسة»[1].

كما تقوم جماعات من المنصرين بأعمال لا يقرها عقل ولا دين ، فهم يحصلون على الأطفال بشتى الطرق والوسائل ويدخلونهم الكنيسة ، حيث يلقنونهم النصرانية لمدة أحد عشر عاما ، وبعدها يتخرج كل منهم برتبة قسيس أو ابن الكنيسة ، كما يسمونهم - وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حقدهم البغيض على الإسلام والمسلمين ،وعلى أن لهم أهدافا خطيرة ضد الصحوة الإسلامية .

وفى لبنان قامت بعض العصابات التنصيرية ببيع حوالى ألفى يتيم من أبناء المسلمين إلى المؤسسات التنصيرية فى أوربا والولايات المتحدة ، مع أن الدول الإسلامية حول لبنان غنية وقادرة على احتضان هؤلاء الفقراء من أبناء المسلمين[2].

هـ - بنجلاديش :

« يستخدم المبشرون فيها أسلوبا جديدا للوصول إلى جمهورهم المستهدف ، من الفلاحين المسلمين الأميين ، آلا وهى أشرطة الكاسيت ، فقد لجأوا إلى نوع جديد

---

(١) الجذور التاريخية ص ١٤ ،١٥ بتصرف

(٢) الجذور التاريخية ص ١٥ بتصرف.

من أجهزة تشغيل الأشرطة ، لا يعتمد على الكهرباء أو البطارية ، وذلك ليتمكنوا من الوصول إلى المناطق البعيدة ، وبتكلفة محدودة ، ويقوم هذا الجهاز على التشغيل اليدوى ،مثل أجهزة تشغيل الأسطونات القديمة ، وعلى الرغم من أن عدد الكاثوليك فى « بنجلاديش » لا يزيد عن ١٧٠ ألف من بين خمسة وتسعين مليون مسلم ، وهذا عدد قليل جدا ، فإن الكنيسة الكاثوليكية الأجنبية ، هى التى تدير عشرات المدارس ، من مستوى الحضانة إلى التعليم المتوسط ، وعشرات المستشفيات والمستوصفات ، المتنوعة الاختصاص والملاجىء ، وتقيم الكنيسة - كذلك - معاهد فنية وبنوكا للتسليف ، ومع كل ذلك كانت الكنيسة تعانى من صعوبات بالغة فى تنصير المسلمين ، إلا أنها لجأت مؤخرا فى شهر نوفمبر عام ١٩٨٦ م إلى برنامج جديد يتمثل فى الاستعانة بقساوسة يعرفون اللغة العربية ، ومعلومات عن الإسلام حتى يمكنهم التغلغل فى الأوساط الإسلامية، كما يسعى البرنامج إلى دعم العمل التنصيرى فى أوساط الأسر والنساء ، من خلال تقديم خدمات اجتماعية مختلفة .

و - وفى الصومال :

قام أحد المبشرين البلجيكيين ، بتبنى عدد من الأطفال أبناء المسلمين ، يبلغ فى مجموعهم (٣٠٩٠٢) طفلا ، كما وصل عدد أبناء المسلمين الذين يشرف - المنصرون على تعليمهم فى أفريقيا نحو خمسة ملايين طالب وطالبة .

وعندما انعقد مؤتمر « مجلس الكنائس العالمى » فى مدينة فانكوفور «بكندا » فى عام ١٩٨٣ م رفض الموافقة على توصية تدعو إلى سحب القوات السوفيتية من أفغانستان ، بل دعى إلى تعقبها هناك ، وفى تحرك مقابل قامت الحكومة السوفيتية بتخفيف بعض القيود على النشاطات التنصيرية بالاتحاد السوفيتى، من ذلك السماح لكنيسة المعمدانية هناك ، بعقد مؤتمرها العام بالعاصمة «موسكو » وقد تحدث بعض الحاضرين بهذا المؤتمر بأنه خلال الفترة (١٩٧٨- ١٩٨٣ م) أى خلال الخمس

سنوات التى انقضت منذ عقد المؤتمر الأخير تم تنصير حوالى ٤٠ ألف من المسلمين، فى أرجاء الاتحاد السوفيتى ، وتم توزيع ١٢٠ ألف نسخة من «الإنجيل» وتم إنشاء ٢٦٨ كنيسة معمدانية !! . [1].

وفى أكتوبر عام ١٩٨٦ أعلن « إتحاد جمعيات الانجيل » وهو هيئة تنصيرية تضم جمعيات نشر الإنجيل ، ولها نشاط ممتد إلى ١٥٠ دولة « أنه سيعمل على تغطية أفريقيا كلها بالأناجيل سواء المطبوعة او المسجلة على أشرطة كاسيت وقد تمت ترجمة الانجيل إلى ٤٩٨ لغة أفريقية ، من المخطط له قبل عام ٢٠٠٠ م ترجمته إلى ٢٠٠ لغة أخرى !!

« وكان مجلس الكنائس العالمى » قد قدم فى عام ١٩٨٥ م مبلغ مليون دولار لما وصف بأنه « برنامج الخدمات التابع للكنيسة القبطية الأرثوذكسية » وهذا المجلس يعمد إلى ضخ الأموال إلى منطقة الشرق الإسلامى ، من خلال لجنة المعونة بين الكنائس واللاجئين والخدمة الدولية ، بالتعاون مع « مجلس كنائس الشرق الأوسط » ومن بين هذه المشروعات التى يتبناها « مجلس الكنائس العالمي» بالتعاون مع الكنيسة القبطية « منها ما هو ضخم ، كإعداد القيادات والرعاية الصحية ، والشباب ، والتنمية لسكان المناطق الريفية ، والمرأة ، ومنها مشاريع صغيرة ذكر أن أحدها كان يتضمن شراء سيارة لنقل التلاميذ فى إحدى مدارس الحضانة بمدينة بور سعيد !! .

وتقوم إحدى الجماعات التنصيرية العاملة فى العالم الإسلامى ويطلق عليها «الدعوة المسيحية فى الشرق الأوسط بإعداد شرائط فيديو وشرائح مصورة ، للعرض على الذين تريد الوصول إليهم من المسلمين ،وتتكون بعض هذه البرامج من أغانى وأناشيد دينية والبعض الآخر منها لمناظر طبيعية لبضع بلدان المنطقة ومنها «مصر» مقترنة بمادة تبشيرية » !! [2] ودليل المطبوعات المسيحية فى الشرق الإسلامى لعام ١٩٨٦ م والذى ينشره « مجلس كنائس الشرق الأوسط يقول « إنه

(١) الجذور التاريخية ص ١٥ ، ١٦ بتصرف
(٢) الجذور التاريخية ص ١٩

تنتشر بمنطقة « الشرق الأوسط » وهى منطقة إسلامية ١١٥ مجلة مسيحية ، ٦٩ دار نشر مسيحية ، منهـا فى لبنان وحدها ٢٠ دارا ، كما توجـد فى لبنان أيضا ـ وحده ـ ثمانى محطات إذاعة مسيحية ، يمتلك الأرمن الأرثوذكس ثلاثة منها . .

كما ذكر ذات الدليل « أن مجلس كنائس الشرق الأوسط قد افتتح فى قلب القاهرة معرضا دائما لبيع الكتب المسيحية المنشورة فى كافة أنحاء الشرق الأوسط ، ويقوم المعرض بتصدير تلك الكتب إلى محلات مماثلة فى لبنان وسوريا ودول الخليج .

وأخيرا قد تم التقاط برقية صادرة من محطة « سيفرن الغربية » وتحمل هده البرقية توجيهات محددة للمبشرين تقول مامعناه « يمكنكم الآن التحرك بالرغم من وجود بعض الموانع والعقبات فى بعض الدول الإسلامية . »[1] .

كانت هذه بعض المعلومات السريعة حول التبشير المسيحى فى العالم الإسلامى لندرك مدى تعصب المسيحية ، وخطورة المخططات المستمرة ضد الإسلام والمسلمين ولنرى مدى الزعم بتسامح المسيحية ، من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر!!! ولعلنا نفيق نحن المسلمين - من غفلتنا أو نصحو من نومتنا .

ثانيا : الاستشراق

ما هوالاستشراق ومن هم المستشرقون ؟

١- تعريفه :

« الاستشراق يعنى دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق ، وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه ، ولغته القديمة ، ولهجته الحديثه ،وأديانه ، وآدابه ،وفنونه ، وعلومه وتقاليده ، وعاداته ، وطباعه ، وأساطيره ، وكل ما يتصل به من الناس والحيوان والنبات والمناخ والتربة » .

وإذا كان الاستشراق يستقطب هذه الصيغة ، فالمستشرق بهذا الاعتبار هو الغربى

(١) الجذور التاريخية ص ١٩ ، ٢٠ .

الذى يدرس تراث الشرق ، وكل ما يتعلق به ،وله اهتمامات جادة بهذه الدراسات .

ولابد لدراسة هذا التراث من أداة توصله إلى ثماره المنشودة ، وهذه الأداة التى يجب أن يتحصن بها المستشرق هى اتقان لغة الشرق والتخصص بأبرزها آثارا فى التاريخ والفنون والآداب والعلوم وهى اللغة العربية . لا ريب [١] .

٢- نشأته :

أغلب الظن أن بدايته كانت بعد أن فتح الغرب عينيه مع الفتح الإسلامى ، أو على الفتح الإسلامى ، وبعدما تسرب الإسلام إلى أوربا فى نهائيات القرن السابع عشر ، الأول الهجرى ، عن طريق فتح بلاد الأندلس ، وانتقلت حضارة المسلمين علومهم إلى الغرب ،فى جامعات قرطبة وطليطلة وصقلية من جزر البحر الأبيض المتوسط ، الذى صار - بفضل الله - بحيرة إسلامية .

وفتح المسلمون مساجدهم ومجالسهم العلمية لكل من أراد العلم ، ووفد إلى الأندلس كثير من الشباب ، من كافة أنحاء أوربا ليغترفوا من علوم المسلمين

واستهوت علوم المسلمين وأخلاقهم وعاداتهم كثيرين من هؤلاء الوافدين إلى الإسلام ، فخشيت الكنيسة الغربية على مستقبلها ، فعملت على الحيلولة بين الشباب وبين بلاد الأندلس وجامعاتها ، وعمدت إلى إعداد طائفة من الرهبان والقساوسة لدراسة العلوم الشرقية ، يعنى الإسلامية وغيرها مما يدرسه أهل المشرق، حتى يمكنهم جذب الشباب إلى حلقات مماثلة يكون زمامها بيد الكنيسة ، ويمكن من خلالها تشويه صورة الإسلام لدى الدارسين.

ومن ثم كان الارتباط الأول بين العملية الاستشراقية وبين عملية محاربة

(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة - د/ جريشة ص /١٥ بتصرف ، والمستشرقون والدراسات القرآنية للدكتور / محمد حسين على الصغير ص / ١١ بتصرف ط . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر « الثانية » سنة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م والسيرة النبوية وأوهام المستشرقين للأستاذ / عبد المتعال الجبرى ص ٩ بتصرف ط/ مكتبة وهبة الأولى . سنة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.

الإسلام بالكتابة والمحاضرة والقصة والأغنية وسائر وسائل الأعلام .

ثم تأكد الاستشراق وتوسع مع الحروب الصليبية ،ثم زاد خطره ، وتحدد هدفه بعد الحروب الصليبية كبديل لهذه الحروب مع صنوه وشقيقه « التبشير»[١] .

٣- أهدافه :

« للاستشراق بوجه عام من خلال دراسته العربية والإسلامية أهداف ودوافع متفاوته شدة وضعفا ، اتسم بعضها بهدف تبشيرى واتجه البعض الآخر منها بغرض استعمارى وخلص القسم الثالث باتجاه علمى ، فشكلت بذلك دوافع تبشيرية ودوافع استعمارية ودوافع علمية .

فالدوافع التبشيرية ، هى الهدف الرئيسى من جهود المستشرقين فى بدايات الاستشراق ،عمدوا إليه فى محاولة مقاومة الإسلام من أن يغزو بنى جنسهم أو أن ينتشر فى تلك البلاد التى ليست لها ديانة خاصة ، مع الانتصار للمسيحية أو قل: الصليبية المتعصبة .

ثم بما تمليه طبيعة عمل المستشرقين فى البلاد العربية والإسلامية ، وما هو من أهداف التبشير أيضا ، تحول هذا الاستشراق إلى الدافع الاستعمارى ، الذى يمهد الطريق أمام الغزاة والمحتلين ، ويظهر لهم الثغرات ، ويبين أمامهم نقاط الضعف ووسائل الهزيمة ،وقد يشكل - أحيانا - هدفا علميا ، إذ يقصد به نفر من الناس تعلم علوم الإسلام بحثا عن الحق ، وبلوغا إلى الحقيقة ، وهو أسلم الدوافع ، وأنبل الأهداف ، ولكنه ليس على عمومه ! »[٢].

---

(١) السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ص ٩ ، ١٠ بتصرف ، والاتجاهات الفكرية ص ١٥ ، ١٦ بتصرف ، الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ،د / عبد الستار فتح الله ص ٥٨ بتصرف والإسلام فى مواجهه التحديات ، محمد رأفت سعيد ص ٤٩ - ٥٢ بتصرف ط / دار الوفاء « الأولى » سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

(٢) المستشرقون والدراسات القرآنية ص ١٥ - ٢١ بتصرف ، والاتجاهات الفكرية المعاصرة ص ١٧ بتصرف ، ودور الاستشراق فى تغريب المرأة المسلمة للدكتور / عبد الفتاح بركة ص ٧ - ١٥ بتصرف (مجلة الأزهر) المحرم سنة ١٤٠٦ هـ .

ومن ثم ، تستطيع أن نتبين أصناف المستشرقين : فهم ليسوا على شاكلة واحدة ، وإنما هم أصناف مختلفة ، على قدر اختلاف دوافعهم ومنازعهم ، وأهدافهم وأهوائهم .

ونستطيع أن نلخص أصنافهم فيما يلى :

أ ـ صنف متعصب ، متغطرس ، وهم الذين أخذتهم العزة بالإثم ، وأعمتهم الضلالة عن النزاهة العلمية فراحت أقلامهم تقطر حقدا وعداوة ، ويستفرغون مافى أحشائهم من ضغائن وأحقاد ضد الإسلام ، ، ومثالهم من المستشرقين : جولد تسيهر ، سيل ، بدويل ، بريدو ، وليم جيفورد بلجراف ، كيمون ، فاندر وجبرمان لوستير . . . الخ .

ب ـ وصنف من طلاب الأساطير والغرائب من هؤلاء الذين افتروا على الإسلام ، واخترع خيالهم المريض حوله الأقاصيص الكاذبة ، ولم يكن لهذا الفريق فى سوق العلم نصيب ، وقد ظهر هذا الفريق فى بداية الاستشراق ، ثم اختفى بالتدريج . . وإن كانت آثاره لا تزال باقية .

جـ ـ وفريق من المرتزقة الذين جندوا دراساتهم وبحوثهم فى خدمة المصالح الغربية الاقتصادية السياسية والاستعمارية ، لخدمة أغراضهم وتحقيق أهدافهم ، وتمكين سلطانه فى بلاد المسلمين .

ومثالهم : كارل هينريش بيكر ، وبارنولد ، وسنوك هورجرونيه ، وهانوتو ، واللورد كيزرن .

د ـ وطائفة تعرضوا للإسلام باسم البحث العلمى ولكنهم انحرفوا عن جادة الصواب فراحوا يتلمسون نقاط ضعف فى الإسلام ويشككون فى صحة الرسالة الإسلامية ، وفى التوحيد الإسلامى ، وفى القرآن من حيث مصدره أو نصه ، وفى الحديث من حيث صحته ، وفى قيمة الفقه الإسلامى الذاتية وفى قدرة اللغة

العربية على التطور . . . إلخ بأسلوب فيه التواء وغموض ، وأحيانا بأسلوب سافر الخصومة ، متبجح .

هـ ـ وهناك فريق من المستشرقين المنصفين التزم فى دراسته للإسلام بالموضوعية والنزاهة العلمية ، وأنصف الإسلام والمسلمين وهم قلة ـ وقد أدى الأمر ببعضهم إلى اعتناق الإسلام ومثلهم الأستاذ / محمد أسد ، وآخرين ومع ذلك فيجب أن نحذر من كتب المستشرقين ، لأن أكثرهم لم يكتبوا لخدمة الحقيقة ، حتى المخلصين منهم لم يسلموا من ارتكاب أخطاء جسيمة .

و ـ وهناك فريق من المستشرقين توفر على دراسة اللغة العربية والفقه ، والأدب العربى ، أو اشتغل بالمعاجم وما شابه ذلك، ولهؤلاء بحوث مفيدة . [1].

٤ ـ أساليبه ووسائله :

اعتاد الكتاب أن يتناولوا تحت مثل هذا العنوان الإشارة إلى المحاضرات ، والاجتماعات والمؤلفات ، . . إلخ لكنى أقصد الإشاره إلى وسيلتين : ـ

أولهما : ـ تلك التى يمارسها المستشرقون ، توصيلا لأفكارهم إلى التجمعات التى يودون التأثير عليها . . وذلك بطريق مباشر ، وأكثرها عن طريق الكتابة . . مقروءة أو مسموعة أو مرئية .

وثانيهما : ـ وهى الأخطر لأنها غير مباشرة ومستخفية تحت أسماء أكثرها إسلامية وفى أكثر الأحيان يضفى عليها الألقاب مثل عميد الأدب العربى ، أمير ـ الكاتب الكبير . . إلخ .

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى د/ محمود حمدى زقزوق ص ٤٣ ، ٤٨ ص ٧٥ ، ٧٦ ، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ص ١٠ بتصرف ، ولماذا يخافون الإسلام د/ عبد الودود شلبى ص ٥٢ط / دار الشروق الأولى سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى الحديث ٥ مالك بن نبى ٥ ص ٢٠ - ٣٣ بتصرف ط ، مكتبة عمار ، الأولى سنة ١٩٧٠ م ، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ،محمد الغزالى .

وخطورة هذه الوسيلة فى استخفائها أولا ، وفى التمويه الذى صاحب الإعلان عن أصحابها ثانيـا . . وقد كثر اللجوء إلى هذه الوسيلة فى الفـترة الأخيرة و أدى تلاميذ المستشرقين أدوارا عجز عن أدائها المستشرقون أنفسهم»[1] .

فورث المستـغربون المستشرقين ، وقامـوا بدورهم ، وهمهم جميعا أن يحـققوا للثقـافة الغربيـة كل الغلبة على عقـولنا وعلى مجـتمعنا ، وعلى حـياتنا ، وعلى ثقافتنا ، وبهذه الغلبة يتم انهـيار الكيان العظيم الذى بناه آباؤنا فى قرون متطاولة ، وصححوا به فساد الحياة البشرية فى نواحيها الإنسانية والأدبية والأخلاقية والعملية والعلمية الفكرية ، وردوها إلى طريق مستقيم ، علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله » . .[2] .

فـيزيد الأمـر خطرا ، أن الذين تولوا كـبر هذا الصـراع ، والذين ورثوهم من خلفهـم ، إنما هم رجال منا ، ومن بنى جلدتنا ، من أنفـسنا ، ينطقون بلـساننا . وينظرون بأعيننا ، ويسيرون بيننا آمنين ، بميثاق الأخوة فى الأرض أو فى الدين أو فى اللغة أو فى الجنس . »[3] .

٥ ـ مراحل الاستشراق :

نستطيع أن نرسم للاستشراق مراحل ثلاثة :

مرحلة أولى :ـ

مـرحلة اسـتكشاف . . . . اسـتكشـاف لكنه الغـزاة الفـاتحين « من المسلمين » ولفكرهم وسـر تفوقـهم ، وفى هذه المرحلة نحسب الاسـتشـراق كان مـيالاً إلى الموضوعية باحثا عن الحقيقة .

(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة ص١٧ - ١٩ بتصرف .
(٢) أباطيل وأسمار ، محمد محمود شاكر ص ١٠ بتصرف
(٣) أباطيل وأسمار ، ص/ ١٢ بتصرف .

مرحلة ثانية :

« مرحلة مشوبة » . . مشـوبة بالعدوان ، وبيان نقاط الضعف لدى المسلمين ، وتوجيـهه أعداءهم توجـيها ضـد مصالح الإسـلام والمسلمين ، وهى المرحلة التى ساير فيها الاستشراق الحروب الصليبية وصاحبها . »

مرحلة ثالثة :

مرحلة العدوان المباشر السـافر » . . بعد أن ارتضى هؤلاء « العلماء أن يكونوا بمثابة المخالب للغرب الحاقد على الإسلام والمسلمين بعد فشل الحروب الصليبية فى تحقيق أهدافها ، إذ كان التوجيه إلى حرب الفكر والعقيدة بديلا عن حرب الإسلام وكان الوصول إلى القـلـب والعقل بديلا عن احتلال الأرض والتـراب . واقترنت هذه المرحلة ببداية عقد المؤتمرات التى تسدد الجهود وتخطط الأهداف للمستشرقين، وكان أول مـؤتمر فى الربع الأخيـر من القرن التاسع عـشر (١٨٧٣ م) ولا تزال المؤتمرات تتوالى حـتى اليوم ، بيد أن لنا ـ بل علينا ـ أن نقـرر أن فى كل مرحلة ـ وبخاصة المرحلة الأولى ـ غلبت المـوضوعية والاعتدال على بعض المسـتشرقين ، بل ظهر الإنـصاف عند بعضـهم ، وبلغ الانصاف عـند جزء من هذا البـعض حد دخول الإسلام » .[1] .

٦ ـ نماذج من الاستشراق :

« وتدور كتـابات المستشرقين حـول القول ببشـرية القرآن الكريم ، أى أنه ليس من عند الله سبـحانه وتعالى ، إنما هو من تأليف رسـول الله محمد ﷺ ، جـمعه من ثقافات متعددة ، يونانية ، ورومانية ، وهندية ، وفارسية .

وكالقول بأن الحديث النبوى من عمل الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب الأربعة حيث أعد كل منهم الأحاديث المؤيدة لمذهبه الفقهى ، ونسبها إلى رسول ﷺ .

(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة ص / ١٥ - ١٧ بتصرف .

وكالقول بأن « عيسى عليه السلام ، لم يخطىء قط ، بينما ارتكب محمد ﷺ، عددا من الأخطاء التى عاتبه عليه ربه فى القرآن .

وهذا القول منهم يسجل تناقضهم مع أنفسهم ، فكيف زعموا أن القرآن كلام محمد ﷺ ؟

فلو كان كما زعموا لما أثبت معاتبة نفسه على ما توهموه من أخطاء صدرت منه!!

وكالقول بأن الإسلام يميل إلى الاعتداء ، وسفك الدماء ، ويحرض المسلمين على الغلظة ، والشدة على مخالفيهم فى الدين ، وأنه يدعو إلى الحيوانية والانهماك فى الملذات الهابطة والشهوات العارمة ،واستنكارهم تعدد الزوجات الذى كان شائعا دون قيود تنظمه ، فجاء الإسلام وهذبه كما وكيفا ، وحملتهم الشعواء على رسول الله ﷺ حيث تعددت زوجاته الطاهرات .وكإثارتهم الحملة الجائرة على اللغة العربية ، ودعوتهم إلى استعمال اللهجات العامية ، وكتابة العربية بالحروف اللاتينية ، وترويجهم لعقيدة الجبر بين المسلمين ليصرفوهم عن الجادة ويحببوا إليهم الكفر والفسوق والعصيان ، بدعوى أنهم مجبورون على اقتراف مافعلوا ، لأن كل شيء مقدر فى الأزل ، وما قدر لابد من وقوعه ، واستدلالهم على فهمهم الخاطىء بآيات من القرآن الكريم لم يفقهوا معناها ، ولم يدركوا القصد منها ، وزعمهم أن التشريع الإسلامى مقتبس من القانون الرومانى وأن التراث الفكرى والعلمى الذى خلفه علماؤنا ، إنما هو مزيج من الثقافات اليونانية والهندية والفارسية إلى غير ذلك من الأكاذيب والأباطيل التى تصدى لبيان زيفها والرد عليها العلماء الاجلاء . . [1] .

ولولا خشية الإطالة لفصلنا القول فى ذلك ، ولكن اكتفينا بالإشارة اليه هنا

(١) قوى الشر المتحالفة ص (٥١ ، ٥٢) بتصرف

ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع إليه فى مظانه . . [1] .

إذ لايكاد مجال من المجالات الإسلامية سلم من التشويه المتعمد من الحاقدين أو التشويه العفوى من الجاهلين . . من المستشرقين ، ثم من تبعهم من تلاميذهـ الحاقدين أو الجاهلين كذلك .

لقد عُنى المستشرقون بالتعرف على الإسلام ودراسة أصوله ، بعد أن ألفت الجمعيات اليهودية والمسيحية ، وكان منهم من يتظاهر بالإشادة بالإسلام، ليطمئن القارئ لأفكاره ، ثم يدس جزئية فى ثنايا بحثه تحمل السم الخطير للإسلام ، فهم يعرفون كيف يدسون السم فى الدسم .

وكان المستشرقون من اليهود قد أقبلوا على الإسلام لأسباب دينية ، هى محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك فى قيمه ، وأخرى سياسية هى خدمة الصهيونية »[2] .

وبدافع العدوان والكراهية للإسلام ـ الذى ينكر عقائدهم ـ راحوا يختلقون

---

(١) راجع بتوسع : التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، دحض شبهات ورد مفتريات » للشيخ محمد الغزالى ، وكتاب « دفاع عن العقيدة والشريعة له أيضا ، وكتاب السيرة النبوية ، وأوهام المستشرقين للشيخ عبد المتعال الجابرى ، وكتاب « رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم للدكتور / محمد جمعه عبد الله ، وكتاب « فى محكمة التاريخ للدكتور عبد الودود شلبى ،ولماذا يخافون الإسلام ، والتزوير المقدس له أيضا وكتاب « الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام للدكتور / عبد الستار فتح الله سعيد ، والإسلام فى مواجهة التحديات / دكتور محمد رأفت ،وكتاب المستشرقون والدراسات القرآنية للدكتور ؟ محمد حسين الصغير ، والنبوة المحمدية ومفتريات المستشرقين د/ محى الدين الالوائى ،وكتاب أقلام مسمومة تهاجم الإسلام ، للأستاذ / على عبد العظيم ، والشمائل المحمدية ورد شبهات المستشرقين للشيخ / محمد متولى الشعراوى ، وكتاب دفاع الإسلام ضد مطاعن التبشير د/ محمد الفاتح مرزوق ، وكتاب « الإسلام فى مواجهة الاستشراق العالمى د / عبد العظيم المطعنى ص ٣٣٣ - ٣٣٤ ، ط/ دار الوفاء الأولى ، وكتاب « حول القرآن الكريم والكتاب المقدس ، مفتريات فاندر على القرآن الكريم وردها د. هاشم جوده ط / مطبعة الأمانة ، الأولى ، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م هذا هو الحق ردا على مفتريات كاهن كنيسة لابن الخطيب المطبعة المصرية الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

(٢) أنظر/المبشرون والمستشرقون فى موقفهم ضد الإسلام د / محمد البهى ص ٤٣١

المآخذ ، ويتصيدون التهم الملفقة ، فى تصنع واحتراف ، فهم الخصوم المحترفون، كما يسميهم المرحوم الأستاذ العقاد . .[١] .

ومن هؤلاء المستشرقين : المستشرق اليهودى المجرى جولد تسيهر .[٢] .

وقد افترى هذا المستشرق كثيرا على الإسلام ، فحاول التشكيك فى الكتب الستة مرة ، وحاول التشكيك فى السنة بأسرها مرة أخرى . . [٣] .

يقول جولد تسيهر : « ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم - يعنى المسلمين - ليست كوجهات النظر عندنا ، تلك التى لا يجد لها مجالا كبيرا فى النظر فى تلك الأحاديث ، تلك التى اعتبرها النقد الإسلامى صحيحة غير مشكوك فيها ووقف حيالها لا يحرك ساكنا ، ولقد كان من نتائج هذه الأعمال النقدية ، الاعتراف بالكتب الستة أصولا ، وكان ذلك فى القرن السابع الهجرى ، فقد جمع فيها علماء من رجال القرن الثالث الهجرى أنواعا من الأحاديث كانت مبعثرة رأوها أحاديث صحيحة . . . [٤] » .

والذى دفعهم إلى القول بمثل هذا هو غيظهم من الإسلام وحنقهم عليه لأن القرآن الكريم كشف عوراهم ، وفضح مكرهم ، حين بين ما قام به أتباع التوارة

---

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، للأستاذ / عباس العقاد ص ١٨١ م٥ (المجموعة الكاملة)

(٢) ولد « جولد تسيهر » [illegible] ١٨٥٠ وتوفى سنة ١٩٢١ أى أنه عاش أكثر من ٧٠ سنة ، ودرس فى مدارس اللغات الشرقية ببرلين ، [illegible] وفينا ، ورحل إلى سوريا ، سنة ١٨٧٣ م وتتلمذ على يد العلامة الشيخ طاهر الجزائرى ثم نزح إلى مصر ، حيث تضلع فى العربية على يد شيوخ الأزهر ، وقد شهد له علماء جامعات الغرب بطول الباع وبعد النظر .

اتجه للانتاج العلمى فى ميدان الاستشراق ، وهو دون العشرين من عمره ، فألف كتابه عن « الظاهرية » ومذهبهم وتاريخهم ، ثم دراسات إسلامية فى جزئين ومحاضرات فى الإسلام ، وهو الكتاب الذى عرف بعد باسم العقيدة والشريعة فى الإسلام ، ثم مذاهب المسلمين فى تفسير القرآن .

(٣) السنة النبوية فى مواجهة التحدى د / أحمد عمر هاشم ص ٣٢ ، ٣٣ بتصرف ط / مطابع الأزهر - سلسلة البحوث الاسلامية سنة ١٤١١ هـ ١٩٨٠ م

(٤) العقيدة والشريعة فى الإسلام - جولد تسيهر - ترجمة د / محمد يوسف وزملائه ص ٥٠ ، ط ٢ سنة ١٩٥٩

والإنجيل من تحريف الكلم عن مواضعه ، ولعل هذا هو السبب الأول لحقد المستشرقين على القرآن نفسه .. [١]

هذا وقد أخذ الهجوم على الإسلام يمتد فى جبهات عريضة وتشحذ له أسلحة شتى ، وخصوم هذا الدين كشفوا عن سرائرهم ، فليس يرضيهم شيء إلا أن يفضوا أهله من حوله ، وأن يملأوا الدنيا أراجيف بأن الإسلام دعوة باطلة ورسالة زائفة وأنه لا يجوز لها البقاء أكثر مما بقيت .. وقد ترادفت جهود المبشرين والمستشرقين لإشاعة هذا الإفك ، وكثرت مؤلفاتهم التى تغمز الإسلام وتنال من نبيه .

وبعض هذه المؤلفات غاص بتهم ينقصها الدليل وأوصاف ينقصها الأدب ، ونحن لا نكترث لمثل هذه الكتابات ، وبعضها الآخر تبدو عليه مسحة البحث العلمى المتعمق ويكون صاحبه بالفعل قد طالع عددا ضخما من المؤلفات الإسلامية القديمة والحديثة ومن ثم يعرض أفكاره السامة فى ألبسة من النظريات والاستنتاجات الهادئة، وبين يدى .. نقول محرفة عن مواضعها ..

وهذا النوع من الدراسات هو الذى ينبغى تناوله والرد عليه .

وكتاب العقيدة والشريعة فى الإسلام للمستشرق جولد تسيهر ، واحد من هذه الكتب والذى نقله إلى العربية أساتذة لهم أقدارهم بين صفوف علماء الدين ، وقد قدموا له بما يثنى عليه ويضفى عليه وعلى كاتبه هالة - ليس أهلا لها - فى الوقت الذى استطاع المستشرق المجرى أن يستفرغ بين دفتيه كل ما فى أحشائه من ضغائن وأحقاد ضد الإسلام .

وقد تولى مناقشة هذا المستشرق كاتب مسلم تمتزج غيرته على الإسلام بكل إحساساته وومضات فكره وخلاجات نفسه ويرتفع فهمه للإسلام فوق مستوى

---

(١) الإسلام فى نظر المستشرقين للدكتور / البيان

أفهام الذين لم يتزحزحوا عن الدراسات التقليـدية العتيقة ، أو الدراسات السطحية الضحلة .

ألا وهو الأستاذ الشيخ / مـحمد الغزالى . . [١] . المعدود فى الطليعة المؤمنة بين من شهـروا أقلامهم الحـرةللزود عن الإسلام وقـيمه فى تعـمق ووعى وجرأة ودأب وعن إيمان وإخلاص .

وقد نال هذا المستشرق المجرى المتجنى على الإسلام ما يستحق من قلم الأستاذ محـمد الغزالى جـزاءا وفاقا ، وذلك فى كتـابه دفاع عن العقـيدة والشريعـة ضد مطاعن المستشرقين .

ولكن المشكلة لاتزال قائمة ، وهى أن كتب المستشرقين أمثال جولد تسيهر كثيرة لا حصرلها ، فماذا أعددنا لتفنيد مزاعمها ؟ وحماية الإسلام من أضاليلها ؟ .

وهذا المستشرق لم يكتب ما كتبه عن الإسلام فى إطار من السطحية والسذاجة، ولكنه قرأ كثيرا وتعمق كثيرا ، وأحاط بمفاهيم الإسلام إحاطة ظاهرة ،ولعله مكث بضع عشرة سنة حتى أخرج كتابه المذكور . . [٢]

إنه لابد من الرد على هذا الكاتب وأمثاله ، وذلك لسببين :

أولهما / أن الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية فى البحث، وهى أبعد ما تكون عن بيـئة العلم والتجرد ، وجمـهرة المستشرقين مسـتأجرون ـ لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه والافتراء عليه .

---

(١) هو الشيخ محـمد الغزالى السقـا ، ولد عام ١٩١٧ م ، حفظ القرآن فى سن مبـكرة تخرج من الأزهر عام ١٩٤١ م ، ألف ما يزيد عـن أربعين كتابا ، أثرى بهـا المكتبـة الإسلاميـة فى شتى المجـالات ، وهو أحد رواد الدعوة الإسلاميـة الحديثة له بصيرة نافذة ، وفـؤاد ذكى ، قام يكافح من أجل الإسلام وينافح عنه ، ويرد على خصومه .

(٢) دفاع عن العقيدة والشـريعة ، ضد مطاعن المستشرقين للشيخ محمـد الغزالى ص / ٣، ٤ بتصرف ، كلمة الناشر ، ط دار الكتب الحديثة ، الرابعة ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م .

والسبب الآخر : أن جماً غفيرا من المثقفين فى بلادنا ، بوأ هؤلاء القوم مكانة هم دونها بيقين ، ووقعوا فى شباكهم ، ففسدت عقائدهم ومثلهم ، فلا محيص من إماطة اللثام عن وجوههم وإبرازهم على حقائقهم العارية.[1].

وإذا كان المبشرون والمستشرقون يحاولون تضليل جماهير المسلمين عن دينهم فهل تظنهم يحسنون صنعا إلى الإسلام بين قومهم وبنى جلدتهم ؟ كلا.

إن هناك أجهزة تدأب على تشويه معالم الإسلام ، وإبراز رسوله الكريم فى إطار ذميم ، واستغلال الهزائم التى لحقت بالأمة الإسلامية خلال هذا القرن لتشويه التاريخ الإسلامى فى كل من ماضيه وحاضره .

ومن أجل ذلك لا يكفى أن نتلقف مؤلفات المستشرقين لنرد عليها ، ثم نترك سمومها تسرى فى خارج المنطقة العربية لتبلبل الأفكار.

بل يجب أن نكتب نحن بعمق عن الإسلام ، وأن نترجم إلى اللغات الحية هذه الكتابات لتدحض الشبهات التى نسجتها أحقاد المستشرقين ، أولئك الذين أعدوا أنفسهم بعقلية صليبية جديدة محاربة لإنقاذ دياناتهم من الوحل على أشلاء القيم الإسلامية » [2]

وليس مستغربا أن يحرص المستشرقون والمبشرون على الغمز فى الإسلام عقيدة وشريعة وتراثا وفكرا . . وإنما المستغرب هو ألا يحرصوا على الغمز فى الإسلام والطعن على نظمه،و مبادئه ، ومثل هذا الكلام غير منطبق على كافة المستشرقين، لأن الانصاف يقتضينا أن نعترف بأن هناك قلة مستثناه من هذا الشطط ، ولكن حتى هذه القلة ، إن اتسمت بالإنصاف للإسلام فى بعض كتاباتها ـ لا تسير على خط مستقيم ،فهى قد تنصفه فى جانب ، وتغمزه فى عدة جوانب بطريق مباشر أو

(١) المصدر السابق ص / ٨ بتصرف .

(٢) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين للشيخ محمد الغزالى ص ٦.٥ بتصرف .

ير مباشر .

إن هناك أمرا جديرا بالملاحظة ، مؤداه : أن حملة الأقلام الاستشراقية أو التبشيرية ، إنما تجمعهم سمة واحدة رئيسية ، ويلتقون أيضا عند غاية واحدة رئيسية .

أما الصفة المشتركة بينهم فهى الخبث الذى يمنحهم القدرة على المناورة ـ والمداورةوالمغالطة واستخدام الخيال فى صياغة الافتراءات على الإسلام » [١]

أما الغاية المشتركة ، فقد أشار إليها أستاذنا الدكتور محمد البهى فى مؤلفه القيم الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.

فقال :« والسبب الرئيسى المباشر الذى دعا الأوربيين إلى الاستشراق هو سبب دينى فى الدرجة الأولى ، فقد تركت الحرب الصليبية فى نفوس الأوربيين من آثار مرة عميقة ، وقد تركزت أهداف الاستشراق ـ مع تنوعها أخيرا ـ فى خلق التخاذل الروحى وإيجاد الشعور بالنقص فى نفوس المسلمين والشرقيين عامة ، وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع بالتوجيهات الغربية » . [٢]

وما قال الأستاذ الدكتور البهى ، إنما ينطبق تماما على سلوك التبشير الصليبي تماما»[٣] .

وتلك صورة من تعصب المستشرقين ، فإليك ما كتبه المستشرق الفرنسى «كيمون» فى كتابة باثولوجيا الإسلام كمثال لما يكتبه هؤلاء الحقدة عن الإسلام، وعن رسول الله ﷺ .

إن الديانة المحمدية جزام تفشى بين الناس ، وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا بل هو

(١) النبوة المحمدية ومفتريات المستشرقين د . محى الدين اللوائى ص / ٧٣ ط / دار الثقافة العربية - الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٠ م

(٢) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د / محمد البهى ص ٤٣

(٣) النبوة المحمدية ومفتريات المستشرقين ص ٧٣ ، ٧٤

مرض مريع ، وشلل عام وجنون ذهولى ، يبعث الإنسان على الخمول والكسل ولا يوقظه من الخمول والكسل إلا ليدفعه إلى سفك الدماء والإدمان على معاقرة الخمور وارتكاب جميع القبائح !!

وما قبر محمد ﷺ إلا عمود كهربائى يبعث الجنون فى رؤوس المسلمين ، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة ، والذهول الذهني، وتكرار لفظة الله إلى مالا نهاية ، والتعود على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة ككراهة لحم الخنزير والنبيذ، والموسيقى ، وترتيل ما يستنبط من أفكاره القسوة والفجور فى اللذات.

ثم يتابع هذا المستشرق الموتور حملته ، فيقول : أعتقد أن من الواجب إبادة خمس المسلمين ، والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة ، وتدمير الكعبة ،ووضع قبر محمد ﷺ وجثته فى متحف اللوفر .[1]

فهل مثل هذا المستشرق درس الإسلام وفقه تعاليمه ، لا شك أنه برع فى دراسة تزوير الحق واختراع الأباطيل ليرضى نفسه المملؤه حقدا على الإسلام وتنكرا لتعاليمه، وسخطا على رسول الله ﷺ وكراهية المسلمين .[2]

وصدق ربنا ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾.[3]

ولقد صور ما تنطوى عليه نفوس المستشرقين من الحقد على الإسلام والتعصب للأهواء المستشرق النمساوى محمد أسد فقال :

إن كره الأوربيين نحو الإسلام كره عميق الجذور ، يقوم فى الأكثر على التعصب الشديد ، وهذا الكره ليس عقليا فحسب ، ولكنه يصطبغ بصبغة عاطفية شديدة وقوية وعنيفة ، وقد لا تتقبل أوربا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية

---

(١) الفكر الإسلامى الحديث ص ٥٣

(٢) قوى الشر المتحالفة ص ٥٢ ، ٥٣ بتصرف .

(٣) سورة آل عمران (١١٨)

مثلا، ولكنها تحتفظ دائما فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن ورصين وحكيم، مبنى على التفكير ، وخلق الأعذار لأصحاب هذه المذاهب الوثنية ، إلا أنهم حين يتجهون إلى الإسلام يختل عندهم التوازن ويأخذهم الميل العاطفى حتى إن أبرز المستشرقين جعلوا أنفسهم فريسة التحزب غير العلمى فى كتاباتهم عن الإسلام، ويظهر فى جميع بحوثهم على الأكثر، كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث فى البحث العملى، بل على أنه متهم يقف أمام قضائه [1]

وبعد ، فهذا قليل من كثير مما امتلأت به قلوب الحقدة على الإسلام من المستشرقين وأذنابهم ، وهذا هو أسلوبهم فى تناول الإسلام ، وفى الحديث عن رسول الله ﷺ ولعل ذلك يزيل الغشاوة عن أعين المؤمنين بهم ، والمعجبين بدراساتهم ، ولعلهم يتدبرون ما قاله الفيلسوف المشهور توماس كارليل فى كتابه «الأبطال» حين يقول عن الإسلام : لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب ،وأن محمداً خَدَّاع مزور،وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة[2]

٧ ـ نتائج الاستشراق :

لقد تبين من الدراسات الواعية المتعددة ، مدى خطر الاستشراق على الفكر الإسلامى فقد كان له أكبر الأثر فى صياغة التصورات الأوربية عن الإسلام ، وفى تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على مدى قرون عديدة ، ولم يبق إلا دعوى الدور الذى قاموا به فى تحقيق التراث الإسلامى ، ومنها تبويب بعض كتب السنة وغيرها ، ولا ريب أن الاستشراق عمل على إيجاد حصيلة واسعة من مفاهيم الإسلام ، بدأها بترجمة القرآن ـ والحديث النبوى وبعض الكتب المعروفة ،

(١) المخططات الاستعمارية ص ٩٢ عن قوى الشر المتحالفة ص ٥٣ ، ٥٤

(٢) قوى الشر المتحالفة ص ٥٥

والهدف هو إحكام الرد على ما فى هذه المصادر من قضايا معارضة للنصرانية المحرفة من ناحية ، أو معارضة للنفوذ الأجنبى من ناحية أخرى ، أو البحث عن روايات ضعيفة تحمل الشكوك والشبهات .

والحقيقة أن هذه الأعمال لم تكن خالصة لوجه العمل ، وهى بالرغم من ضآلتها بالنسبه لعمل الاستشراق الواسع فى ابتعاث كتب التراث المتصلة بالفلسفة والتصوف الفلسفى ، والفرق المتصارعة ،و الباطنية وغيرها ، ، فإنها عمل مشكور لهم ، ولكنه لا يشكل ظاهرة يمكن أن تحول دون الغرض الحقيقى للاستشراق بما يخدع به دعاة التغريب ذوى النيات الحسنة من قومنا . . وهذه مجموعة من الحقائق : -

أولا : - المستشرقون يدرسون قضايا الإسلام وتاريخه وشريعته وتراثه بروح غير علمية ، تقوم إما على سوء الفهم أو سوء النية ، وهم لا يتصورون أى شيء إلا فى حدود مفاهيم النصرانية اليونانية بعقليتهم الغربية التى تعودت على ربط الظواهر الإنسانية بالجنس واللغة والقومية والبيئة ، فى حدود المفهوم المادى القائم على المحسوس .

ثانيا : - قدم المستشرقون كتابات ودراسات أعطوها صبغة العلم فى مختلف المسائل الإسلامية ، تدرس فى بعض الجامعات على أنها صورة صحيحة لما جاء فى الشريعة الإسلامية من أحكام وقواعد ، جاء بعضها محرفا وبعضها لا يفيد حكمة الشارع ، ثم بولغ فى تحريف مدلولاتها ومعانيها على نحو يتعذر معه فهم أحكام الإسلام على وجهها الصحيح .

ثالثا : - أخضع المستشرقون تاريخ الإسلام لمفهوم النصرانية وتفسيراتها ، ثم أخضعوه لتفسيرات المادية الغربية ، ثم الماركسية .

رابعا : - دخل المستشرقون إلى مجامع اللغة وحولوا أهدافهم بها إلى مناهج

براقة سواء فى إحياء العاميات ، أو الدعوة إلى تعديل النحو أو اللغة الوسطى أو - الكتابة العربية الميسرة أو المعاصرة ، وكلها محاولات ترمى إلى إيجاد فجوة بين لغة القرآن ولغة الكتابة .

خامسا : - آثار الاستشراق فى دعوات مسمومة للتشكيك فى الإسلام والطعن فى مبادئه وتشويه الحضارة الإسلامية .

سادسا : - المبالغة فى تمجيد الحضارات الشرقية القديمة السابقة للإسلام ، والادعاء بأن الإسلام أخذ منها .

سابعا : - دراسة الحركات المضادة للإسلام قديما وحديثا والتوسع فيها ، كالفتن الأهلية والخلافات المذهبية ، ومظاهر التفسخ والانقسام .

ثامنا : - يدرس الاستشراق خصائص الفكر الاسلامى بروح الخصومة ، وبفكرة مسبقة قائمة على أحكام قوامها سوء النية وعجز عن الإنصاف ، ويعجز الاستشراق على أن يتخلص من العواطف الخاصة وهو يدرس مجتمعا ومنهجا متباينا مع فكره ومنهجه .

تاسعا : - عمله على توسيع شقة الخلافات المذهبية بين المسلمين ، بينما لم تصل هذه الخلافات إلى ما وصلت إليه بين فرق الأديان الأخرى وخاصة النصرانية لا فى طبيعتها ولا فى مداها .

عاشرا : - حاول الاستشراق الغض من عظمة الدعوة الإسلامية ، بإثارة شبهات متعددة منها : محاولة الادعاء لوجود صلة بين الشريعة الإسلامية والقانون الرومانى ، والتشكيك فى عالمية الإسلام ، ونحو هذا .

الحادي عشر : - يذهب المستشرقون إلى أبعد حدود المغالطة حين يواجهون تاريخ الإسلام بأهوائهم .

الثاني عشر : - وضعوا أساس الشبهات ، ثم نسبوها إلى كتاب عرب مسلمين

الثالث عشر : ـ غلبة التفسير المسيحى على التحليل والعرض .

الرابع عشر : ـ القول بـأن مصادر النبى ﷺ فـى القرآن هى التـوارة والإنجيل من المسائل التى يكاد الاسـتشراق يجمع عليـها ويرددها سواء فى ذلك مسـتشرقى اليهود أو النصارى .

الخامس عشر :ـ فى محاولة لتأييد النفـوذ الأجنبى الذى فرض القانون الوضعى كانت حـملة الاستشـراق على الشريعـة الإسلاميـة والادعاء بأن الفقـه الإسلامى جامد ولم يتطور .

السادس عشر : ـ كذبت الحـقائق دعاوى الاستشراق بأن التصـوف الإسلامى أخذ من الأفلاطونية الحديثة أومذاهب النصرانية .

السابع عشر : ـ ليس أدل على سـوء نية الاسـتشـراق فى البحث من إصـرار لويس ماسـينون على متابعة آثار الحـلاج خلال أربعين سنة كاملة حـتى نشر ذلك المجلد الضخم فى ١٤٠٠ صـفحة ، وكذلك إبراز الشـخصيات المعـادية للإسلام ووصفهم بالبطولة ، مع أنهم خارجون عن مفهوم الإسلام الصحيح .

الثامن عـشر : ـ لقد تجـمع فى تحريـر دائرة المعارف الإسـلامية أخـبث وأخطر رجال الاستـشراق من يهود وغـيرهم ممن يكنون الكراهية للإسلام ، ولذلـك فقد حرصـوا على صبـغ مواد الدائرة بمفـاهيم كنسيـة ويهودية ويكفى أن تأخـذ دائرة المعارف الإسلامية القصة اليهودية للعـهد القديم فى خلق آدم عليه السلام فتجعلها مـصادر لقـصـة آدم فى دائرة معـارف إسـلاميـة ، وكـذلك إبراهيم وإسـماعـيل وإسحاق.. الخ.

التاسع عشر : ـ حرص المستشرقون على تصوير المجتمع الإسلامى فى مختلف العصور وخاصة فى العصر الأول على أنه مجمتع متفكك تقتل الأنانية رجاله .

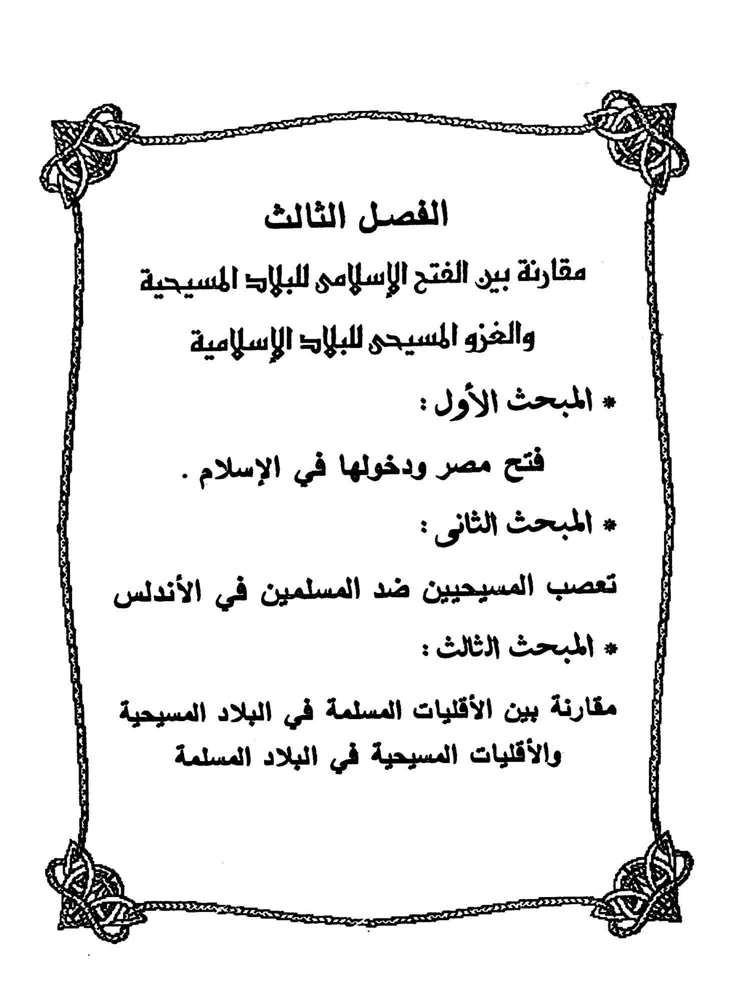
العشرون : ـ يحـاول كل من الاسـتشـراق النصـرانى خطة، والاستـشـراق

الشيوعى خطة مختلفة ، والاستشراق الصهيونى خطة ثالثة ،كل منها يهدف إلى تحقيق غرض خاص ، ولكنها جميعا تلتقى عند الإسلام بالعداوات والخصومات والحقد الدفين . .[1]

فهذا هو الاستشراق ، عرضت لشبهاته ، ولم أتناول الرد عليها ، وإنما أردت الإشارة إلى ذلك فقط.

***

(١) المد الإسلامى في مطلع القرن الخامس عشر ص ١٢٨ - ١٣٨ بتصرف ، حركة اليقظة الإسلامية ، أنور الجندى ص ٢٠٢ بتصرف ٧ / دار الاعتصام تصحيح المفاهيم فى ضوء الكتاب والسنة / أنور الجندى ص ٢٤ ، ٢٦ بتصرف دار الاعتصام .



الفصل الثالث

مقارنة بين الفتح الإسلامى للبلاد المسيحية والغزو المسيحى للبلاد الإسلامية

* المبحث الأول :

فتح مصر ودخولها في الإسلام .

* المبحث الثانى :

تعصب المسيحيين ضد المسلمين في الأندلس

* المبحث الثالث :

مقارنة بين الأقليات المسلمة في البلاد المسيحية والأقليات المسيحية في البلاد المسلمة

الفصــل الثالث

مقارنة بين الفتح الإسلامى للبلاد المسيحية والغزو المسيحى للبلاد الإسلامية

صورتان من الغـزو؛كان الغـزاة من التتـار ومن على شاكلتهـم إذا دخلوا أرضا فسـقوا فيـها ودمروها ونهـبوا مايسـتطيعون حـمله ، ثم لم يلبثـوا أن يعودوا إلى وطنهم فيسترجع المغلوبون أنفاسـهم ، ويبدأون فى البناء من جديد ، وكذلك كان الغرب المسيحى إلا أنه يريد الإقامة فى البـلاد يحتلها ولا يريد الخروج منها ، حتى تطرده الشعوب الإسلامية التى لا تستكين للذل والهزيمة.

وكان يزداد ذلك العـدو ضراوة وقـسوة ، بما يكمن فى قلبـه من حقد صـليبى على الإسلام والمسلمين ، فيقتل من يستطيع قتله ، لا يميز بين طفل وشيخ وامرأة وبطريقة وحشية ، ويدمر ويخرب كذلك ما استطاع .

فتلك صورة قاتمة يقابلها صورة ناصعة وهى صـورة الفتوحات الإسلامية ، فقد كان المسلمـون ـ أصحـاب الحضارة ـ إذا خـرجوا من ديارهم ودخلوا أراض غـير أرضهم أقامـوا فيها وعمـروها ، وتآخوا مع أهلها وأقاموا حـضارات دامت قرونا عديدة ، ولا زالت البـشرية تحلم بها ، وامـتازوا بسماحـتهم ،وعرفـوا بعدلهم ، وأحبهم المواطنون أهل البلاد أكثر من حبهم لملوكهم وبنى جنسهم ودينهم ، فكان الناس يدخلون فى دين الله أفواجا وسنذكر على ذلك أمـثله تؤكد تلك الحقائق ، وهذه الوقائع ،ومنها على سبيل المثال (مصر ، والأندلس)، وبالله التوفيق .

* المبحث الأول
فتح مصر ودخولها في الإسلام

تمهيد : -

كانت مصر قبل الفتح الإسلامى ولاية من ولايات الامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) بعد أن ورث الرومان حكم البطالمة .

وكانت الحال فى مصر الرومانية بوجه عام تحكمها حكومة مركزية قوية تسندها قوات عسكرية كافية لحفظ الأمن الداخلى وصد إغارات بدو الصحراء ، ونظام بيروقراطى محكم ومجتمع هرمى الشكل منقسم إلى طبقات ممتازة وغير ممتازة ، وتفرقة فى المعاملة بين المتأغرقين من سكان المدن وبين جمهرة الأهالى المصريين من سكان الريف .

وكان تاريخ مصر الرومانية قصة محزنة من قصص الاستغلال التى أدت إلى الانهيار الاجتماعى والخراب الاقتصادى ،وكانت مصر مجرد ضيعة تستغل لصالح الحكام ومزرعة للقمح الذى تحتاجه الامبراطورية ، وكان فلاحوها عبيد هذه المزرعة .

ولقد كان العداء شديدا بين مسيحى مصر ومسيحى الامبراطورية بسبب الاختلاف المذهبى بينهما ، نتيجه لما تمخض عنه من خلاف فى مجمع «خلقدونية» سنة ٤٥١ م الذى فصل بين كنيسة المصريين ، « اليعاقبة » (أصحاب مبدأ الطبيعة الواحدة) وكنيسة الحكومة « الملكانية » التى يعتنق مذهبها امبراطور القسطنطنية التى تنادى بمبدأ الطبيعتين البشرية والإلهية للسيد المسيح ، وكان هذا النزاع المذهبى بين الكنيستين قد وقعت أحداثه فى سنى القرن الخامس الميلادى وقطع الأسباب بين الكنيسة المصرية والأرثوذكسية والكنيسة الحكومية «الكاثوليكية» ودار الخلاف

حول مسائل تتصل بجوهر العقيدة وتوضح الغموض الذى اكتنف مشكلة التجسيد التى تمثلت فى القول التالى « لقد كان المسيح إلها وبشرا فى آن واحد ، إله من طبيعة أبيه وبشرا من طبيعة أمه » فهل هو ذو طبيعتين ؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هى حقيقة العلاقة بين الطبيعتين ؟ لقد بدأ الخلاف حين أعلن القس « آريوس » [١] الذى كان قسا فى كنسية الإسكندرية - أن للمسيح طبيعتين ، وأن مرتبة الإله الابن المخلوق لا ترقى إلى مرتبة الإله الآب الخالق ، فهو إله ولكنه دون أبيه فى المرتبة وبذلك أنكر آريوس « أن الابن والآب من طبيعة واحدة ، وإن لم ينكر ألوهية المسيح إنكارا مطلقا .

فلقى « آريوس » معارضة شديدة ، وكان وجه الخطأ عند معارضية يكمن فى إنكار الطبيعة البشرية أو التهوين من شأنها وتقليل مكانة الابن عن مكانة الآب .

ونادى هؤلاء المقاومون الذين عرفوا فيما بعد باسم أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة باندماج الطبيعتين فى التجسد ، ووجود طبيعة واحدة فقط بعد حدوث هذا التجسد وذوبان الطبيعة البشرية فى الطبيعة الإلهية ،وتلاشى الطبيعة البشرية تماما أمام الطبيعة الإلهية ،ولقد قاد المعارضة الأسقف ، أثناسيوس » [٢] . . أسقف الأسكندرية ، واعتنق آراءه عامة الشعب المصرى « اليعاقبة » أتباع مذهب الطبيعة الواحدة ودخلوا فى صراع مع الكاثوليك أو (الملكانيين) الذين يؤيدون مذهب الحكومة الامبراطورية ، وكانوا يمثلون الأقلية من شعب مصر ، فوقع نتيجة ذلك الاضطهاد على الشعب المصرى خاصة فى عهد « دقلديانوس » [٣]

---

(١) آريوس كاهن اسكندرى اعتقد أن الكلمة (المسيح) غير مساو للأب فى الجوهر ودعا إلى توحيد الله وأن المسيح مخلوق حادث غير أزلى ، فحرمه المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ م يقال لشيعته الأريوسية ولأتباعه الأريوسيين ولد حوالى ٢٧٠ م توفى ٣٣٦ م.

(٢) أثناسيوس الأسكندرى (٢٩٥ - ٣٧٣) من آباء الكنيسة حارب الأريوسية بعد المجمع النيقاوى وأسهم بقدر كبير فى تثبيت العقيدة الكاثوليكية .

(٣) دقلد يانوس (٢٤٥ - ٣١٣) امبراطور رومانى (٢٨٤ - ٣٠٥) فى عهده اضطهد المسيحيون اضطهادا شديدا

الذى عرف عصره فى المسيحية « بعصر الشهداء » لكثرة من استشهد فيه من النصارى ، وظهرت الرهبنة وانتشرت فى صحروات مصر .

ومع مطلع القرن السابع الميلادى ، أثناء حكم الامبراطور « هرقل »[1] غزا الفرس مصر واستولوا عليها سنة ٦١٦ م واستولوا على مناطق آسيا الصغرى وهددوا القسطنطينية .

وفى سنة ٦٢٨ م توفى ملك الفرس ، واعتلى ابنه العرش ، وطلب من الروم الصلح الذى كان ضمن شروطه الانسحاب الفارسى من مصر وتم الانسحاب وعادت مصر إلى حظيرة الامبراطورية الرومانية ثانية بيد أن هذه الحال لم تدم طويلا وذلك لتطور الأحداث خارج الامبراطورية تطورا أضر بها وبفارس فى الجزيرة العربية ، حيث ولد الرسول الكريم سنة ٥٧٠ م ، وفى سنة ٦٢٢ م هاجر إلى المدينة وأقام الدولة الإسلامية ، وعندما توفى سنة ١١هـ.٦٣٢م كان معظم الجزيرة العربية قد دخل الإسلام ، وكانت دعوته للعالم لدخول الإسلام قد بلغت بعد أن أرسل كتبه إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى دين الله الأوحد ، ويبلغهم آخر رسالات السماء .

وفى سنة ٦٣١ م عين « هرقل » حاكما على مصر ، هو الأسقف « قيرس » أو المقوقس . .[2]

وفى سنة ٦٣٧ م هاجمت القوات الإسلامية بلاد فارس ودكت حصون امبراطوريتها وفى سنة ٦٣٩ م جاء فتح مصر على يد عمرو بن العاص . فى عهد الخليفة الثانى « عمر بن الخطاب »

---

(١) هرقل أوهيرا كليوس : اسم اثنين من أباطرة بيزنطة ، الأول (المراد) ٦١٠ - ٦٤١ عرف عهده حروبا كثيرة، انهزم من الفرس ثم هزمهم ، وعندما بدأ الفتح الإسلامى انكسرت جيوش هرقل وخسرت الامبراطورية سوريا وفلسطين وبلاد ما وراء النهرين ومصر .

(٢) المقوقس: لقب جريج بن مينا القبطى كبير القبط على عهد النبى ﷺ وقد كاتبه ﷺ ورد عليه ردا حسنا وفتح عمرو بن العاص مصر فى عهده واتفق معه على الجزية بعد الصلح فأغاظ ذلك قيصر الروماد

مراحل الفتح

عرف العرب مصر ، وكانوا على صلة قديمة بها ، فأمهم « هاجر » زوج إبراهيم الخليل وأم نبيهم « إسماعيل » مصرية ، وزوج رسول الله ﷺ وأم ولده إبراهيم «مارية القبطية» مصرية ،ثم إن التجارة بين العرب ومصر كانت متصلة منذ زمن طويل ولما فتح المسلمون الشام تطلعوا لفتح مصر ،وكانت هى آخر معاقل دولة الروم الشرقية . [1] ثم تم فتح مصر بدون ذكر للروايات والأحداث بقيادة عمرو بن العاص - لجيش المسلمين ليتخلص الشعب المصرى من طغيان الرومان .

وبدأت المقاومة من الرومان للجيش الإسلامى - عند الباب الشرقى لمصر - قرب بورسعيد الحالية - كما أنها انتظرت المدد من المقوقس حاكم مصر من قبل الروم وظلت تقاوم الحامية الرومانية لمدة شهر دون أن يصلها المدد حتى نجح المحاصرون فى إحراز النصر ، وساعدهم فى ذلك ما قدمه لهم أقباط مصر من مساعدة « ضد الرومان » وكان بطريق الفرما ، الذى سماه العرب « أبو ميامين » قد نادى أهله القبط بمساعدة المسلمين الفاتحين ليخلصوهم من نير الروم واستبدادهم « ثم جاء مدد المسلمين وتجددت المعركة عند «عين شمس » هليوبوليس - مرة أخرى انتصر فيها المسلمون وهزم الرومان ووقعت بهم خسائر كبيرة منهم من قتل ومنهم من هرب إلى حصون بابليون ، كما حاصر « عمرو » بجيشه بعد ذلك - حصن بابليون المنيع ، واستولى على بعض السفن فى النيل استطاع بواسطتها أن يرسل بعض قواته عبر النيل لتستولى على الفيوم وعلى بعض بلاد الصعيد وخلال هذه الفتوح كان الجيش الإسلامى يلقى باستمرار العون والترحيب من أهالى البلاد الأصليين ، فضلا عن إسلام الكثير منهم رغبة فى الدين وحبا للمسلمين واستمرت محاصرة المسلمين لحصن بابليون ، حتى طلب المقوقس

(١) تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربى حتى الفتح العثمانى (د/ عطية القوصى ص/ ٧ - ١١ بتصرف ط/ دار الثقافة العربية

«الصلح مع المسلمين» وتقدم وفد إلى معسكر المسلمين ، فأحسن «عمرو» استقبالهم ورحب بهم وذكر ما للمقوقس من مواقف طيبة مع رسول الله ﷺ ، إذ جاءه الكتاب فأحسن الرد واستقباله المبعوث من قبل الرسول ﷺ أطيب استقبال فى الوقت الذى مزق فيه بعض الملوك الرسائل وأغلظوا للمبعوثين .[1] ثم قال عمرو لرسل المقوقس «نحن ندعوكم إلى الإسلام فمن أجابنا إليه فهو مثلنا ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة ، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أننا مفتتحوكم وأوصانا بكم حفظا لرحمنا فيكم ، وإن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة ، وإنى أعيد إلى عظيمكم المقوقس ما جاء فى كتاب رسول الله ﷺ :-

« بسم الله الرحمن الرحيم » من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام فأسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾[2] والسلام عليكم ورحمة الله [3] ووافق المقوقس على مشروع معاهدة تنص على استسلام الرومان وسافر المقوقس إلى القسطنطينية ليعرضها على الامبراطور « هرقل » الذى رفضها على الفور ، وأمر بنفى المقوقس، عقابا على قبوله عرض المسلمين ولكن هرقل كان فى أيامه الأخيرة فى ذلك الوقت فسرعان ما هلك ، وحالت الخلافات التى نشبت بين المجالس الامبراطورية دون إرسال الامدادات إلى مصر ، فسقط حصن بابليون فى يد المسلمين (فى ٩ابريل سنة ٦٤١ م) بعد حصار له دام ستة شهور كما تم محاصرة القوات الرومانية فى مدن عديدة ، وعلى رأسها « الاسكندرية » وكان المقوقس قد أعيد لمنصبه بعد موت هرقل ، وقد يئس من النصر فطلب

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص / ١٠٨ ، ١٠٩ بتصرف .
(٢) سورة آل عمران / ٦٤
(٣) البداية والنهاية ج ٧ ص / ١٠٨ بتصرف .

الصلح على أن يدفع الجزية ، وأن تجلو القوات الرومانية ، عن مصر خلال أحد عشر شهرا ، وعلى أن تستعيد الروم أسراها وتؤمن حياة النصارى واليهود ، فأجابهم « عمرو » لذلك بعد موافقة أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » [١] رضى الله عنه [٢] .

وأعطاهم الأمان - أى لأهل مصر - وكتب لهم كتابا بذلك « الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وممتلكاتهم ، بشرط دفع الجزية[٣].

وغادرت قوات الجيش الإمبراطورى الإسكندرية فى ١٧ سبتمبر ٦٤٢ م ٢١هـ ودخلها المسلمون فى نفس الشهر ،وانتهت تبعية مصر للإمبراطورية الرومانية التى ظلت ترزح تحت نيرها طويلا ، وفى قبضة اضطهادها وقتا كثيرا لتدخل بعد ذلك عصرا جديدا فى تاريخها ، هو عصر الإسلام والعربية [٤].

لقد رأى الأقباط فى الفتح الإسلامى نوعا من الخلاص الربانى الذى بعثته العناية الالهية لأقباط مصر فى الوقت الذى يرى فيه الكثير من متعصبة المسيحية أنه لا يزيد على صورة أخرى من صور الغزو والاحتلال ، كما يحلو « لشنودة » [٥] أن يسميه الغزو الإسلامى أو الاستعمار العربى وأمثاله ، ومن المستشرقين من يرى أنه غزو من شعب بدوى فقير متخلف لحضارة متقدمة ، ومن العسكريين من اعتبره نزهة عسكرية نظرا لترهل الوضع العسكرى للسلطة الرومانية الحاكمة فى

---

(١) عمر بن الخطاب أمير المؤمنين وثانى الخلفاء الراشدين عرف بعدله وورعه وشجاعته ورحمته ، وله من المآثر ما لا نستطيع ذكره هنا فضلا عن الإحاطه به ، وقد قتل رضى الله عنه لأربع ليالى بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر تقريبا « انظر البداية والنهاية ج ٧ ص / ١٥٢ بتصرف .

(٢) المرجع السابق ج ٧ ٢ / ١٠٩

(٣) البداية والنهاية ج ٧ ص / ١٠٨ ، ١٠٩ بتصرف

(٤) تاريخ فتح مصر الإسلامية ص / ١١ - ١٨ بتصرف

(٥) شنودة الثالث بطريك الأقباط الأرثوذكس رقم ١١٧ واسمه نظير جيد ، ولد فى مركز أبنوب بأسيوط سنة ١٩٢٣ م . تخرج من الكلية الأكليريكية ١٩٤٩ م ثم درس فيها بطريرك ١٩٧١ م ولم تنتعش المسيحية فى مصر كما كان فى عهده

الوقت . الخ

ولكن نقول : إن الذى يفهم حقيقة الفتوحات الإسلامية - بشكل عام - يدرك أنها لم تكن لتحقيق أهداف « امبراطورية » أو سياسية أو استراتيجية أو نحو ذلك، كما لم يكن الفتح الإسلامى يعترف بسيادة الفاتحين وعبودية البلاد المفتوحة،وفى قصة « عمر بن الخطاب » مع « ابن عمرو بن العاص » وابن أحد أقباط مصر خير دليل « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا [١] .

كما لم يكن الفتح الإسلامى فى أصله يهدف إلى الجباية واستنزاف الثروات لصالح العواصم الإسلامية بدليل أن« عمر بن عبد العزيز » [٢] الخليفة الأموى عنف عامله على مصر وهو « حيان بن شريح » عندما اشتد على الناس فى هذه الجباية ، وقال له: لقد بعث الله محمدا ﷺ هاديا ولم يبعثه جابيا ، لقد كان الفتح الإسلامى أساسا يهدف إلى نشر الدعوة الإسلامية ، فمن دخل الإسلام أصبح مواطنا فى الأمة الإسلامية ومن أراد أن يبقى على دينه يدفع الجزية مقابل الدفاع عنه فى وطنه والذود عنه ، وأما القتال فكان مقصودا به مجرد إسقاط النظام الحاكم الذى يحول بين الفتح الإسلامى وتوصيل الدعوة الإسلامية للشعوب المحكومة . ثم بعدها لا يفرض الإسلام على أحد ولكن المهم بلوغه إليه قياما بواجب الدعوة ، وأما بعد ذلك فالذى لا يرغب يظل على دينه ، وهذا هو

(١) من القبطية إلى الإسلام ، قصة فتح مصر - حامد سليمان ص / ٣٦ ، ٣٧ بتصرف ص / مطابع الأهرام التجارية .

(٢) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أميه القرشى الأموى المعروف - أمير المؤمنين، وأمه أم عاصم ، ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وكان عمر تابعيا ، وكان قوله من بين التابعين حجة ، وكان مجددا فى الأمه لم يعرف مثله فى عصره ورعا وزهدا وتقوى . .
كان مولده فى سنة إحدى وستين - على الراجح - ومات يوم الخميس لخمس - مضين أو بقين من رجب سنة إحدى ومائة من الهجرة عن أربعين سنة تقريبا ، بعد خلافه سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام - رحمه الله ، كان حكما مقسطا ، وإماما عادلا ، وودع دنياه ، لا تأخذه فى الله لومة لائم
انظر البداية والنهاية ج / ٩ص : ٢١٤ - ٢٣٧ .

الذى حدث فعلا فى مصر .

ولذلك قال « عبادة بن الصامت »[1] للمقوقس فيما قاله وقت طلب الصلح : « ذلك أن كل همنا ورغبتنا الجهاد فى سبيل الله ونيل رضوانه ، وليس غزونا - أعداءنا ممن يحاربون الله - لرغبة فى دنيا ولا طلبا للاستكثار منها ، رغم أن الله أحل لنا ذلك - وما يبالى أحدنا أكان له قنطار من ذهب أم كان لا يملك إلا درهما[2]

وبعد هزيمة الرومان دخلت مصر كلها فى معاهدة الصلح ، وأوصى « عمر » بهم خيرا ،كما أوصى بهم رسول الله ﷺ من قبل وأمر بألا تؤخذ أموالهم أو أراضيهم غنيمة ، وألا يستولى الجنود على مزارعهم ، بل يمنع الجنود من زراعة أى أرض يمتلكها أى مصرى إلا بحق الشراء ،وأن تحمى كنائسهم ، وأن يعطوا حريتهم كاملة فى إقامة شعائر دينهم ، وأن يتساووا فى الحقوق والواجبات مع من يدخل الإسلام من قبط مصر ، حتى يصبحوا قوة للإسلام ولا يحقدوا على الفاتحين ويصبحوا عونا فى فتح المزيد من الأقطار ، والأهم من ذلك ألا يجبر فرد منهم على دخول الإسلام ،وأن يكون ذلك طواعية ، لأن الله لا يقبل أن يعبد عن قهر أو أن يكره إنسان على الدين ،بل إن التاريخ ليحكى لنا مدى ما وصلت إليه سماحة المسلمين مع الأقباط بإعطائهم حريتهم الدينية ، وإرجاع البطريرك «بنيامين » للأقباط بناء على طلبهم فأجابهم « عمرو » لذلك ، بالقدر الذى يحكى لنا به مدى تعاون الأقباط مع الفتح الإسلامى وتمهيدهم الطرق لهم ومناصرتهم على الرومان ، ثم مساعدة المسلمين فى بناء عاصمة مصر الإسلامية كما استعان

---

(١) هو عباده بن الصامت بن قيس بن أحرم الأنصارى الخزرجى ، أبو الوليد ، شهد العقبة الأولى والثانية ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ومن المشهود لهم ، وتوفى سنة أربع وثلاثين من الهجرة بالرملة ، على الصحيح .

(٢) من القبطية إلى الإسلام ص ٤٨ - ٥١ بتصرف .

«عمرو» بخبرتهم فى إصلاح شئون البلاد الإدارية وتولى المناصب العالية وبهذه الروح السمحة البعيدة عن التعصب الممقوت - عم الرخاء على البلاد وساد الأمن فهل يعى بعض المتعصبين ، الآن - إلى أى نهاية يريدون أن يدمروا بها مثل هذه البداية الباهرة ؟ لقد تنفس الأقباط الصعداء فى ظل حكم الإسلام بعد معاناة طويلة خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين مع أباطرة الرومان ،وعادوا إلى الدعة والسكون وكأنهم فى حالة شوق عظيم إلى الراحة والأمان ،وقد وجدوا ذلك فى الإسلام ،فأحبوا الإسلام ودخل الكثير منهم فى هذا الدين ، كما أحبوا العربية لغة هذا الدين ، حتى انتشرت اللغة العربية فى مصر كلها ، كما انتشرت فى الأندلس والمغرب ،وكذلك هاجر الكثير من العرب المسلمين إلى مصر ، فأعان ذلك على انتشار اللغة العربية بها وكثرة المسلمين فى أرجائها ، ويرجع المؤرخون الفضل فى انتشار اللغة العربية والدين الإسلامى لهؤلاء الجماعات المهاجرة حيث كان فى سلوكهم فى بداية الفتح ما يغرى - الآخرين على الدخول فى دين الله أفواجا ، فالقوة المقرونة بالتواضع والصدق والأمانة والزهد كانت صفات مفتقدة، بل صفات دمرها الجو الظالم الذى ساد حياة المصريين أيام عصر الاضطهاد الإغريقى والرومانى .

والذى يتصور غموض العقيدة المسيحية يدرك سهولة الانتقال من المسيحية للإسلام لوضوح عقيدته ، والذى يعرف مبادىء الإسلام ومنها المساواة ، والتسامح ، وعدم التعصب ،وأنه لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى يدرك كذلك يسرية إسلام النصارى وعدم كراهية الناس للدين الجديد ، وعدم إكراههم عليه ،أدخلهم فيه وحببهم إليه ، والذى يعيش أخلاق الإسلام واقعا عمليا ، لا كلاما نظريا ، يكون دعوة لهذا الدين تجذب الأنظار إليه ،بل تدعوهم إلى اعتناقه أفواجا ،أفواجا ، وذلك مما حدث فى مصر ، فعن طريق التعامل مع المسلمين وقدرتهم وفقههم وقضائهم ، دخل الناس فى الإسلام طواعية ، وليس إجبارا ،

كما لم يكن الفتح غزوا أو استعمارا . [١]

كمـا لا يظن أبدا أن أبناء البلاد الأصليين لا يزالون حـتى الآن على عددهم بل دونه بكثـير بعـد أن كانوا يزيدون على ثمـانية مـلايين ، انقرضـوا الآن إلى ثلاثة ملايين ، وأن الغزاة الفـاتحين وهم لا يتجاوزون اثنى عشر ألفـا على أقصى تقدير قد صاروا اليوم خمسين مليونا أو يزيدون ،فهل يصدق ذلك عاقل ؟

ومع ذلك فـهناك من يقـول لابد من رجـوع البـلاد إلى أصـحـابهـا وإخـراج الغاصبين!

(١) أنظر بتوسع : من القبطية إلى الإسلام - حامد سليمان من ص / ٣٧ - ٧٥

من مخططات النصارى فى مصر

« لا يستطيع عاقل أن يقول إن يوم النصرانية في أمريكا وأوربا طيب ، فالإلحاد شائع والزنا والربا أشيع والركض فى أودية الحياة ابتغاء المتاع العاجل هو السمة الظاهرة وبدع الشباب المادية والأدبية ،لا حصر لها ، ولولا الحياء لغلقت تسعة أعشار الكنائس أبوابها من الفراغ أما فى مصر وفى ربوع العالم الإسلامى كله ، والأقطار العربية خاصة فالحال على العكس ، النصرانية تنتعش ،والكنائس تكثر وطوائف الشباب والشيوخ تتلاقى عليها والأموال الدافقة تجيء من منابع شتى لتدعم الطوائف المسيحية ،وترجح كفتها فى ميادين العلم والإنتاج.

وأوربا وأمريكا من وراء هذا العون الواسع تخدمان به آمالها العريضة فى القضاء على الإسلام وإعادته إلى الصحراء من حيث جاء .

ومن يدرى ؟ ربما قضيا عليه فى الصحراء نفسها ، كذلك يؤملون . ولذلك يفعلون وفى مصر تتم أعمال سرية ومنظمة ،يكاد يعلن بأنه يريد وضع الطابع النصرانى على التراب الوطنى فى هذا الوادى المحروب ،ولا ريب فى أن قوى خارجية تكمن وراء هذا النشاط وتغذيه ، هذا وقد أوعزوا إليهم أن المسلمين فى مصر غرباء ، طارئون عليها ويجب أن يزولوا إن لم يكن اليوم فغدا ، ولذلك يعلنون غضبهم إذا طالب المسلمون بتطبيق الشريعة الإسلامية وتعميم التربية الدينية، بل يودون ارتداد المسلمين عن دينهم .

كما قال تعالى : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحو حتي يأتى الله بأمره ﴾ [1] وإبراز المسيحية وكأنها الدين المهيمن على البلاد ،كما شرع الكثير من المغامرين بمناوشة الإسلام والمسلمين [2].

(١) سورة البقرة (١٠٩)

(٢) قذائف الحق / الشيخ محمد الغزالى ص٣٥ ، ٥٧ بتصرف .

« وتمضى الحملات علـى الإسلام والمسلمين فى طريقها وزادت ضـراوة وخسة فى مصـر خاصة فى الفـترة الراهنة ، أو على وجه التـحديد فى الفتـرة التى جاء «الأنبا شنودة » رئيسا للأقباط ، فقاد حملة لابد من كشف خباياها وتوضيح مداها حتى يدرك الجـميع مم نحذر ؟ ومـاذا نخشى ؟ وما نسـتطيع السكوت ومسـتقبلنا تعصف به الفتن ويأمر به سماسرة الاستعمار.

ففى شهر مارس سنة ١٩٧٣ م وفى مدينة الإسكندرية « خطب البابا شنودة فى الكنيسة المرقصية الكبرى ، فى اجتماع سرى - أعان الله على إظهار ما وقع فيه ، وقد جاء فيه :-

« إن كل شيء على ما يرام ، ويجرى حسب الخـطة الموضوعة لكل جانب من جوانب العمل على حـدة فى إطار الهدف الموحد ،ثم تحدث فى عـدد الموضوعات على النحو التالى :-

أولا : عـدد شعب الكنيسـة . . صرح لهم أن مـصادرهـم فى إدراة التعبـئة والإحصاء أبلـغتهم أن عدد المسيـحيين فى مصر يقـارب الثمانية مليـون (٨ مليون نسمة) وعلى شـعب الكنيسة أن يعلم ذلك جيدا ، كمـا يجب عليه أن ينشر ذلك ويؤكده بين المسلمين ، إذ سـيكون ذلك سندنا فى المطالب الـتى ستتقـدم بهـا إلى الحكومة التى سنذكرها لكم اليوم .

« والتـخطيط العـام الذى تم الاتفـاق عليـه بالإجـمـاع والتى صـدرت بشـأنه التعليمات الخاصة لتنفيذه وضع على أساس بلوغ شعب الكنيسة إلى نصف الشعب المصرى ، بحيث يتساوى عدد شعب الكنيسة مع عدد المسلمين لأول مرة منذ ثلاثة عشر قرنا ،أى منذ الاستعمـار العربى والغزو الإسلامى لبلادنا » على حد قوله - والمدة المحددة وفـقا للتخطيط الموضوع للوصـول إلى هذه النتيجـة المطلوبة تتروح بين ١٢، ١٥ سنة من الآن » ولذلك فإن الكنيـسة تحرم تحـريما باتا تحديد النسل أو تنظيمه وتعد كـل من يفعل ذلك خارجا عن تعليمات الكنيـسة ومطرودا من رحمة

الرب ، وقاتلا لشعب الكنيسة ومضيعا لمجده بإستثناء الحالات التى يقرر فيها الطب والكنيسة خطر الحمل والولادة على حياة المرأة ، وقد اتخذت الكنيسة عدة قرارات لتحقيق الخطة القاضية بزيادة عددهم : -

١- تحريم تحديد النسل أو تنظيمه بين شعب الكنيسة

٢- تشجيع تحديد النسل وتنظيمة بين المسلمين وخاصة وأن ٦٥ ٪ من الأطباء والقائمين على الخدمات الصحية هم من شعب الكنيسة .

٣- تشجيع الإكثار من شعبنا ووضع الحوافز والمساعدات المادية والمعنوية للأسر الفقيرة من شعبنا .

٤- التنبيه على العاملين بالخدمات الصحية على المستويين الحكومى وغير الحكومى كى يضاعفوا الخدمات الصحية لشعبنا وبذل العناية والجهد الوافرين ، وذلك من شأنه تقليل نسبة الوفيات بين شعبنا ، على أن نفعل عكس ذلك مع المسلمين .

٥- تشجيع الزواج المبكر وتخفيض تكاليفه ،وذلك بتخفيف رسوم فتح الكنائس ورسوم الإكليل بكنائس الأحياء الشعبية .

٦- تحرم الكنيسة تحريما تاما على أصحاب العمارات والمساكن المسيحيين تأجير أى مسكن أو شقة أو محل تجارى للمسلمين وتعتبر من يفعل ذلك من الآن فصاعدا مطرودا من رحمة الرب ورعاية الكنيسة ،كما يجب العمل بشتى الوسائل على إخراج السكان المسلمين من العمارات والبيوت المملوكة لشعب الكنيسة ،وإذا نفذنا هذه السياسة بقدر ما يسعنا الجهد فسنشجع ونسهل الزواج بين شبابنا المسيحي، كما سنصعبه ونضيق فرصه بين شباب المسلمين مما سيكون له أثر فعال - فى الوصول إلى الهدف ،وليس يخاف أن الغرض من هذه القرارات هو انخفاض معدل الزيادة بين المسلمين وارتفاع هذا المعدل بين شعبنا المسيحى .

ثانيا : اقتصاد شعب الكنيسة . قال شنودة : إن المال يأتينا بقدر ما نطلب وأكثر مما نطلب وذلك من مصادر ثلاثة (أمريكا ، الحبشة [1]، الفاتيكان) ولكن ينبغى أن يكون الاعتماد الأول فى تخطيطنا الاقتصادى على مالنا الخاص الذى نجمعه من الداخل وعلى التعاون على فعل الخير بين أفراد شعب الكنيسة ، كذلك يجب الاهتمام أكثر بشراء الأرض وتنفيذ نظام القروض والمساعدات لمن يقومون بذلك لمعاونتهم على البناء ،وقد ثبت من واقع الإحصاءات الرسمية أن أكثر من ٦٠٪ من تجارة مصر الداخلية هى بأيدى المسيحيين ،وعلينا أن نعمل على زيادة هذه النسبة .

« وتخطيطنا الاقتصادى للمستقبل يستهدف إفقار المسلمين ونزع الثروة من أيديهم ما أمكن بالقدر الذى يعمل به هذا التخطيط على إثراء شعبنا كما يلزمنا مداومة تذكير شعبنا والتنبيه عليه تنبيها مشددا من حين لآخر بأن يقاطع المسلمين اقتصاديا ، وأن يمتنع عن التعامل المادى معهم امتناعا مطلقا إلا فى الحالات التى يتعذر فيها ذلك ، ويعنى ذلك مقاطعة المحامين ، المحاسبين ، المدرسين ،الأطباء ، الصيادلة - العيادات والمستشفيات الخاصة - المحلات التجارية الكبيرة والصغيرة - الجمعيات الاستهلاكية أيضا . وذلك ما دام ممكنا لهم التعامل مع إخوانهم من شعب الكنيسة ، كما يجب أن ينبهوا دوما إلى مقاطعة صناع المسلمين وحرفييهم والاستعاضة عنهم بالصناع والحرفيين النصارى ولو كلفهم ذلك الانتقال والجهد والمشقة . ثم قال البابا شنودة « إن هذا الأمر بالغ الأهمية لتخطيطنا العام فى المدى القريب والبعيد .

ثالثا : تعليم شعب الكنيسة . قال البابا شنودة : « إنه يجب فيما يتعلق بالتعليم العام للشعب المسيحى الاستمرار فى السياسة التعليمية المتبعة حاليا مع مضاعفة الجهد فى ذلك خاصة وأن بعض المساجد شرعت تقوم بمهام تعليمية كالتى نقوم بها

---

(١) يلاحظ أن الحبشة الآن لا ترسل إليهم بشىء من المال بعد أن نضب معينها والبقية تأتى إن شاء الله .

فى كنائسنا ، الأمر الذى سيجعل مضاعفة الجهد المبذول حاليا أمرا حتميا حتى تستمر النسبة التى يمكن الظفر بها فى مقاعد الجامعة وخاصة الكليات العملية . ثم قال : إني إذ أهنيء شعب الكنيسة خاصة المدرسين منهم على هذا الجهد وتلك النتائج ، إذ وصلت نسبتنا فى بعض الوظائف الهامة والخطيرة كالطب والصيدلة والهندسة وغيرها إلى أكثر من ٦٠٪ إنى إذ أهنئهم أدعو لهم يسوع المسيح الرب المخلص أن يمنحهم بركاته وتوفيقه حتى يواصلوا الجهد لزيادة هذه النسبة فى المستقبل القريب .

رابعا : التبشير : كذلك فإنه يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية ، إذ أن الخطة التبشيرية التى وضعت بنيت على أساس هدف اتفق عليه للمرحلة القادمة وهو زحزحة أكبر عدد من المسلمين عن دينهم والتمسك به ، على ألا يكون من الضرورى اعتناقهم المسيحية ،فإن الهدف هو زعزعة الدين فى نفوسهم ،وتشكيك الجموع الغفيرة منهم فى كتابهم ، وصدق محمد ، ومن ثم يجب عمل كل الطرق واستغلال كل الإمكانيات للكنيسة للتشكيك فى القرآن وإثبات بطلانه وتكذيب محمد .

« وإذا أفلحنا فى تنفيذ هذا المخطط التبشيرى وذلك بأن يتم بطريقة هادئة لبقة وذكية حتى لا يكون ذلك سببا فى إثارة حفيظة المسلمين أو يقظتهم » .

وإن الخطأ الذى وقع منا فى المحاولات التبشيرية الأخيرة التى نجح مبشرونا فيها فى هداية عدد من المسلمين إلى الإيمان والخلاص على يد الرب يسوع المخلص هو تسرب أنباء هذا النجاح إلى المسلمين ،لأن ذلك من شأنه تنبيه المسلمين وإيقاظهم من غفلتهم ، وهذا أمر ثابت فى تاريخهم الطويل معنا ، وليس هو بالأمر الهين، ومن شأن هذه اليقظة أن تفسد علينا مخططاتنا المدروسة ، وتؤخر ثمارها وتضيع جهودنا ، ولذا فقد أصدرت التعليمات الخاصة بهذا الأمر وسننشرها فى كل الكنائس ،لكى يتصرف جميع شعبنا مع المسلمين بطريقة ودية تمتص

غضبهم وتقنعهم بكذب هذه الأنباء ، كما سبق التنبيه على رعاة الكنائس والآباء والقساوسة بمشاركة المسلمين احتفالاتهم الدينية وتهنئتهم بأعيادهم وإظهار المودة والمحبة لهم . وعلى شعب الكنيسة فى المصالح والوزارات والمؤسسات إظهار هذه الروح لمن يخالطونهم من المسلمين . ثم قال بالحرف الواحد : -

« إننا يجب أن ننتهز ما هم فيه من نكسة ومحنة ، لأن ذلك فى صالحنا ولن نستطيع إحراز أية مكاسب أو أى تقدم نحو هدفنا إذا انتهت المشكلة مع إسرائيل سواء بالسلم أو بالحرب » ثم هاجم من أسماهم بضعاف القلوب الذين يقدمون مصالحهم الخاصة على مجد شعب الرب والكنيسة ، وعلى تحقيق الهدف الذى يعمل له الشعب منذ عهد بعيد ، وقال إنه لن يلتفت إلى هلعهم وأصر على أنه سيتقدم إلى الحكومة رسميا بالمطالب الواردة بعد حيث إنه إذ لم يكسب شعب الكنيسة فى هذه المرحلة مكاسب على المستوى الرسمى فربما لا يستطيع إحراز أى تقدم بعد ذلك .

ثم قال بالحرف الواحد . . وليعلم الجميع خاصة ضعاف القلوب أن القوى الكبرى فى العالم تقف وراءنا ، ولسنا نعمل وحدنا ، ولابد من أن نحقق الهدف، لكن العامل الأول والخطير فى الوصول إلى ما نريد هو وحدة شعب الكنيسة وتماسكه وترابطه ، ولكن إذا تبددت هذه الوحدة ، وذلك التماسك فلن تكون هناك قوة على وجه الأرض مهما عظم شأنها تستطيع مساعدتنا » .

ثم قال : ولن أنسى موقف هؤلاء الذين يريدون تفتيت وحدة شعب الكنيسة وعليهم أن يبادروا فورا بالتوبة وطلب الغفران والصفح ، وألا يعودوا لمخالفتنا ومناقشة تشريعاتنا وأوامرنا ، والرب يغفر لهم (وهو يشير بذلك إلى خلاف وقع بين بعض المسئولين منهم ، إذ كان البعض يرى التريث وتأجيل تقديم المطالب المزعومة إلى الحكومة).

ثم عدد « البابا شنودة » المطالب التى صرح بأنه سوف يقدمها رسميا إلى

الحكومة :-

١- أن يصبح مركز البابا الرسمى فى البروتوكول السياسى بعد رئيس الجمهورية وقبل رئيس الوزراء.

٢- أن تخصص لهم (٨) ثمان وزارات (أى يكون وزراؤها نصارى)

٣- أن تخصص لهم ربع القيادات العليا فى الجيش والبوليس .

٤- أن تخصص لهم ربع المراكز القيادية المدنية ، كرؤساء مجالس المؤسسات والشركات والمحافظين ووكلاء الوزارات والمديرين العاملين ورؤساء مجالس المدن .

٥- أن يستشار البابا عند شغل هذه النسبة فى الوزارات والمراكز العسكرية والمدنية ويكون له حق ترشيح بعض العناصر والتعديل فيها .

٦- أن يسمح لهم بإنشاء جامعة خاصة بهم ، وقد وضعت الكنيسة بالفعل تخطيط هذه الجامعة ، وهى تضم المعاهد اللاهوتية والكليات العلمية والنظرية ، وتمول من مالهم الخاص .

٧- يسمح لهم بإقامة إذاعة خاصة من مالهم الخاص .

ثم ختم حديثه بأن بشر الحاضرين ، وطلب إليهم نقل هذه البشرى لشعب الكنيسة بأن أملهم الأكبر فى عودة البلاد والأراضى إلى أصحابها من الغزاة المسلمين قد بات وشيكا ،وليس فى ذلك أدنى غرابة ، فى زعمه - وضرب لهم مثلا بأسبانيا النصرانية التى ظلت بأيدى المستعمرين المسلمين قرابة ثمانية قرون (٨٠٠سنة) ثم استردها أصحابها النصارى ، ثم قال « وفى التاريخ المعاصر عادت أكثر من بلد إلى أهلها بعد أن طردوا منها منذ قرون طويلة جدا (واضح أن شنودة يقصد إسرائيل).

وفى ختام الاجتماع أنهى حديثه ببعض الأدعية الدينية للمسيح الرب الذى

يحميهم ويبارك خطواتهم (١)

« كان هذا هو التقرير الذى ألقاه البابا شنودة بالإسكندرية والذى نقل مسجلا إلى الجهات المعنية ، وقد ذكرناه إلى القراء لنكون على بصيرة من الأمر .

« وبين يدى هذا التقرير المثير لابد من كلمة ،أن الوحدة الوطنية الرائعة بين مسلمى مصر و أقباطها يجب أن تبقى وأن تصان ، وهى مفخرة تاريخية ،ودليل جيد على ما تسديه السماحة من بر وقسط ،ونحن ندرك أن الصليبية تغص بهذا المظهر الطيب وتريد القضاء عليه ، وليس بمستغرب أن تفلح فى إفساد بعض النفوس وفى رفعها إلى تعكير الصفو .

وعلينا والحالة هذه - أن نرأب كل صدع ،ونطفيء كل فتنة ،لكن ليس على حساب الإسلام والمسلمين ،وليس كذلك على حساب الجمهور الطيب من المواطنين الأقباط .

ومن الجدير بالذكر أن عددا من توجيهات شنوده قد أخذ طريقه إلى الحياة العملية ، فقد قاطع الأقباط مكاتب تنظيم الأسرة تقريبا ، ونفذوا بحزم خطة تكثير عددهم فى الوقت الذى تنفذ فيه بقوة وحماسة سياسة تقليل المسلمين.

واعتقد أن الأقباط الآن يناهزون أو يزيدون على ثلاثة ملايين ، أى أنهم زادوا عن الفترة الأخيرة ، ثم أن الأديرة تحولت إلى مراكز تخطيط وتدريب ،خصوصا أديرة وادى النطرون التى يذهب إليها بابا الأقباط ولفيف من أعوانه المقربين،والتى يستقدم إليها الشباب القبطى من أقاصى البلاد لقضاء فترات معينة وتلقى توجيهات مريبة .

وفى سبيل إضفاء الطابع النصرانى على التراب المصرى ، استغل « شنودة » ورطة البلاد فى نزاعها مع اليهود والاستعمار العالمى لبناء كنائس كثيرة لا يحتاج

(١) قذائف الحق ص (٦٠ - ٦٤)

العابدون إليها - لوجود ما يغني عنهـا - فماذا حدث ؟ لقد صدر خلال أغسطس وسبتمبر وأكتوبر سنة ١٩٧٣ خمسون مرسوما جمـهوريا بإنشاء ٥٠ كنيسة، يعلم الله أن أغلبهـا بنى للمباهاة وإظهار السطوة وإثبـات الهيمنة على مصـر،وقد تكون الدولة محرجة عندما أذنت بهذا العدد والذى لم يسبق له مثيل في تاريخ مصر .

ومع ذلك فنحن نناشـد الأقبـاط العـقـلاء أن يتريثـوا وأن يأخـذوا على أيدى سفهائهم وأن يبقوا بلادنا عامرة بالتـسامح والوئام ، كما كان ذلك دينها من قرون طوال .

وإذا كانت قاعدة « لنا ما لكم وعلينا ما عليكم » لا تَقْنعَ ، فَكَثِّروُا بعض مالكم ،قللوا بعض مـا عليكم شيئـا ما ، شـيئا مـعقـولا ، شيئـا يسهل التـجاوز عنه ، والتـماس المعـاذير له أما أن يحـلم البعض بإزالتنا مـن بلدنا ، ويضع لذلك خطة طويلة المدى ، فـذلك مـا لا يـطاق ، ومـا نرجـو عـقـلاء الأقبـاط أن يكفـونا مؤونته،ونحن علي أتم استعداد لأن ننسى وننسى . [1]

وكمـا رأينا صورة الفـتح الإسلامى لمصر ، فكانت صـورة مشـرقة ،وصفـحة ناصعة ، كم رحب أهل البـلاد بهذا الفتح الذى كان فاتحة خيـر لهم وخروجا لهم من ظلم الرومان وعـسف الحكام ،ثم نسوا ذلك أو تناسوه فى العـصر الحديث ، ويدبروا المؤامرات وصـاغوا المطالب ، ووزعوا المنشورات ،وكـادوا كيدهم ،وهم أهل البلاد ، فهاك صورة أخرى لتعصب المسيـحية فى صورة غزو مسيحى لمصر ، لترى الفارق واضحا والبون شاسعا بين سـماحة الإسلام وتعصب المسيحية ، وبين عدل المسلمين وجور المسيحيين ،ونذكر هنا نموذجا نكتفى به عن ذكر غيره : -

« نموذج للمظالم التى عاناها الشـعب المصرى خلال الحرب العـالمية الأولى فى ظل الاحتلال الإنجليزى . »

---

(١) قذائف الحق للغزالى ص (٦٤ ، ٦٥) بتصرف .

١- بمجرد قيام الحرب العالمية الأولى أعلنت بريطانيا الحماية على مصر ، وصحب ذلك إعلان الأحكام العرفية فوضعت الرقابة على الصحف وعطلت الجمعية التشريعية ومنعت الاجتماعات واعتقل عدد كبير من المصريين ،ووضعوا فى السجون والمعتقلات أو فى المنفى دون تحقيق أو محاكمة ،وأساء جنود بريطانيا معاملة المصريين وجندت السلطات البريطانية مليونا من العمال والفلاحين وسخرتهم لأعمال السلطة فى ظروف بالغة السوء ، وكانوا يؤخذون قسرا ، ويربطون بالحبال ويساقون كالأنعام وينقلون فى مركبات الحيوانات ،ومات الكثيرون منهم جوعا،وعاد من تبقى منهم بعد نهاية الحرب ليقصوا رواياتهم عن القسوة التى عوملوا بها ، ويثيروا الجماهير ضد مظالم واستعباد الإنجليز للمصريين، لجأت السلطات العسكرية كذلك طوال سنوات الحرب إلى مصادرة أرزاق الناس وحاصلاتهم الزراعية و مواشيهم ودوابهم واستولت عليها بأبخس الأثمان ، وقسرا على الرغم منهم ، فالآلام التى عاناها الناس من السلطة العسكرية الإنجليزية أكبر من أن توصف .

وتصف كاتبة إنجليزية فى مقال لها بتاريخ ٢١ أبريل ١٩١٩ م بجريدة (الديلى نيوز) ما أحدثه جنود الإمبراطورية البريطانية فى مصر ، فتقول : « إن ما أحدثه هؤلاء الجنود فى مصر لا يمحى أثره فى قليل من السنين ،وأقسم لو كنت مصرية لما ترددت فى بذل النفس والنفيس لطرد الإنجليز من مصر ، وإنى - والحق يقال - كنت أخجل أشد الخجل لانتسابى لبلادى .

ب - سوء الحالة الاقتصادية « تغلغل النفوذ الأجنبى الماثل فى البنوك والشركات والمصانع الأجنبية منذ بدأ الاحتلال فى حياة البلاد الاقتصادية ، واستعبد الشعب ماليا واقتصاديا إلى جانب استعباده سياسيا ، ثم جاءت الحرب العالمية الأولى لتزداد الحالة سوءا، فهبطت أسعار القطن ،و هو المحصول الرئيسى فعم الكساد واشتد الضيق بالفلاحين ، وقبضت بنوك التسليف يدها عن تسليف الفلاحين وأخذت البنوك العقارية تقسو فى المطالبة بأقساطها ، حتى اضطر

الفلاحون إلى بيع مصاغهم وأثاث منازلهم الضئيل بثمن بخس لأداء بقية المطلوب عليهم ،ووقفت الحكومة جامدة أمام المأساة ،واستغل المرابون حاجة الناس فخربوا بيوتهم بالديون وفوائدها الباهظة ،وتحرر البنك الأهلى من دفع المقابل الذهبى المقرر لما يصدره من عملة فشجعه ذلك على إصدار عملة لا يقابلها الغطاء الذهبى المقرر ، بل سمح على هذا للبنك بأن يرسل إلى لندن معظم رصيده من الذهب ، وترتب عليه وعلى غيره من الأسباب ارتفاع مروع في أسعار الحاجيات جعل الناس عاجزين عن شراء حاجاتهم الضرورية للمعيشة . ويصف تقرير «اللورد ميلز » عن أسباب ثورة ١٩١٩ / ١٣١٩ هـ ذلك فيقول : إن أسعار الأشياء ارتفعت فى مصر ارتفاعا متواليا لم يسبق له مثيل ولا سيما أسعار الحاجيات كالحبوب والأقمشة والوقود ،فثقلت وطأتها على الفقراء ، ولا سيما أن أجورهم لم تكن لتكفى النفقات التى يقتضيها غلاء المعيشة فى حين أنهم كانوا يرون عددا من المواطنين ومن الأجانب غير المحبوبين عندهم يجمعون الثروات الكبيرة [1] ولم يكن الحال فى بقية البلاد الأفريقية التى استعمرها الغرب الصليبى - بل اغتصبها وخربها - أحسن حالا من مصر ، بل كانت أسوأ حالا بكثير - وما ذكر قليل من كثير ، وغيض من فيض ، وذكر نموذج يغنى عن سواه .

وتعذيب وهتك أعراض وجمع للسحت من الأموال واغتصابها بكل طريقة يعرفها المتلصصة من الناس ، وبطرق تفننوا هم فى تنفيذها ،حتى بزوا كبار اللصوص ورؤساء عصابات السفاكين والقتلة المجرمين ،وكانوا هم المبرزين فى كل ما يحمر له وجه الإنسانية خجلا من ارتكاب كل ألوان البغى والفسوق والإثم والعداون، تلك الجرائم التى لا يقرها عليهم من كان على شىء - ولو يسير - من الإنسانية الحساسة.

---

(١) سلسلة أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، أفريقيا التى يراد لها أن تموت جوعا د / جمال عبد الهادى محمد مسعود ، ود / وفاء محمد رفعت جمعة ص ١٠١ - ١٠٣ .. ط دار الوفاء للطباعة والنشر « الطبعة الثانية » ١٩٨٦ م

لقد كانت تلك العصابات ، التى دعت نفسها برجال التفتيش أدنى من البهائم العجم ، فهما لشئ يُعرف بالإنسانية والشفقة ،وكانت تلك العصابات تبيح لأفرادها التفنن فى أعمال القسوة وابتزاز الأموال والاستيلاء عليها ، والفتك بالأعراض بدرجة لا تباريها فيها أكبر عصابات القتلة المجرمين منذ عرف تاريخ الإجرام حتى اليوم .

وإن تعجب فعجب من تلك الجماعات الخاسئة وقد أرادت تحجر على العقول فلا تفكر إلا بمثل ما يفكر به أعضاؤها ،وأرادت أن تحتكر أعمال العقل فيما يعرض للإنسان فى حياته ، فمن رأى رأيا مخالفا لرأى الكنيسة ، فى زعمهم أو لرأى تلك العصابات التفتيشية فى الواقع ،عوقب أشد العقاب ، ومثل به تمثيلا فظيعا تأباه الإنسانية . ولا يفكر فى إتيانه من عنده شيء من الرحمة والشفقة ، ولكن أين تلك الرحمة والشفقة من أولئك غلاظ القلوب ،الذين أرادوا أن يخضعوا كل شيء لإرادتهم ، وكل إنسان لمشيئتهم وكل العقول والأفهام لآرائهم ومعتقداتهم ! بل أين تلك الرحمة والإنسانية والشفقة ، وقد كانوا يعاقبون بالظنة ،ويأخذون بالشبهة ويحرقون الأطفال ، ويرهقون الشيوخ والعجزة والنساء الضعيفات بصنوف العذاب وألوان الاضطهاد وشتى الوسائل الجهنمية من الإجرام ،لقد ادعوا المسيحية ولا نعتقد أن دينا سماويا يرضى بشيء مما أتوه وانتسبوا لدين « عيسى ابن مريم » وحاشا أن يكون عيسى قد أوصى بتلك الفظائع والجرائم ،فإنما كان يدعو للمحبة والسلام .

ونحن نجزم ونصرح بأنهم لم يكونوا إلا عصابات إجرامية أرادت أن تستغل روح الجهل والعماية التى كانت ضاربة أطنابها فى العصور التى قامت فيها .

ويكفى أن نعلم أن تلك العصابات قد ظهرت أثناء القرون الوسطى التى عرفت بعصور التعصب الدينى المذموم ،تلك القرون التى حدثت فيها الحروب الصليبية الممقوتة إذ كانت تساق فيها الجيوش والجماعات المتحمسة لدين القساوسة والرهبان

الذين جعلوا أنفسهم للناس أربابا من دون الله ،والمتعصبة لعقائدها النصرانية لغزو البلاد الإسلامية ، ولاستخلاص بعض أجزائها .[1]

***

(١) محاكم التفتيش ص ٦٦ - ٦٨ .

* المبحث الثانى
تعصب المسيحين ضد المسلمين في الأندلس

عاشت أسبانيا زهاء قرنين من الزمن تحت نير القوط خاضعة لهم ، بعدما كانت ولاية رومانية تخضع لسلطات رومة ، فلما اضمحل سلطان رومة ، غزتها القبائل البربرية الجرمانية فى أوائل القرن الخامس الميلادى اقتسمت هذه القبائل أملاك رومة الغربية واسترلت على إيطاليا وفرنسا وأسبانيا ، وكانت أسبانيا من نصيب القوط .

والقوط هم إحدى هذه القبائل أو الشعوب البربرية التى هبطت من شمال أوربا وقوضت صروح الإمبراطورية الرومانية ، أو نزحوا من اسكندناوه ، كما تقول روايات أخرى تؤيد بعض القرائن والشواهد ، ولبث القوط زهاء قرنين سادة لأسبانيا حتى الفتح الإسلامى .

وإذا أردنا أن نلقى نظرة سريعة على المجتمع الأسبانى فى تلك الفترة ، وقبل الفتح الإسلامى ، فقد كان المجتمع الأسبانى يعانى صنوف الشقاء والبؤس ، وقد مزقته عصور طويلة من الظلم والإرهاق ، ولم يكن القوط فى الحقيقة أمة بمعنى الكلمة ، فإنهم لم يمتزجوا بسكان الجزيرة ذلك الامتزاج الذى يجعل الغالب والمغلوب والحاكم والمحكوم أمة واحدة ، بل كان القوط يستأثرون بمزايا الغلبة والسيادة ، وينعمون بإحراز الاقطاعات والضياع الواسعة، ومنهم وحدهم الحكام والسادة والأشرف ، أما سواد الشعب الأعظم فقوامه طبقة متوسطة رقيقة الحال ، وزراع شبه أرقاء يلحقون بالضياع ، وأرقاء للسيد عليهم حق الحياة والموت ، إلى جانب السادة الأشراف ، يتمتع رجال الدين بأعظم قسط من السلطات والنفوذ ، الذى استغلوه فى إحراز الضياع وتكديس الثروات واقتناء الزراع والأرقاء ، وهكذا

كانت ثروات البلاد كلها تجمع فى أيدى فئة قليلة ممتازة من الأشراف ورجال الدين، اختصت بترف العيش ومتاع الحياة وكل نعم الحرية والكرامة والاعتبار ، أما الشعب فقد كان فى حالة يرثى لها من الحرمان والبؤس يعانى أمرّ ضروب الظلم والعسف والإرهاق ، ويخص وحده - دون الطبقات الممتازة - بأعباء المغارم والضرائب الفادحة ، ومشاق العمل والسخرة فى ضياع الأشراف والأحبار وتسلبه فروض العبودية والرق كل شعور بالعزة والكرامة ، ولم يكن الشعب سوى كتلة مهيضة من طبقة فقيرة ووسطى ، ومن جمهرة من الزراع شبه الأرقاء والأرقاء كما أشرنا ، كما كان عليه إلى جانب هذه الفروض والمغارم الفادحة ، عبء الحرب والدفاع عن الوطن فكانت جيوش القوط تموج بكثير من هؤلاء شبه الأرقاء الذين كانوا فى الجيش أكثر من الأحرار ، وهذا ما يعنى أن الدفاع عن الدولة كان يعهد به إلى أولئك الذين يؤثرون ممالأة العدو على الذود عن ظالميهم، أما القوط أنفسهم فقد فقدوا منذ بعيد خلالهم الحربية القوية ، أو ركنوا إلى حياة النعماء والدعة وفتّ فى عزائمهم وشجاعتهم نعومة الجو وترف العيش ولم يعودوا بعد أولئك الغزاة الأشداء الذين أخضعوا رومة ، وتوغلوا فيما بين الدانوب والمحيط .

وكان يهود الجزيرة كتلة كبيرة عاملة ، ولكنهم كانوا موضع البغض والتعصب والتحامل يعانون أشنع ألوان الجور والاضطهاد ، وكانت الكنيسة منذ اشتد ساعدها ونفوذها تحاول تنصير اليهود وتتوسل إلى تحقيق غايتها بالعنف والمطاردة ، وتفرض التنصير على اليهود أو النفى أو المصادرة ، فاعتنق النصرانية كثير منهم كرها ورياء (سنة ٦١٦ م) ثم توالت عليهم مع ذلك صنوف الاضطهاد والمحن فركنوا إلى التآمر وتدبير الثورة ، وتفاهموا مع إخوانهم يهود المغرب على المؤازرة والتعاون ، ولكن المؤامرة اكتشفت قبل نضجها (٦٩٤ م) وكان ذلك فى عهد الملك « اجيكا » فقرر أن يشتد فى معاقبتهم ، واجتمع مؤتمر الأحبار فى طليطة

للنظر فى ذلك ، وأجاب الملك إلى ما طلبه ، وقرر معاقبة اليهود باعتبارهم خوارج على الدولة يأتمرون بسلامتها ، ولأنهم ارتدوا عن النصرانية التى اعتنقوها من قبل ، قرر أن ينزع أملاكهم فى سائر الولايات الأسبانية ، وأن تحول إلى جانب العرش ، وأن يشردوا ويقضى عليهم بالرق الأبدى للنصارى ، وأن يهبهم الملك عبيدًا لمن شاء ، وألا يسمح لهم باسترداد حريتهم ما بقوا على اليهودية ، وأن يحرر أرقاؤهم من النصارى ويمنحوا بعض أملاكهم ، وأن ينزع أبناؤهم منذ السابعة ويربون على دين النصرانية ،وألا يتزوج عبد يهودى إلا بجارية نصرانية ، ولا تتزوج يهودية إلا بنصرانى ، وهكذا عصفت يد البطش والمطاردة باليهود أيما عصف ، فكانوا قبيل الفتح الإسلامى ضحية ظلم لا يطاق ، وكانوا كباقى طوائف الشعب المهيضة يترقون إلى الخلاص من هذا النير الجائر ، ويرون فى أولئك الفاتحين الذين يتركون لهم حرية الضمائر والشعائر مقابل جزية ضئيلة ملائكة منقذين

هكذا كانت حال أسبانيا حينما افتتح العرب أفريقية ، واقتربوا من شواطئ الأندلس فكانت تلك الأوضاع الداخلية ، وكذلك الانقسامات التى جعلت الزعماء الناقمين انتهزوا فرصة اقتراب أسطول إسلامى من جنوب أسبانيا ، ورفعوا لواء الثورة من داخل البلاد ونشبت حروب أهلية بين « ردريك » وخصومه ، والتجأ هؤلاء الخصوم إلى الأسطول الإسلامى الذى رأى الفرصة سانحة للعمل ، ولم ير خيرا من الاستنصار بالعرب ومعاونيهم على فتح أسبانيا .

كل هذا مهد للفتح الإسلامى لأسبانيا حتى تم ذلك الفتح وحكمها الإسلام قرونا طويلة [١] .

١- دولة الإسلام فى الأندلس « من الفتح إلى بداية عهد الناصر » تأليف محمد عبد الله عنان ص / ٢٧ - ٣٧ بتصرف ط / مكتبة الخانجى الثالثة ١٩٨٨ م .

وتم الفتح الإسلامى لبلاد الأندلس ، الذى كان فرجًا ومخرجًا لأهل البلاد النصارى واليهود على حد سواء ، أبدى المسلمون فى معاملة البلاد المفتوحة كثيرًا من الرفق والتسامح والاعتدال فى تطبيق الأحكام وفرض الضرائب [١] ، ولنا فى معاهدة «عبد العزيز بن موسى» [٢] لبعض المناطق المفتوحة خير شاهد باعتدال السياسة الإسلامية ولينها وتسامحها ، وإليك نص هذه المعاهدة « بسم الله الرحمن الرحيم » من عبد العزيز إلى تدمير ، أنه نزل على الصلح ، وأنه له عهد الله وذمته أن لا ينزع عنه ملكه ولا أحد من النصارى عن أملاكه ، وأنهم لا يقتلون ولا يسبى أولادهم ولا نساؤهم ولا يكرهون على دينهم ولاتحترق كنائسهم ما تعبد ونصح ، وأن الذى اشترط عليه أنه صالح على سبع مدائن .. وأنه لا يأوى لنا عدوا ولا يخون لنا أمنا ولا يكتم خبرًا علمه ، وأنه عليه وعلى أصحابه دينارًا كل سنة وأربعة أمداد قمح وأربعة أمداد شعير .. ألخ [٣] .

واستطاع الإسلام أن يستقر فى أسبانيا قرونًا ، يبهر بضوء مدنيته الزاهرة جميع الأمم الأوربية فى العصور الوسطى .. [٤] وكان فتح الإسلام لأسبانيا فاتحة عصرجديد وبدأ تطور عظيم فى حياتها العامة وفى نظمها الاجتماعية ، وقضى

= وانظر بتوسع الكامل فى التاريخ لابن الأثير حـ ٤ ص / ١٩٩ - ١٢٤ ط / إدارة الطباعة المنيرية . أولى / ١٣٥٧ هـ .

وموسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية د / أحمد شلبى حـ ص ١٢٤ - ١٢٨ ط / مكتبة النهضة المصرية . الخامسة / ١٩٧٨ م

وقصة الحضارة ، ول ديورانت حـ ١٣ ص ٢٩٢ - ٣١٣ .

(١) قصة الحضارة حـ ١٣ ص / ٢٨٢ بتصرف .

(٢) عبد العزيز بن موسى بن نصير (فى ٩٧ هـ / ٧١٦ م) أمير فاتح ولاه أبوه إمارة الأندلس عند عودته إلى الشام سنة ٩٥ هـ ، وكان شجاعًا حازمًا فاضلا فى أخلاقه وسيرته وأمر سليمان بن عبد الملك بقتله فقتل وهو يصلى الصبح ، وكان ذلك من زلات سليمان .

(٣) دولة الإسلام فى الأندلس ص ٥٥ ، ٥٦ بتصرف .

(٤) المصدر السابق ص ٥٩ .

الإسلام على صور الجور والعسف واستباحة الحريات والحرمات ، وأساليب الاستغلال ، وفروض الرق والعبودية ، قضى على ذلك كله وحمل إلى الناس نعم العدل والحرية والمساواة إلى الناس جميعًا ، وأعطى كل ذى حق حقه ، وقمع البغى والظلم ،وقضى على عناصر الشر والفوضى ، ونظم إدارة البلاد المفتوحة، وبث فى الجزيرة روحًا جديدًا من العزم والأمل ونشطت الزراعة والصناعة والتجارة بعد ركودها ، وهبت ريح من الرخاء والدعة على مجتمع أضناه العسف والفاقة مدى عصور ، وقضى الفتح على سلطات الطبقات الممتازة فتنفس الشعب الصعداء ، وخف عن كاهله ما كان ينوء به من الأعباء والمغارم ، وفرض المسلمون الضرائب بالمساواة والاعتدال والعدل بعد أن كان يفرضها حكم الهوى والجشع ، وأمن الناس على حياتهم وحرياتهم وأموالهم ، وترك الفاتحون لرعاياهم الجدد حق اتباع قوانينهم وتقاليدهم والخضوع لقضائهم وقضاتهم ، واختاروا فى معظم الأحيان لهم حكامًا من أبناء جنسهم يعهد إليهم بسن الضرائب المطلوبة والإشراف على النظام والسكينة ، وأما فى شأن الدين وحرية العقائد والضمائر ، فقد كانت السياسة الإسلامية مثلا أعلى للتسامح فلم يظلم أحد أو يرهق بسبب الدين أو الاعتقاد ، وكان أداء الجزية هو كل ما يفرض على الذميين من النصارى أو اليهود مع الاحتفاظ بدينهم وحرية عقائدهم وشعائرهم ، ومن دخل الإسلام منهم سقطت عنه الجزية ، وأصبح كالمسلم سواء بسواء فى جميع الحقوق والواجبات ، ونرى فى هذا الموطن أن نقدم طائفة من الأقوال والآراء التى يعلق بها المؤرخون والنقدة الغربيون على سياسة الفتح الإسلامى وآثاره فى أسبانيا . . [1]

يقول العلامة المستشرق « رينهارت دوزى » . . [2] « لم تكن حال النصارى فى

---

(١) دولة الإسلام فى الأندلس ص / ٦٢ ، ٣٦ بتصرف .

(٢) رينهارت دوزى (١٨٢٠ - ١٨٨٤ م) مستشرق هولندى ، درس تاريخ الدول الإسلامية فى الأندلس والمغرب .

... الحكم الإسلامى مما يدعو إلى كثير من الشكوى بالنسبة لما كانت عليه من قبل ... إلى ذلك أن العرب كانوا يتحلون بكثير من التسامح ، فلم يرهقوا أحدًا فى ... ون الدين ولم تكن الحكومة ـ إذا لم تكن مغرقة فى الدين ـ لتشجع إسلام ... صارى ، إذا كانت خزانة الدولة تخسر بإسلامهم كثيرًا ، ولم يغمط النصارى ... العرب هذا الفضل ، بل حمدوا للفاتحين تسامحهم وعدلهم، وآثروا حكمهم على ... حكم الجرمان الفرنج ، وانقضى القرن الثامن كله فى سكينة ، وقلما نشبت فيه ... ثورة ، كذلك لم يبد رجال الدين فى العصور الأولى كثيرًا من التذمر ، وإن كانت لديهم أكثر البواعث لذلك .. وهذا ما تؤيده روح الرواية اللاتينية التى كتبت سنة ٧٥هـ فى قرطبة والتى تنسب «لإيزيدور الباجى» فإن كاتبها رغم كونه من رجال الدين يبدى نحو المسلمين من العطف ما لم يبده أى كاتب أسبانى آخر قبل القرن الرابع عشر .

ويقول « دوزي» عن آثار الفتح الاجتماعية « كان الفتح العربى من بعض الوجوه نعمة لأسبانيا ، فقد أحدث فيها ثروة اجتماعية هامة ، وقضى على كثير من الأدواء التى كانت تعانيها البلاد منذ قرون . . . وحطمت سلطة الأشراف والطبقات الممتازة أو كادت تمحى ووزعت الأراضى توزيعًا كبيرًا ، فكان حسنة سابغة ، وعاملا فى ازدهار الزراعة إبان الحكم العربى ، ثم كان الفتح عاملا فى تحسين أحوال الطبقات المستعبدة ، إذ كان الإسلام أكثر تعضيدا لتحرير الرقيق من النصرانية كما فهمها أحبار المملكة القوطية وكذا حسنت أحوال أرقاء الضياع ، إذ ... دوا من الزراع تقريبًا وتمتعوا بشيء من الاستقلال والحرية .

ويقول الأستاذ / لاين بول .. [1] « أنشأ العرب حكومة قرطبة التى كانت ... أعجوبة العصور الوسطى ، بينما كانت أوربا تتخبط فى ظلمات الجهل ، فلم يكن

(1) لاين بول (١٨٣٢ - ١٨٩٥ م) عالم فى الآثار المصرية ، وقد عين سنة ١٨٧٧م حافظًا للنقود فى المتحف البريطانى ، وقد أقام فى هذا المنصب إلى أن توفى .

سوى المسلمين من أقام بها منائر العلم والمدنية » .

« ما كان المسلمون كالبرابرة من القوط أو الوندال ، ويتركون ورائهم الخراب والموت ، حاشا ، فإن الأندلس لم تشهد قط أعدل وأصلح من حكمهم ، ومن الصعب أن نقول أنّى اكتسب العرب تلك الخبرة الفائقة بالشئون الإدارية ، فقد خرجوا من الصحراء إلى الغزو ، ولم يفسح لهم تيار الفتح مجالا يدرسون فيه إدارة الأمم المفتوحة .[1]

ويقول المستشرق الأسبانى « جاينجوس » . . [2] لقد سطعت أسبانيا «الأندلس» أول أشعة لهذه المدنية ، التى نثرت ضوؤها فيما بعد على جميع الأمم النصرانية وفى مدارس قرطبة وطليطة العربية ، جمعت الجذوات الأخيرة للعلوم اليونانية ، بعد أن أشرفت على الانطفاء وحفظت بعناية ، وإلى حكمة العرب وذكائهم ونشاطهم، يرجع الفضل فى كثير من المخترعات الحديثة وأنفعها . . [3] .

وقال المؤرخ الأمريكي« سكرت » فى أقل من أربعة عشر شهرًا ، قضى على مملكة وجبال البرنية ، ولا يقدم لنا التاريخ مثلا آخر اجتمعت فيه السرعة والكمال والرسوخ بمثل ما اجتمع فى هذا الفتح .

وقد كان المظنون فى البداية أن الغزو إنما هو أمر مؤقت فقط ، ولم يتوقع أحد أن يكون احتلال البلاد دائما ، فلما استقرت الجماعات المستعمرة ، وفتحت الثغور

---

(١) دولة الإسلام فى الأندلس ص ٦٣ - ٦٤ بتصرف .

والعلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية ص ٦٩ - ٧٤ بتصرف وموسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية حـ ٢ ص ١٣١ بتصرف .

وقصة الحضارة ، ول ديوارنت حـ ١٣ ص / ٢٩٢ بتصرف

(٢) جاينجوس (١٨٠٩ - ١٨٩٧ م) مستشرق اسبانى ، ولد فى أشبيليه وكان أبوه حاكم المكسيك العسكرى ، درس العبرية وله مترجمات من العربية إلى الأسبانية وغيرها ككتاب نفح الطيب للمقرى ، وغير ذلك .

(٣) نفس المصدر ص / ٦٤ .

لتجارة المشرق وأقيمت المساجد ، أدرك القوط فداحة الخطب الذى نزل بهم ولكن اعتدال حكامهم الجدد خفف من آلم الهزيمة ، وكان دفع الجزية يضمن الحماية لأقل الناس وكان يسمح للورع المتعصب أن يزاول شعائره دون تدخل ، كما يسمح للملحد أن يجاهر بآرائه دون خشية المطاردة والأحبار يزاولون شئونهم فى سلام.

أما أقوال الكتاب النصارى التى ينسبون فيها للعرب أفظع المثالب فهى محض مبالغة أو افتراء . . .[1] أجل لم يك ثمة ما يدعو لأن يعتبر الفتح الإسلامى لأسبانيا كارثة قومية يفزع لها الشعب ويأسو ، بل كل ما هنالك بالعكس يدعو إلى اعتباره نذير الخلاص والأمل ، ألم يكن شعار الفاتحين التسامح والعدل والمساواة ؟ لقد كان تسامح الإسلام نبراسًا يشع بضوئه المنفذ فى هاتيك المجتمعات التى أضناها الإرهاق الدينى ولم ير الإسلام بأسًا من أن يستقبل النصارى واليهود إلى جانب المسلمين فى مجتمع واحد يسوى فيه بينهم فى جميع الحقوق والواجبات ، ولم ير بأسًا من أن تقوم الكنائس والبيع إلى جانب المساجد ، ألم يكن ذلك أبدع وأروع ما فى سياسة الفتح الإسلامى ؟لقد كانت حرية الضمائر والعقائد والفكر ، و ما زالت أقدم العصور أثمن ما تحرص عليه الشعوب الكريمة وتذود عنه .

فإذا ذكرنا أن هذا التسامح الذى أبداه الإسلام نحو الأمم المغلوبة ، وهذا الاحترام لضمائر الناس وعقائدهم ، وهذه الحرية التى تركها لهم فى إقامة شعائرهم ، إنما جاءت بعد عصور طويلة من الاضطهاد الدينى ، اتخذت فيها مطاردة الضمائر والعقائد أشنع الأساليب والصور ، استطعنا أن نقدر ما كان لذلك الانقلاب من أثر عميق فى نفسية تلك الشعوب المغلوبة وعواطفها ، وما كانت تحبو به حكم الإسلام من التأييد والرضى . . [2] لا يبدى كثير من العلماء الأسبان

(١) نفس المصدر ص / ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) المصدر السابق ص / ٦٥ . ٦٦ .

انفسهم مثل هذا التقرير ، والإشادة باعتدال السياسة الإسلامية وآثار مسلكها المستنير ، ذلك أن العرب تركوا الشعب المغلوب دون مضايقة يحيا حياته الخاصة فى نظمه وتقاليده ، وهذا ما يسلم به المستشرق «سيمونيت . . [1] بالرغم من كونه أشد العلماء الأسبان تحاملا ، فهو يقول لنا « إنه فيما يتعلق بالقوانين المدنية والسياسية ، فإن النصارى الأسبان احتفظوا فى ظل الحكم الإسلامى بنوع من الحكومة الخاصة ، واحتفظ الناس بأحوالهم القديمة دون تغيير كبير ، وفيما يتعلق بالتشريع ، فإنهم قد احتفظوا فى باب النظم الكهنوتية بقوانين الكنيسة الأسبانية القديمة دون تغيير كبير ، واحتفظوا فى الناحية الدينية بالقوانين القوطية أو قانون القاضي ، يخضعون لها فى كل ما له علاقة بحكومتهم ، وهى حكومة بلدية محلية ، ومالم يكن يتعارض مع القوانين والسياسة الإسلامية .

وفيما يتعلق بالناحية النظامية ، يقول العلامة « التاميرا » إن أغلبية الشعب الأسبانى الرومانى والقوطى بقيت فى ظل حكم المسلمين محتفظة برؤسائها «وهم الأقباط أو الكونتات » وقضاتها وأساقفتها وكنائسها ، وبالجملة بقيت محتفظة بما يشبه استقلالها المدنى الكامل ، ومنع الولاة بأن يفرضوا على النصارى المحكومين الضرائب الشرعية . ويقول المستشرق « كارديناس » . . [2] إن الفضل يرجع إلى تسامح الولاة والأمراء الأوائل فى أنه خلال العصور الأولى من الحكم الإسلامى كان الشعبان ـ المسلمون والمستعربون (النصارى) ـ يعيشان جنبًا إلى جنب عيشة حرة ، واستطاع المستعربون فى ظل الحكم الإسلامى أن يحتفظوا باستقلالهم ولغتهم وعاداتهم وقوانينهم ، وأحيانًا بأساقفتهم وكونتاتهم ، وأن يسهروا على صيانة الفنون القوطية التى كان العرب بأنفسهم يقتبسون من أساليبها »

---

(١) سيمونيت (١٨٢٩ - ١٨٩٧) مستشرق اسبانى ، ولد فى مالقه وتخرج من جامعة غرناطة ، وعين أستاذًا للعربية فيها .

(٢) كارديناس « مستشرق اسبانى ، ولد فى غرناطه ، وتخرج من جامعتها وتلمذ على يد سيمونيت وله دراسات متعدده .

ونكتفي بما تقدم من أقوال المؤرخين والمفكرين الغربيين في الإشادة باعتدال السياسة الإسلامية وتسامحها وفي أقوالهم أبلغ رد على ما ينسبه بعض الأحبار والعلماء المتعصبين لحكم المسلمين من ضروب التعصب والطغيان المدني والديني.[1] والفضل ما شهدت به الأعداء ، وصدق الله العظيم « وشهد شاهد من أهلها . . »[2] .

كانت هذه صورة من صور الفتح الإسلامي للبلاد المسيحية ، فماذا كان رد الفعل من البلاد المسيحية في غزوها للبلاد الإسلامية ؟ ، بعد أن استقر فيها الأمر، واستتب الأمن ، وفرح المسيحيون ـ قبل المسلمين ـ بفضل الله ورحمته .

فلما ضعفت الدولة الإسلامية ، وتفرق المسلمون ، وركنوا إلى الراحة ، وأخلدوا إلى الأرض والدعة ، وتفشت فيهم المعاصي ، وفتنتهم النساء ، ولعبت الخمر برؤوسهم، وأثر الغناء فيهم ، وانتشر الزنا بينهم - ولا شك أن ذلك بتخطيط ماكر من أعدائهم لاحت الفرصة أمام النصارى للانقضاض على المسلمين، الذين طالما أحسنوا إليهم ، وتسامحوا معهم ووفوا لهم ، وبعد معارك ضارية ما بين كر وفر ، ونصر وهزيمة للطرفين انتهى الأمر بهزيمة المسلمين الذين نالت منهم الخيانة والفرقة والمعصية وحب الدنيا وشهوة الزعامة ، ولو أن الأمر انتهى بهزيمة المسلمين واسترداد النصارى لأسبانيا مرة أخرى لهان الخطب ، ولكن تعصب النصارى ظهر في تلك الأونة بأقبح صورة وقد كشر عن أنيابه ، يقتل المسلمين ، ويفتك بهم ، ويمثل بجثثهم ويحرقهم ، ولم تُعْفَ النساء من ذلك ولا الأطفال، وكذلك الشيوخ والمرضى ، ويعيث في الأرض فسادًا يحرق المساجد ، ويهدم الحصون ، ويخرب العمران ، وينهب الأموال ويسرق المتاع وكان إذا تمكن من

(١) دولة الإسلام في الأندلس ص ٦٦ ، ٦٧ ، وقصة الحضارة « ول ديورانت » جـ ١٣ ص / ٢٨٢ بتصرف ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية د/ أحمد شلبي جـ ٤ ص / ٢٧ ، ٢٨ بتصرف

(٢) سورة يوسف (٢٦) .

شيء ولا يذر لهم على شيء ، ينكل بأهلها ، ويفعل بهم الأفاعيل ، كما سنرى صورًا من ذلك . .[١] .

لقد سقط الهلال وأقيم الصليب على بروج غرناطة ، آخر معاقل المسلمين بالأندلس وما كان يستتب الأمر للمسيحيين حتى عذبوا اليهود طمعًا فى أموالهم ، وأحرقوهم ونفوهم ثم نكلوا بالمسلمين وأجبروهم على اعتناق المسيحية ، ثم عملوا على استئصال شأفتهم فقتلوا الرجال ، وأحرقوا المساجد التى التجأ إليها النساء والأطفال ، وكثيرًا ما دافع المسلمون عن أنفسهم وقاتلوا وانتصروا ، وفتحوا لأنفسهم طريقًا للخروج إلى مراكش وتركيا ومصر، وخرج أكثرهم وأجبر من بقى على اعتناق المسيحية فأظهروا قبولهم، ورغما عن ذلك كانوا يساقون إلى محاكم التفتيش لأقل سبب ،واشتعلت النيران لإحراقهم فى غرناطة وقرطبة وإشبيلية ، واتخذوا من بقى عبيدًا ، ولما آل ملك الأندلس إلى فيليب الثانى سنة ١٥٦٨ ، أمر المسلمين بتغيير لغتهم وزيهم وعاداتهم وأسمائهم فى يوم واحد ، وثار المسلمون وقاتلوا ثلاث سنوات حتى أخضعهم « دون جوان » وقتلهم وأحرق منازلهم ، وتابع فيليب الثالث خطة أبيه ، وأخرج من الأندلس إلى أفريقية نصف مليون من المسلمين ، وسار إلى فرنسا مائتا ألف ومنها ساروا إلى البلاد الإسلامية، وهكذا خلت الأندلس من فاتحيها الذين أخرجوها من الظلمة إلى النور، ومن عذاب الرومان والقوط إلى عدالة ونعيم الإسلام الحنيف ، وأحالوا جدبها خصبًا،وجهلها علما وأضاءوا العصر الوسيط فأبانوا الطريق إلى العصر الحديث ، والكل يعترف بما أصاب الأندلس وأهلها من خسارة عظيمة بخروج المسلمين منها . .[٢] وصدق الله العظيم القائل ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيرًا نعمة

---

(١) انظر بتوسع / كتاب « دولة الإسلام فى الأندلس ، والخلافة الأموية والدولة العامرية د/ محمد عبد الله عنان ، ط مكتبة الخانجى ، والعلاقات بين الأندلس الإسلامى وأسبانيا النصرانية فى عصر بنى أمية وملوك الطوائف د/ رجب محمد عبد الحليم ص / ٢٧ - ٤٣ بتصرف ، ط / دار الكتب الإسلامية

(٢) تاريخ العرب فى الأندلس « تأليف حسين مراد ص / ١٥٠ بتصرف ط / دار الفرجانى ١٩٨٤ .

أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾ . . . [١] والقائل :
«إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مـا بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال . .[٢] .

(١) سورة الأنفال / ٥٣ .
(٢) سورة الرعد / ١١

تنصير المسلمين بالقوة أو التعذيب في محاكم التفتيش

« وأخذت سياسة الإرهاب تجرف فى طريقها كل شىء ، ونشاط ديوان التحقيق أو الديوان المقدس يدعمه وحى الكنيسة ، وتأييد العرش إلى مزاولة قضائه المدمر ، وكانت مهمة هذه المحاكم الكنسية المروعة أن تعمل على حماية الدين « الكثلكة » ومطاردة الكفر والزيغ بكل ما وسعت ، وكان جل ضحاياها فى البداية من اليهود والمسلمين ثم الموريسكيين أو العرب المتنصرين .

وهكذا فإنه لم تمض بضعة أعوام على تسليم غرناطة ، حتى بدت نيات السياسة الأسبانية واضحة نحو المسلمين ، وكانت الكنيسة تحاول خلال ذلك أن تعمل لتحقيق غايتها ـ أعنى تنصير المسلمين ـ بالوعظ والاقناع ، ومختلف وسائل التأثير المادية ولكن هذه الجهود لم تسفر عن نتائج تذكر ، فجنحت الكنيسة عندئذ إلى سياسة العنف والمطاردة ، وأذعنت السياسة الأسبانية لوحى الكنيسة ، ولم تذكر ما قطعت من عهود مؤكدة للمسلمين باحترام شعائرهم » . .[1] .

« وكان وراء هذه السياسة العنيفة حبران كبيران هما « الكردينال خمنيس » مطران طليطلة ، ورأس الكنيسة ، و« الدون ديجوديسا » المحقق العام لديون التحقيق ، وحاولت السياسة الأسبانية من جانبها أن تسبغ على هذه التصرفات ثوب الحق والعدالة ، وأخذت فى تحرير العهود والنصوص التى تضمنتها معاهدة التسليم وتعديلها وتفسيرها بطريق التعسف والتحكم ، ثم خرقها نصا فنصا ، واستلاب الحقوق والضمانات الممنوحة تباعًا ، فأغلقت المساجد ، وحظر على المسلمين إقامة شعائرهم ، وانتهكت عقائدهم وشريعتهم ، وأدرك المسلمون ما ترمى إليه السياسة الكنسية من محو دينهم ولغتهم وشخصيتهم ، ودوت فى آذانهم تلك الكلمات الخالدة والنبوءة الصادقة التى ألقاها إليهم فارس غرناطة ، يوم

(١) انظر دائرة المعارف للبستانى حـ ٤ ص / ٤٨٦ ، ٤٨٧ بتصرف -- ط / دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

اعتزموا التسليم للعدو « أتعتقدون أن القشتاليين يحفظون عهودهم ، وأن يكون لهذا الملك الظافر من الشهامة والكرم ماله من حسن الطالع ؟ لشد ما تخطئون ، إنهم جميعًا ظمئون إلى دمنا ، والموت خير ما تلقون منهم ، إن ما ينتظركم شر الإهانات ، والانتهاك والرق ، ينتظركم نهب منازلكم ، واغتصاب نسائكم وبناتكم، وتدنيس مساجدكم ، تنتظركم المحارق الملتهبة ، لتجعل منكم حطامًا هشيمًا . . [1] .

وقد كان ذلك كله ، وزاد عليه أضعافًا ، وكل ذلك دون الدين أمره يهون ، ولكن اتخذت الكنيسة وسائل فعالة لتنصير المسلمين ، وأمر بجمع فقهاء المدينة ، ودعوا إلى اعتناق النصرانية ، وأغدق عليهم التحف والهدايا ، فأقبل بعضهم على التنصير وتبعهم جماعة كبيرة من العامة ، بل والأمراء والوزراء ، واستعمل الوعد والوعيد ، والبذل والارغام ، فى تنصير بعض أعيان المسلمين ، وهكذا اجتاحت موجة التنصير كثير من الأكابر والعامة ، وتمركزت حركة التنصير فى غرناطة بالأخص فى « حى البيازين » حيث حول مسجده فى الحال إلى كنيسة سميت باسم « سان سلبادور » واحتج بعض أكابر المسلمين على هذه الأعمال ، ولكن ذهب احتجاجهم وتمسكهم بالعهود المقطوعة سدى ، وثار أهل البيازين وتحصنوا بحيهم ، ونددوا بخرق العهود ، فبذل « الكردينال خمنيس » وحاكم المدينة جهودًا فادحة لاقناعهم بالهدوء والسكينة ، وبذلا لهم من التأكيدات والضمانات الكلامية ما شاءوا » [2] .

« ولم يقف الكردينال خمنيس » عند تنظيم هذه الحركة الارهابية ، التى انتهت بتوقيع التنصير المغضوب على عشرات الألوف من المسلمين ، ولكنه قرنها بارتكاب

---

(١) نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ـ محمد عبد الله عنان ص ٣١٤ ، ٣١٥ ط مكتبة الخانجى / الرابعة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .

(٢) المصدر السابق ص / ٣١٥ . ٣١٦ بتصرف

عمل بربرى شائن ، هو أنه أمر بجمع كل ما يستطاع جمعه من الكتب العربية من أهالى غرناطة وأرباضها ، ونظمت أكداسا هائلة فى ميدان باب الرملة أعظم ساحات المدينة ، ومنها كثير من المصاحف البدعية الزخرف ، وآلاف من كتب الآداب والعلوم ، وأضرمت النيران فيها جميعًا ، ولم يستثن منها سوى ثلاثمائة من كتب الطب والعلوم ، وحملت إلى الجامعة التى أنشأها فى مدينة «الكالادى هنارس» وذهبت ضحية هذا الاجراء الهمجى عشرات الألوف من الكتب العربية، وهى خلاصة ما بقى من ثرات التفكير الإسلامى فى الأندلس» . . [١] .

« ولسنا نحن فقط الذين نصف عمل « خمنيس » بالبربرية والهمجية ، بل قالها ويقولها مفكرو الغرب أنفسهم ، فمثلا يشير العلامة الإيطالى « الآب سكيا برللي» فى مقدمة إحدى كتبه إلى التعصب الكاثوليكى وثورات خمنيس البربرية،التى ترتب عليها حرق المصاحف والكتب الإسلامية الأخرى لمسلمى غرناطة ، وذلك لكى يتوسل بذلك إلى تنصيرهم » .

ويقول المؤرخ الأمريكى « وليم برسكوت » : « إن هذا العمل المحزن لم يقم به همجى جاهل ، وإنما حبر مثقف ، وقد وقع لا فى ظلام العصور الوسطى ، ولكن فى فجر القرن السادس عشر ، وفى قلب أمة مستنيرة ، تدين إلى أعظم حد بتقدمها إلى خزائن الحكمة العربية ذاتها » .

مع أن هذا العمل الذى يثير غضب النقد الغربى الحديث وزرايته ، يجد مع ذلك بين العلماء الأسبان من يبرره بل ويمجده ، ونغض الطرف عما قالوه ، مكتفين بالإشارة إليه . . [٢] .

« ولنعد إلى حديث تنصير المسلمين ، فنقول :إن ما حدث فى غرناطة ، حدث

---

(١) نفس المصدر ص / ٣١٦ .٢٦٦(

(٢) نهاية الأندلس ص / ٣١٦ ، ٣١٧ بتصرف .

فى باقى البلاد والنواحى الأخرى ، حتى عم التنصير سائر أنحاء مملكة غرناطة ، على أن هذه الحركة التى نظمت لتنصير بقية الأمة الأندلسية والتى لم تدخر فيها أساليب الوعود والوعيد والإغراء وسعًا ، لم تقع دون قلاقل واضطرابات عديدة . (١) .

وكان الإغراء بالتنصير أحيانًا فى شكل الهبات والمنح الجماعية لبلدة أو منطقة بأسرها أو كان التنصير تحت وطأة التهديد والتعذيب ،وامتنع قوم عن التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك ، وامتنعت قرى وأماكن كذلك ، فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبيا ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأخرجوا الباقين ، حتى صارت الأندلس كلها نصرانية ، ولم يبق فيها من يقول «لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » إلا من يقولها فى قلبه وفى خفية من الناس، فإذا علم منهم أحد أخذ وأحرق بسبب ذلك ، وجعلت النواقيس فى صوامعها بعد الأذان ، وفى مساجدها الصور والصلبان بعد ذكر الله وتلاوة القرآن، فكم من عين باكية ، وقلب حزين ، وكم فيها من الضعفاء والمعذورين ، لم يقدروا على الهجرة واللحوق بإخوانهم المسلمين ،وقلوبهم تشتعل نارًا ، ودموعهم تسيل سيلا غزيرًا ، وينظرون إلى أولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ، ويسجدون للأوثان، ويأكلون الخنزير والميتات ، ويشربون الخمر أم الخبائث والمنكرات ، فلا يقدرون على منعهم ، ولا على نهيهم ولا على زجرهم ، ومن فعل ذلك عوقب بأشد العقاب ، فيالها من فجيعة ما أمرها ، ومصيبة ما أعظمها ، وطامة ما أكبرها،وانطفأ من الأندلس الإسلام والإيمان ، فعلى هذا فليبك الباكون، وليتنحب المتنحبون،فإنا لله وإنا إليه راجعون . . . (٢) .

---

(١) مذابح وجرائم محاكم التفتيش فى الأندلس للأستاذ / محمد على قطب ص (٤١) بتصرف ط / مكتبة القرآن .

(٢) نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ص (٣١٩ - ٣٢١) بتصرف

« وعلى الرغم من هذا كله ، فلا يزال العرب المتنصرون هم الشغل الشاغل للكنيسة والسياسة الأسبانية ، فهم عنصر بغيض فى المجتمع الأسبانى ، وهم خطر على الدولة والوطن ، وهم بالرغم من ردتهم مازالوا خونة مارقين ، وما زالوا أعداء للدين ، فلما دفعهم اليأس إلى الثورة فى مفاوز « البشرات » ولما آنست السياسة الأسبانية أن هذه البقية الممزقة من الأمة الأندلسية القديمة ، ومازالت تجيش برمق من الحياة والكرامة ، ورأت أن تضاعف إجراءات القمع والمطاردة ضد هذا الشعب المهيض الأعزل ، حتى لا ينبض بالحياة مرة أخرى . . وكانت ثورة «البشرات» نذير فورة جديدة ، من هجرة الموريسكين إلى ماوراء البحر ، فجازت منهم إلى أفريقية جموع عظيمة ، ولكن الكثرة الغالبة منهم بقيت فى الوطن القديم هدفًا للاضطهاد المنظم والقمع الذريع المدنى والدينى ، وإلى جانب الأوامر الملكية بمنع الهجرة ،وحظر التصرف فى الأملاك أو حمل السلاح وغيرها من القوانين المقيدة للحقوق والحريات ، وكان ديوان التحقيق من جانبه يشدد الوطأة على الموريسكين ، ويرقب كل حركاتهم وسكناتهم ويغمرهم بشكوكه وريبه ، ويتخذ من أقل الأمور والمصادفات ذرائع لاتهامهم بالكفر والزيغ ، ومعاقبتهم بأشد العقوبات وأبلغها . . [1] « وقد نقل إلينا « الدون لورنتى » مؤرخ ديوان التحقيق الأسبانى وثيقة من أغرب الوثائق القضائية ، تضمنت طائفة من القواعد والأصول التى رأى الديوان المقدس أن يأخذ بها العرب المتنصرين ، فى تهمة الكفر والمروق وإليك ماورد فى تلك الوثيقة الغريبة :

« يعتبر الموريسكى أو العربى المتنصر قد عاد إلى الإسلام ، إذا امتدح دين محمد أو قال إن يسوع المسيح ليس إلها ، وليس إلا رسولا ، أو أن صفات العذراء أو اسمها لا تناسب أمه ، ويجب على كل نصرانى أن يبلغ عن ذلك ، ويجب عليه أيضًا أن يبلغ عما إذا كان رأى أو سمع ، بأن أحدًا من الموريسكين

(١) نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ بتصرف .

يباشر بعض العادات الإسلامية ومنهـا أن يأكل اللحم فى يوم الجمعة ، وهو يعتقد أن ذلك مباح ، وأن يحتفل يوم الجمـعة بأن يرتدى ثيابًا أنظف من ثيابه العادية أو يستـقبل المشرق «القبلة» قائلا باسم الله أو يوثق أرجل الماشـية قبل ذبحـها ، أو يرفض أكل تلك التى لم تـذبح أو ذبحتـها امـرأة أو يختن أولاده ، أو يسـميـهم بأسمـاء عربية ، أو يعرب عن رغـبته فى اتباع هذه العـادة أو يقول : إنه يجب الا يعـتقـد إلا فى الله ، وفى رسوله مـحـمد ، أو يقـسم بأيمان القرآن ، أو يصـوم رمضـان ، ويتـصدق خـلاله ، ولا يأكل ولا يشرب إلا عند الغـروب ، أو يتناول الطعام قـبل الفجر « السـحور » أو يمتنع عن أكل لحم الخنزير وشرب الخـمر ، أو يقوم بالوضـوء والصلاة ، بأن يوجـه وجهه نحـو الشرق ويركع ويسـجد ، ويتلو سورًا من القرآن ، أو أن يتزوج طبقًا لرسوم الشريعة الإسلامية ، أو ينشد الأغانى العربيـة ، أو يقيم حـفلات الرقص والموسـيقى العـربية ، أو أن يسـتعمل الـنساء الخضاب فى أيديهن أو شعورهن ، أو يتبع قـواعد محمد الخمس ، أو يلمس بيده على رؤوس أولاده أو غيرهم تنفيذا لهـذه القواعد ، أو يغـسل الموتى ويكفنهم فى أثواب جديدة ، أو يدفنهم فى أرض بكر ، أو يغطى قبورهم بالأغصان الخضراء ، أو يستغيث بمحمد وقت الحاجة منعتا إياه بالنبى ورسول الله أو أن يقول إن الكعبة أول معابد الله ، أو يقول إنه لم ينصـر إيمانًا بالدين المقدس أو أن أباه وأجداده قد غنموا رحمة الله ، لأنهم ماتوا مسلمين . . . ألخ »[1] .

كـانت هذه الشبـه وأمـثالهـا ، تتـخذ ذريعـة للتنكيل بالموريـسكيين بالرغم من تنصـيرهم وانتمـائهم إلى دين أسيـادهم الجدد ، ومن الطـبيعى أن يكـون موقف المسلمين الذين آثـروا الاحتـفـاظ بدينهم أدق وأخطر ، وكـانت قـد بقـيت منهم جماعات كبيرة فى غرناطة وبلنسية وغيرها ، يعيشون فى غمرة من الجزع الدائم ، وكانـت محارق ديـوان التحـقيق تلتـهم الكثيـر من هؤلاء وهؤلاء ، لأقل الشـبه

(١) مذابح وجرائم محاكم التفتيش فى الأندلس ص ٤٨ ، ٤٩

والوشايات ، ولقد كان الإسراف في مطاردة المسلمين والموريسكيين نذير السخط فالثورة ، ولكن الثورة أخمدت ، ولم تعد السياسة الأسبانية عن مسلكها، وضاعفت محاكم التحقيق إجراءات القمع والتنكيل .. [(١)].

فماذا عن محاكم التفتيش ؟ هذا ما سنعرضه فى الصفحات القادمة إن شاء الله .

***

(١) نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ بتصرف .

محاكم التفتيش

بأسبانيا ، والبرتغال ، وفرنسا .. وغيرها .. (١)

إن الحديث عن محاكم التفتيش ليعطينا صورة حية ومجسمة لتعصب المسيحيين ووحشيتهم وفظائعهم ، حين كان يقوم باسم الدين المسيحى ، الذى يبرأ منه المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - وهى صورة يرى فيها القارئ ما كانت عليه قلوب هؤلاء القساوسة والرهبان من الغلظة والقسوة التى لا تمت إلى الإنسانية بأى صلة ، بل إن الوحوش المفترسة يمكن أن تنفر منها ، وتلك صورة مصغرة منها :-

« بعد أن تم للمسلمين فتح شمال أفريقية - أيام الدولة الأموية - وعبروا إلى أرض أسبانيا ، وتم فتح جل شبه جزيرة أيبريا ، وتوالى على تلك البلاد المفتوحة الولاة من قِبَل بنى أمية ، كما تم فتح كثير من البلاد المجاورة لها حتى وصل المسلمون إلى أرض فرنسا ، فلما حدثت خلافات بين المسلمين على الأسلاب والغنائم ، وقع اضطراب فى الجيش الإسلامى ولحقت به الهزيمة ، فارتدت فلولهم عن أرض فرنسا جنوبًا ، واستقروا فى أسبانيا .

ومن الغريب فى أمر أولئك الأمراء المسلمين أنهم لم يطهروا البلاد من أعدائهم ولم يأخذوا منهم حذرهم فسكنوا فى جزء من البلاد ، وكانوا سبب أحداث وفتن واضطرابات فى البلاد المفتوحة .. ثم قوى أمرهم فيما بعد حتى أمكنهم طرد المسلمين من ذلك الفردوس المفقود « الأندلس » كما سبق .. ولا تسل عما كان يقوم من الاضطرابات والثورات الداخلية فى البلاد التى فتحها المسلمون فى أسبانيا والبرتغال ، لما كان من حروب داخلية لا تنقطع بين القبائل وبين الخلافة

---

(١) انظر : موسوعة تاريخ العالم ، وليام لانجر ، ترجمة د/ محمد مصطفى زيادة جـ ٤ ص ١٠٥١ ، ط/ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٣ م .

الأمويـة والعبـاسيـة ، وانقسـام الدولة الأموية على نفسـهـا ، وتفرق الجـماعـة وانقسامها . . . ألخ .

وفى ذات الوقت اتحدت جيوش النصرانية مـن إيطاليا وفرنسا وألمانيا ، واتحدت قواتها فى أسبانيا مع مسيحى الأسبـان ، وأعلن البابا الحرب المقدسة الصليبية ضد جيوش المسلمين ، وتمت المعـركة التى يعرفها المسلمون باسم « العـقاب » لكثرة ما فيها من عقبات كانت سببـا فى خذلانهم ،وانتصار جيوش النصارى المتحدة عليهم انتـصارًا باهرًا وتمزقـت جـيـوش المسلمين المتخـاذلة مع أهالى البـلاد ، الذين تم تعقبهم مع الاستيلاء على بلاد الأندلـس وحصونة واحد بعد واحد ، حتى لم يبق فى يد المسلمين غير « غـرناطة » التى كان يلجأ إليها جل أهالى البلاد التى يفـتحها الأسبـان ، وكانت غرناطة تدفع الجزية غـالبًا لملوك قشتـالة ، ثم دب الخلاف بين المسلمين فى هذه البلد أيضًا حتى انتهى بتـغلب الأسبان على غرناطة سنة ٨٩٢ هـ - ١٤٩٢ م وكان ذلك نهاية أمر المسلمين بالأندلس »[1] . ثم ماذا ؟ .

بذلك الانقسـام والتخاذل ، ثم الاسـترسال فى الملذات والاسـتسلام للشهوات والميل إلى الراحـة ، وضـعف الدين وضـعف القوى ، فـقـدت بلاد الأندلس ، وأخرج منهـا من أخرج وعذب فيـها وفى غيرها من عـذب من بقايا المسلمين ، إذ كـان الأسـبـان يضطهـــدونهم أفظع الاضطهـاد ، ويذيقـــونهم ألوان العـذاب ، وإخراجهـم من دينهم ، وحصارهم شهـورا عديدة حتى كان الناس يأكل بعـضهم بعضًا ، وكل هذا يحدث باسم السيد المسيح الذى جاء بالمحبة والسلام .

وتمادى الأسبانيون فى التعصب المذموم ، وزاد تعصبهم ما كان يصدره الباباوات من المنشورات ضـد المسلمين ، لا سيـما بعد استـيلاء الأتراك على اسـتنبول سنة ٨٥٧ هـ واشتد الأسبان فى مطاردة المسلمين على ما كان بهم من شدة فى تعصبهم

---

(١) محاكم التفتيش - د / على مظهر ص ٤ - ٦ بتصرف .

بـ ـ ـهم للثـورة عليهم ، ولكن غلبـتهم كثـرة الأسبـان ، فشتـتوا جمـوعهم ، وأعملوا فيهم القتل والنكال ويقدر البعض عدد من عذب من المسلمين بعد سقوط « غرناطة » بثـلاثة ملايين من النفوس » قـتل من قتل ، وحرق من حـرق ، ونجا بنفسـه من نجا بما مـعهم من صناعـة ومعرفـة كبرى بالزراعـة والتجـارة ،وخربت غرناطة والأندلس ، وأوحشت من أهلها الأمجاد .

واضطرمن بقى من المسلمين فى الأندلـس ممن لم يقدروا أن يهـاجروا إلى بلاد إسلاميـة أن يتنصر ، وأن يخدم ويستعبـد ، ومع ذلك أسئ الظن بهم ،وعوملوا أسوأ معاملة ، بطريقة يأنف منها العـبيد والأرقاء ، كما اضطروا رجال الفن منهم لنحت التماثيل فى الكنائس وبنائها وتجديد بعض الآثار الفنية الإسلامية مما لا يمكن لغيرهم عمله ، وبقيت فى البلاد بقية ممن تنصر من المسلمين ، ويسمونهم «المغاربة السود » - اندمجوا فى الأسبان والبرتغـال وتكلموا لغتهم .

وحظر عليـهم الاتصال بغيـرهم خشـية أن يرجعـوا عن نصرانيـتهم أو يتـأخر تنصيرهم كـما حظر عليهم التصـرف فى أملاكهم ، لما لوحظ عليهم أن كـثيراً من متنصرة العـرب ـ وهم الذين تظاهروا باعتناق النصرانيـة ، كانوا يبيعـون أملاكهم ويفرون إلى أفريقية ، فصدر هذا الأمر »[1] .

« ومع ذلك لم يعـزب عن بال القساوسـة وملوك أسبـانيا وما جـاورها - أنهم كانوا يعرفـون تمام المعرفة ـ بأن المسلم أو اليـهودى لا يرضى بدينه بديلا ، فكانت سياستهم ترمى إلى الإبادة ومحو الأثر ، ولذلك أصدروا من الأوامر ما أصدروا، وأقاموا المحاكم الفـظيعة وصادروا ونهبوا ، وهتكوا الأعـراض ، وأذلوا وخسفوا الأرض بمن عليهـا من غير معـتنقى المسيحـية ، بشتى الطرق وضـروب التفنن فى التعذيب والنكال والإرغـام على الدخول فى المسيحـية - بالآلاف المؤلفة ، لما رأوه

---

(١) محاكم التفتيش ص ٧ - ٩ بتصرف ، ومذابح وجرائم محاكم التفتيش ص ٥٥ ، ٥٦ بتصرف .

من ضروب العسف ، وألوان التعذيب ، وكذلك يقال : إن ألوفًا قد آثرت فقد كل شيء من حطام الدنيا على الردة كما آثروا الموت بدينهم على الحياة .

ومنهم من ترك الأوطان ، وتفرقوا فى ثغور أفريقية ، ولم يبق بقشتالة إلا المتنصرة فحسب ، الذين كانوا يؤخذون بأقل شبهة ، سواء كان متنصرة المسلمين، أو ممن تنصر من اليهود ، أو ممن كان على مذهب « مارتن لوثر » أو كان من المفكرين الأحرار ،أوغير ذلك ولم يكن لأحد من هؤلاء جزاء إلا الإعدام تعذيبًا وحرقًا . . وإن كان من أظهر شعيرة من شعائر الإسلام أو أبان حبه لهذا الدين أو ميوله لشيء من عباداته أو عاداته يجب أن يبلغ عنهم ليرفع أمره إلى المجلس الأعلى للتفتيش ، وإصدار الأحكام عليه . . [1] .

« وفى شهر مارس عام ١٥٢٤م ، الموافق ٦ جمادى الأول سنة ٩٣٠ هـ ، أصدر البابا مرسومًا يحث فيه رجال التفتيش وقضاته ومفتشيه بأن يعجلوا بإجبار المسلمين على اعتناق المسيحية الكاثوليكية ، ومن أبى من المسلمين فعليه أن يخرج من أسبانيا وأمهلوهم مدة ، فمن لم يعتنق المسيحية أثناءها كان جزاؤه أن يصبح رقيقًا عبدًا ما عاش، وأمر البابا فى ختام مرسومه بجعل كل المساجد هناك كنائس ، ومن ذلك الحين حولت كل المساجد إلى كنائس ،وحرم عليها أن يتلى فيا اسم الله، وأن تقام فيها صلاة إسلامية ، ومضت سلسلة من الاضطهادات لم تنقطع إلا ريثما تعود بصورة أشد ، وبطريقة أقسى وأعنف ، مع الإرغام على اعتناق المسيحية إرغامًا ، وإجبارا عامًا ، لا صفح فيه ولا عفو حتى عزت الاضطهادات إلى رجوع جل المتنصرين إلى الإسلام ، وأن القليل منهم هو الذى حافظ على الدين الجديد ، فصدر الصفح عن المتنصرين ، وأما من عاد إلى الردة عن المسيحية فجزاؤه أشد العقاب من الديوان الذى لم تهدأ ثائرته أبدا ضد أولئك

(١) مذابح وجرائم محاكم التفتيش ص / ٥٦ بتصرف .

المساكين كما أن الديوان ورجال الدولة كانوا يؤثرون المسيحين الأصليين على أولئك المتنصرين البائسين ، ولهذا كان أولئك المتنصرين يتسللون إلى أفريقية ، كلما لاحت لهم بارقة أمل فى الهروب من أسبانيا المتعصبة » [1] .

• وحتى إذا تهاون الملك مع هؤلاء بإستبقائهم ، أو قبول توبتهم ، وعدم مصادرتهم وعقوبتهم ، تجاهل رجال الديوان رأيه وقاوموه ، وعملوا ضده ، مادام ذلك فى صالح المتنصرين ، وكانت إدارة الديوان هى الغالبة ، وكانت فوق رأى الملك ، والويل والثبور لجماعة المتنصرين ، واشتد الديوان فى تتبع المتنصرين واضطهادهم ، فمن تكلم العربية أو اغتسل أو حجب النساء أو لبس الأزياء الإسلامية ، كان كأنه أقام الدليل على ردته وكفره ، والويل له من التعذيب ، وأخذ الصغار من الأولاد والبنات من آبائهم المتنصرين وعهد بهم إلى المدارس والكنائس ليشبوا فيها وهم لا يعلمون شيئًا عن العربية ولا الإسلام، واستبيح كل شيء مع المتنصرين ، حتى اضطروا إلى أن يجتمعوا اجتماعات سرية ، ويتواطئوا على الثورة دفاعًا عن النفس والعرض واللغة والدين ، حتى استفحل أمر الثورة ولم تستطع الحكومة اخمادها ، فعمدت إلى سياسة المكر والمخادعة ، فلجأت إلى المفاوضة ، وأذاع قائد الجند أمرا بالعفوالعام لمن يلجأ إليه ، وأن يمنح المتنصرين شروطًا حسنة للصلح ، إذا هم أذعنوا ولم يقاتلوا ، فأثر ذلك فى بعض الثوار الذين كلوا من القتال ، ورفض الصلح الآخرون ، وهرب كثير بأسرهم إلى أفريقية خشية الانتقام ، إذا ما كان الفشل ، ولم تزل جنود الحكومة تطارد الثوار حتى قبضت عليهم وأذاقتهم سوء العذاب وسالت دماؤهم أنهارًا ، وحرقت أجسادهم حتى صارت أكوامًا .

ثم رأت الحكومة أن فى وجود البقية من المتنصرين الخطر كل الخطر على

---

(١) مذابح وجرائم محاكم التفتيش ص / ٥٦ ـ ٦٣ بتصرف

البلاد، واخفاق كل المحاولات معهم ، وأن المبالغ الطائلة التى تصرف لمراقبتهم بدون فائدة وبما أن الدين هو دعامة الدولة الأسبانية ، فلذلك يقترح تأليف محكمة سرية من كبار الرهبان والقساوسة تحكم بردة المتنصرين وخيانتهم ، وبناء على ذلك تعلن وجوب نفيهم ومصادرة أموالهم ، إلا أن هذه المذكرة لم يعمل بها ، لأن مجلس الدولة رأى السير فى تحقيق مآربه سرا ، وأن لا تصطبغ اجراءاته فى ذلك بصبغة دينية ، ثم عاد مجلس الدولة للمسألة من جديد ، وكتب تقريراً يحبذ فيه نفى المتنصرين لأسباب دينية وسياسية أتى التقرير عليها ، ومنها أن أسبانيا معرضة لخطر غزوها من مراكش ، وقد أقيمت الأدلة والبراهين على خيانة المتنصرين فى هذا الصدد ، ولهذا فهم أهل للموت الزؤام أو الاسترقاق ، ولكن أسبانيا رحيمة رقيقة لهم !! وتقنع بنفيهم من أرضها !! .

وتعذر تنفيذ الخطة فى نفس العام ، وأرسلت الأوامر إلى حكام الولايات والبلاد وجمعت سفن كثيرة تعد بالعشرات لترحيل المتنصرين ، واضطراب المتنصرين وفزعوا من ذلك ولكن أعلن قرار النفى الأخير »[1] .

وقد جاء فى هذا القرار : أن المتنصرة هم أعداء الملة والدين والوطن ، وأن لهم اتصالا بأعداء أسبانيا ، وأن لا سبيل إلى جعلهم يعتنقون الدين المسيحى «الكاثوليكى » ولهذا وجب طردهم إلى بلاد البربر بأفريقية ، وأنه يجب أن يغادر المتنصرون أسبانيا نساء ورجالا وأطفالا فى ظرف ثلاثة أيام من يوم نشر القرار فى المدن والقرى وأن يذهبوا إلى الثغور التى يعينها لهم المكلفون بترحيلهم من قبل الحكومة ، وجزاء من تخلف الموت .

وقد صرح لهم أن يأخذ كل منهم ما يستطيع حملة من المتاع فوق ظهره فقط ،

---

(١) محاكم التفتيش ، الدكتور على مظهر ص ٤ - ٤٠ بتصرف .ومذابح وجرائم محاكم التفتيش ص / ٦٤ ، ٦٥ بتصرف

وأن يحمل كل ما يستطيع من المؤنة ، ولو أن الحكومة تكلفت بمدهم بالغذاء أثناء السفر ، ويجب عليهم أن يلبثوا خلال الأيام الثلاثة فى أماكنهم رهن إشارة الموظفين المكلفين من الحكومة بأمر ترحيلهم ، وأن يكون كل ما خلفوه من عقار أو منقول للسادة ، ومن أشعل النار فى عقار أو منقول فجزاؤه هو وجيرانه فى الحى جميعًا الإعدام .

وفيه أيضًا : أن يختار السادة ستة أشخاص من كل مائة من جماعة المتنصرين ، شديدى التعلق بالمسيحية ، كثيرى الخبرة بأعمال الزراعة وفهم الفنون ، وأكبرهم سنا للانتفاع بهم فى تلك الأمور ، ومن كان دون الرابعة من سنه ، سمح له بالبقاء إذا رضى بذلك !! أو إذا رضى آباؤهم أو أولياؤهم بذلك ، وكل متنصر أقام بين مسيحيين مدة عامين ولم يختلط المتنصرين وشهد له قسيس بأنه على نصرانية ، فله أن يبقي، وكل من أخفى هاربا أو حمى متنصرا فجزاؤه الأشغال الشاقة مدة ست سنين، وقد أرشد الجنود المسيحيون الأصليون بعدم التعرض للمتنصرين، وأن لا يهينوهم لا بالقول ولا بالفعل وجزاء من يفعل ذلك شديد العقاب !! [1] .

وبدئ بتنفيذ الأوامر ، وأعلن القرار فى كل الجهات التى كان يسكنها المتنصرون فى كل أسبانيا ، وإن كان ذلك تباعًا ، وظلت سفن النقل تروح وتجئ لنفيهم شهورًا عدة وهى مشحونة بهم وتلقى بهم فى مختلف ثغور أفريقية بكيفية تفتت الأكباد أسى وحسرة وتذيب النفوس ألمًا ولوعة ، ولا تسل عن القسوة والوحشة والشدة فى معاملة أولئك البائسين ، ولا تسل عن أعداد المنفيين ، حتى أحست أسبانيا وغيرها بفقد تلك الآلاف المؤلفة التى كانت الزهرة اليانعة فى البلاد ، فلما قطعت تلك الزهرة ، وذهبت بها ريح العسف والبغى واستولت الوحشية على

---

(١) محاكم التفتيش د / على مظهر / ٤٠ ، ٤١ ، مذابح وجرائم محاكم التفتيش ص ٦٥ - ٦٧ بتصرف

بلاد تمكنت منها طغمة خاسرة تعمل باسم الدين وتتوارى خلفه ، وتأتى بمأساة هى أشد ما سجلت صحف الإنسانية فظاعة وقسوة وبربرية ، تلك الأعمال التى لا يغمض العين عن اتيانها من به ذرة من العقل والشعور ، أو كان على شىء ولو قليل من المعرفة بالدين ، دين عيسى ابن مريم الذى جاء يبشر بالسلام !! » [1] .

« ولم تكف محاكم التفتيش عن إتيان مخازيها ، بل حفظت السجلات ، وسجل التاريخ عدة حوادث ومحاكمات على أفراد وجامعات اتهموا بالإرتداد عن الكثلكة بعد نفى تلك الجموع الغفيرة سنة ١٦١٠ - ١٠١٨ هـ - فحكمت عليهم محاكم التفتيش بالجلد والسجن والحرق ، وأذاقوهم صنوف العذاب ،ولم يغفل الديوان المقدس ، ولم يتوان لحظة عن أداء المهمة البربرية التى تطوع أفراده بالقيام بها ، والتى كانوا يرمون بها إلى أشياء أخرى دنيوية محضة لا دخل للدين فيها ، وإلى مآرب سافلة فى أغلب الأوقات .

واستمر الديوان فى جبروته وطغيانه وفسقه وفجوره حتى احتل الفرنسيون أسبانيا، وصدر أمر نابليون بإلغائه سنة ١٨٠٨ م . ولكنه عاد للحياة فى عهد «فرديناند » السابع ملك أسبانيا الذى أحياه سنة ١٨١٤ م وظل فى مظالمه حتى سنة ١٨٣٤ م لما وافق مجلس النواب الأسبانى على إلغائه نهائيا فى أسبانيا كلها ، ولكن بعد أن أتى ما أتى مما أشرنا إليه هنا ، ونشير إليه وهو شىء قليل مما كان يحدث » [2] .

« لقد وجدت سجون التفتيش فى فرنسا وأسبانيا والبرتغال وايطاليا وألمانيا ، وهذه صورة لبعض سجون التفتيش فى أسبانيا . . يذكر بعض عارفى أسبانيا أنه يوجد إلى يومنا هذا فى عدة مدن بأسبانيا أبنية قديمة غريبة فى هندستها وشكلها ،

---

(١) مذابح وجرائم محاكم التفتيش ص / ٦٧ - ٦٩ بتصرف

(٢) مذابح وجرائم محاكم التفتيش ص / ٧٠ - ٧٤ بتصرف .

تباين ما حولها كل المباينة ، كأنها مجموعة من قصور وأديرة وسجون معًا ، فجدرانها ضخمة ونوافذها قد اعترضها حديد ضخم غليظ قد تصدأ .

وإذا ولجت إحدى هذه الأبنية من الخلف رأيتها مؤلفة من عدة غرف صغيرة يوصل إليها بممر ضيق ويصل النور إليها من منور صغير فى سقف كل غرفة ، وقد أحكم سد المنور بثلاثة أدوار من غليظ الحديد عليها ، ويرى الزائر فى أرض الممر فتحات صغيرة كل فتحة تبعد عن الأخرى نحو متر ونصف متر ، وقد أحكم سدها بالحديد الغليظ ، وقد خصصت هذه الفتحات للمسجونين فى الغرف السفلى تحت الممر ، أى الغرف التى بالدور الأسفل ومن تحته طبقات أخرى عديدة تحت الأرض، وهى سجون سرية ، لا يهتدى إليها إلا رجال المحكمة والسجانون فحسب ،ومهما يكن النهار رائعا ، والشمس طالعة مشرقة ، فإن الزائر لا يبصر شيئًا فى تلك الممرات والغرف لشدة ظلمة المكان ، بل يجب أن يصطحب نورًا يضئ فكانت تطلى بالشحم ، ويظهر أن ذلك كان لمنع السجين من تسلق الجدران والهرب أو عمل أى أثر فى الحائط للنجاة ، ثم يرى بعض آلات التعذيب فى كل مكان ، مثل أسواط بها قطع من الحديد الشائك لجلد المسجونين واهراء لحومهم من عظامهم ذى كلاليب لانتزاع اللحم من العظم ، وقدورًا من الحديد لعلها كانت لصهر الرصاص فيها ، وصبه على المعذبين ، أو لغلى الماء أو الزيت لمثل ذلك الغرض ، ويوجد إلى جانب ذلك مستودع للفحم لا يزال كثير منه إلى الآن بقربها ومع أن تلك السجون كانت رطبة ، فقد كان الماء يصب فيها على الدوام لكى لا تتشرب الأرض الدماء السائلة من أبدان المعذبين ، وتبقى مشبعة بها .

ذلك مثال من أبنية التعذيب التى كانت تدعى بدور « الديوان المقدس» يستولى الرعب والخوف على من يزورها وهو لا يصدق أنه سيجوزها ويتخلص من منظرها المخيف المرعب» [1] .

---

(١) انظر مزيد من أمثلة السجون فى فرنسا والبرتغال فى كتاب محاكم التفتيش ص / ٤٩ - ٥٧ وألوان من التعذيب ص ٥٨ - ٦٥ وكتاب مذابح وجرائم محاكم التفتيش ص / ٧٧ ، ٧٨

إنك لو قلبت صفحات التاريخ فلعلك لست بواقع على صحف أسود من صحف ديوان التفتيش ، ولست تعثر بمن هو أشد قسوة وأغلظ قلبًا وأبعد عن الرحمة الإنسانية من رجال هذا الديوان ، ولن تجد من هم أقرب وأغلظ قلبًا وأبعد عن الرحمة والانسانية من رجال هذا الديوان ، ولن تجد من هم أقرب إلى الوحشية والبربرية وارتكاب الموبقات والمعاصى من تلك العصابات الآثمة الخاطئة، وتلك العصابات التى استغلت اسم الدين المسيحى لترتكب من الجرائم وتأتى من المنكرات البشعة ما يذيب قدرة القلوب الرحيمة ، ويفتت الاكباد ، تلك الجماعات الإجرامية التى استترت خلف اسم الدين ، لترتكب أبشع الفظائع من قتل وتعذيب وهتك أعراض وجمع للسحت من الأموال واغتصابها بكل طريقة يعرفها المتلصصة من الناس ، وبطرق تفننوا هم فى تنفيذها ، حتى بزوا كبار اللصوص ورؤساء عصابات السفاكين والقتلة المجرمين، وكانوا هم المبرزين فى كل ما يحمر له وجه الإنسانية خجلا من ارتكاب كل ألوان البغى والفسوق والاثم والعدوان ، تلك الجرائم التى لا يقرها عليهم من كان على شيء ولو يسير من الإنسانية الحساسة .

لقد كانت تلك العصابات ـ التى دعت نفسها برجال التفتيش ـ أدنى من البهائم العجم ، فهما لشيء يعرف بالإنسانية والشفقة ، وأنت ترى تلك العصابات تبيح لأفرادها التفنن فى أعمال القسوة وابتزاز الأموال والاستيلاء عليها ، والفتك بالأعراض بدرجة لا تباريها فيها أكبر عصابات القتلة المجرمين منذ عرف تاريخ الاجرام حتى اليوم .

وإن تعجب فاعجب من تلك الجماعات الخاسئة وقد أرادت أن تحجر على العقول فلا تفكر إلا بمثل ما يفكر به أعضاؤها ، وأرادت أن تحتكر أعمال العقل فيما يعرض للإنسان فى حياته ، فمن رأى رأيًا مخالفا لرأى الكنيسة ـ فى زعمهم ـ أو لرأى تلك العصابات التفتيشية فى الواقع ، عوقب أشد العقاب ، ومثل به

تمثيـلا فظيعـا تأباه الإنسـانيـة ، ولا يفكر فى إتيـانه من عنده شيء من الـرحمـة والشفـقة، ولكن أين تلك الرحـمة والشـفقة من أولئك غـلاظ القلوب ، الذين أرادوا أن يخـضعـوا كل شيء لإرادتهم ، وكل إنسـان لمشيـئـهم ، وكل العقـول والافهام لآرائهم ومعتقداتهم، بل أين تلك الرحمـة والانسانية والشفقة وقد كانوا يعاقـبون بالظن ويأخذون بالشبـهة ويحرقون الأطفـال ويرهقون الشيوخ والـعجزة والنساء الضعيفات بصنوف العذاب وألوان الاضـطهاد وشتى الوسائل الجهنمية من الإجرام، لقد ادعـوا المسيحيـة ـ ولا نعتقد أن دينا سـماويا يرضى بشيء مما أتوه ـ وانتسبوا لـدين عيسى ابن مريم، وحاشا أن يكون عـيسى قد أوصى بتلك الفظائع والجرائم وإنما كان يدعو بالمحبة والسلام .

ونحن نجزم ونـصرح بأنهم لم يكونوا إلا عـصابات إجرامـية أرادت أن تسـتغل روح الجهل والعمـاية التى كانت ضاربة أطنابها فى العصـور التى قامت بها ويكفى أن نعلم أن تلك العصـابات قد ظهرت أثنـاء القرون الوسطى التى عرفت بعـصور التعصب الدينى المذموم تلك القرون التى حدثت فيـها الحروب الصليبية الممقوتة إذ كانت تسـاق فيها الجـيوش والجماعـات المتحمسـة لدين القساوسـة والرهبان الذين جعلوا أنفسهم للناس أربابًا من دون الله ، والمتعصبة لعقائدها النصرانية لغزو البلاد الإسلامية ولاستخلاص بعض أجزاءها[1] .

***

(١) محاكم التفتيش ص / ٦٦ ـ ٦٨

كيف نشأت عصابات التفتيش

(١٠٠٠ – ١٣٠٠) [١]

ذكر المؤرخـون بدء أعمال تلك العصـابات التى أخذت على عاتقـها أن ترد عن النصرانية أخطار الإلحاد والكفر والزندقة ،وأن تصـد عن النصارى مصائب خافوا أن تحيق بهم فـقالوا إنه قد قـامت فى مدنية « ألبى » إحـدى مدن فرنسـا الجنوبية جمـعية سرية للعـمل فى نظر ـ رجال الكنيسـة ـ على هدم الدين وبث الإلحاد فى عقول الـناس ونسبت تلك الجمعـية إلى المدينة التى ظهرت فيـها فسمى أعـضاؤها بالألبيين .

ولقد كان الحـافز لهذه الجمعيـة على القيام بعملها مـا كان قد غلب من سلطان القساوسة واستخدامهم هذا السلطان الروحى فى إفساد المجتمع وقتل روح النشاط فيه .

ولما رأى أحبـار الكنيسـة ما قـد حدث رؤى أنه من الحـزم أن تنشأ قوة مـنظمة لمقاومـة الإلحاد والزندقة ،وعهـد البابا إلى الآباء الدومنيكيين بتلك المهـمة لمطاردة الكفرة والزنادقة فى نظرهم ، وأن يعملوا على عقـابهم مستمدين العون من ذوى النفوذ المدنيين ومن العظماء فى ذلك العصر ، وكان ما كان مما تراه بعد .

وقد أنشئت تلك المحاكم التفتيشـية فى فرنسا وإيطاليا وألمانيا وفى مملكة أراجون وبلاد البرتغال ،وذلك فى أوائل القـرن السابع الهجرى ،الثالث عـشر الميلادى ، وكانت حروب جنوب فرنسا قد قضى فيها على تلك الجمعية الهدامة للدين لتعاليم الكنيسة ،وقـد جد الديوان حتى قضى علي جـمعية «الألبيين » واشـتدت المحاكم على المتهمين بالـزيغ عن عقيدتهم الكاثوليكيـة ، وبعد أن قضت محاكم التـفتيش

(١) انظر بتوسع / قصة الحضارة ،ول ديورانت ج ١٦ص ٨٨ – ٩٤

وطرها من تلك الجمعية الملحدة فى نظر رجالها ،وجهت اهتمامها إلى القضاء على اليهود والمسلمين على حد سواء[1]

ويقال إن الكنيسة قاومت جماعة الألبين زهاء قرنين ، إلا أنه مهما قيل فى مطاردة الألبيين ،فليس ذلك بالشيء المذكور بالنسبة إلى مطاردة المسلمين واليهود وقد استغرقت زمنا أطول ، وكانت صنوف العذاب تتجدد ، كان الذكاء البربرى المتوحش موجها إلى التفنن فى اختراع وسائل جديدة من سبل التعذيب والمطاردة وكانت عصابات التفتيش قد كلبت لمقاومة الخصوم واشتدت عليهم لما عرف عنهم من غنى وثروة ، وما طمعت فيه تلك العصابات المنسوبة للمسيحية ظلما مما كان للمسلمين واليهود من أرض وضياع ونقود وجواهر ،كما طمعوا فى أعراض نسائهم وبناتهم ، وتسابقوا إلى القبض على كل من يقع فى أيديهم فريسة،وتفننوا فى عقابهم ، وأخصبت أدمغتهم ، واستعملوا ما بها من ذكاء لضرر الناس الآمنين الوادعين ،وتحولوا إلى اليهود فى الأراجون ،واتحدت مملكة الأراجون مع قشتالة سنة ٨٨٣ هـ ١٤٧٩ م وكان « فرديناند »[2] الكاثوليكى المتعصب ملكا على الأولى ، وايزابيلا [3] الكاثوليكية الملكة علي الثانية ،وقد وقعت الملكة تحت تأثير « توماس دى ترکويمادا » أحد الرهبان الدومينيكيين ،وكان قسيسا لها قبل أن تكون ملكة ،وحملها يوما على أن تعده بتكريس حياتها لاستئصال الكفرة ، إذا هى وليت الملك ، وقد عرف عن ذلك الراهب تعصبه وبغضه الشديد لكل من خالف الكثلكة ، وكان يرى كل وسيلة واجبة لاستئصالهم ، وانقادت الملكة إلى إرشاداته وأقنعت زوجها واستصدر أمرا من البابا لإنشاء ديوان مقدس فى قشتالة ،فلم يتأخر عن إصدار أمره فى شهر رمضان سنة ٨٨٣هـ ، نوفمبر ١٤٧٨ م ثم أنشيء

---

(١) محاكم التفتيش ص / ٦٩ ، ٧٠ ، بتصرف ومذابح وجرائم محاكم التفتيش ص / ٧٥ ، ٧٦ بتصرف .

(٢) فرديناند الثانى (١٤٥٢ - ١٥١٦) الملقب بالكاثوليكى ،ملك أرغوانه تزوج إيزابيلا ملكة قشتالة فتوحدت بهذا الزواج أسبانيا ،وأدى ذلك إلى سقوط غرناطة عن المسلمين ١٤٩٢ م ،

(٣) إيزابيلا (١٤٥١ - ١٤٠٥) الملقبة بالكاثوليكية ،ملكة قشتالة ،فى أيام ملكها اكتشف كولمبس امريكا

ديوان فى أشبيلية فى شهر رجب سنة ٨٨٥ هـ سبتمبر ١٤٨٠ م .

وكان الديوان يرتاب فى سلوك متنصرة اليهود ، الذين اضطروا إلى اعتناق الكثلكة فرارا من القتل والتعذيب والأذى ،وكانت الكنيسة تستند على شيء من مظاهر الحياة العادية لاتخاذه أدلة على الزيغ والمروق ، كمن يلبس نظيفا يوم السبت ، أو يأكل مع اليهود أو غسل ميتا أو تسمى بأسماء عبرية أو غير ذلك مما يأتيه اليهود عادة [1] على أن الاضطهاد لم يكن قاصرا على جماعة الملحدين واليهود فحسب ،بل عم على المسلمين بجزيرة « أيبريا » ولم تفد المعاهدات ،ولم تغن الاتفاقيات المعقودة بين المسلمين الأندلسيين وبين ملوك وأمراء الأسبان بعد أن سقطت غرناطة فى يدهم فى شهر يناير سنة ١٤٩٢ م يوافق ربيع الأول سنة ٨٩٨هـ ، وبعد أن تعهد المسيحيون والمسلمون على أن تحفظ للمسلمين حريتهم الدينية، وأن يحافظوا على تقاليدهم وأن يأمنوا على أرواحهم وأموالهم .

ولم تكن تلك المعاهدات إلا قصاصات من ورق ، أو خرقا بالية ،لأن الأفكار الصليبية المتعصبة ما برحت هى المتغلبة على عواطف الكنيسة « الكاثوليكية » التى أثارت تلك الحروب الشعواء ، ولقد خيل للمسلمين أنهم إذا دخلوا دين المسيح واعتنقوا الكثلكة ، فسوف ينجون من العذاب ، وسوف يتقون الأذى ،وقد قيل إن خمسين ألفا من المسلمين قد تنصروا لأول مرة (سنة ١٤٩٩ م يوافق سنة ٩٠٤ - ٩٠٥ هـ) لما أساء القساوسة إليهم ،فحدثت فتنة كبيرة بغرناطة ،وقبض فيها على كثير من أولئك البائسين ،فلم يفدهم التنصير شيئا ،فقد كانوا موضع الشكوك دائما ، وكانت أسبانيا تخشى من مسلمى غرناطة الكثير عددهم لقربهم من أفريقية ، ولوجودهم فى وسط نصارى الأسبان .

وحتى الذين لم يخش منهم بأسا ، اشتد المسيحيون فى معاملتهم ، وإكراههم

---

(١) محاكم التفتيش ص / ٦٩ - ٧٢ بتصرف .

على الخروج عن دينهم ، واضطهادهم ومطاردتهم ، بل محاربتهم بكل وسائل العنف والعسف ،وارتكاب محاكم التفتيش ما ارتكبته معهم ، وأصبح الاعتقاد الجازم بأن سلام أسبانيا لا يكون إلا فى إخراج المسلمين منها ، أو إجبارهم على الكثلكة [١]

من آلات التعذيب بمحاكم التفتيش

قاعات التعذيب مظلمة ،رطبة ،جدرانها سوداء بها مسامير ناتئة قد صدأت وفى أرضها سلاسل ضخمة مشدودة إلى حلقات فى الأرض ،وبها مجالد من الجلد المعقود على رصاص ودواليب وسحابات ذات مسامير صادئة حادة لتمزيق الأجساد ،وعضاضات حديدية لعض اللحم ، ثم أكاليل حديدية ، ثم هناك كلاليب ذات رؤوس حادة لسحب أثداء النساء من الصدور ، وآلات لسل اللسان من أصله ، وأخرى لتكسير الأسنان ،وأحذية حديدية تحمى لدرجة الاحمرار يلبسونها لمن ساء حظه ووقع فى يد أولئك الوحوش ، ثم أحذية أخرى حديدية ذات مسامير من الداخل يضعونها فى رجل السجين ، ثم يأخذ الموكل بالتعذيب فى تضييقها شيئا فشيئا ، وسفافيد حديدية متباينة الأشكال لتحمى فى النار وتستعمل لكى المعذب ،ثم مشنقة معلقة فى السقف لكى تشنق المعذب نصف شنق ، فلا هو حى فيرجى ، ولا هو بالميت فيوارى ، ثم سلاسل ضخمة وأقفال حديدية معلقة أيضا فى نواحى مختلفة فى السقف ليربط فيها السجين وبينها فتتجاذبه وتمزق أعضاءه تمزيقا فى جهات عديدة [٢] وتابوت عبارة عن خزانة حديدية يقف فيها المعذب وفى بابها ست من الحراب القصيرة المثبتة ، فإذا ما أغلق ذلك الباب بقوة دخلت حربتان فى عينى المعذب ،فتنفذان من مؤخرة الجمجمة ،وتدخل حربة فى قلبة ،وأخرى فى معدته ، وأخريان فى بطنه ، ثم كانت توجد آلات كثيرة لطى

(١) محاكم التفتيش من ٧٥ - ٧٨ بتصرف ، قصة الحضارة ج ١٦ ص ٩٥ - ١٠١ بتصرف .
(٢) قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام ، أبيدوا أهله ص / ١٥ - ١٩ بتصرف.

الأسنان وكسر عظام ظهره ،ثم أخرى لانزال نقط الماء البارد علي رأسه بعد حلق شعرة نقطة نقطة حتى يجن المسكين بعد ساعات أو زمن قليل ، ثم أسفنج تغمس فى الماء المغلى لسلق المعذب ، ومطارق ثقيلة لسحق الرؤوس ،ثم صليب سمى بصليب « أندراوس » لصلب ضحايا التفتيش ،ثم مائدة كبيرة وضعت فى جانب البهو عليها ملاءات بيض وبجانبها برميل للماء ،فإذا ما أغمى على معذب من شدة الألم يضعونها عليها ويلفونه بملاءة تبل بالماء البارد لانعاشه حتى إذا ما أفاق أعادوا تعذيبه ،وكان يوجد فى وسط القاعة « الجحش الخشبى » فكان يربط السجين إليه لإزهاق روحه بواسطة التضييق على رئتيه ، فكانوا يطوقون صدره بآله حديدية ، ثم يأخذون فى تضييقها بواسطة لوالب حتى تنقطع أنفاس المعذب المسكين [1].

وكذلك يسكب الماء فى فمه حتى تنتفخ بطن السجين وتجحظ عيناه ويموت اختناقا بالماء .

يضيفون إلى ذلك نخس المعذب بالدبابيس فى أعصابه وشراينه ساعة صب الماء[2] وأيضا بحرق القدمين بجعل موقد تحتها ، وقد أوثقوه إلى كرسى طويل ، وكذلك تفتيت الأعصاب وتكسيرها وذلك بتعليقه إلى بكرة فى السقف ، ثم يجذب الحبل فيرتفع الجسم ثم يترك فيهبط بسرعة بمقدار قامة الشخص ، وهكذا تكرر العملية المذكورة عدة مرات ، وكانوا أحيانا يجعلون القدمين لا تصلان إلى الأرض ،ويكون طول الحبل من السقف حتى منتهى سقوط المسكين ستة أمتار أو أكثر ،وكذلك بتعليقه مع تحميله بمزيد من الأثقال توضع علي أطرافه ، كل ثقل منها مائة كيلو جرام ،فتجذب تلك الأثقال أطرافه ويبقى المسكين كأنما هو نائم وهو معلق فى الفضاء وتتمزق أطرافه على هذه الكيفية إن لم يعترف لهم بكل شيء وهم يسألونه أثناء إجراء العملية ،وكلما أصر على السكوت وعدم الإجابة ،زادوا

---
١) محاكم التفتيش / علي مظهر ص / ١٢٠ - ١٢٥ تصرف .
٢) نهاية الأندلس ص / ٢٣٥ بتصرف

فى وضع أثقال جديدة ، ويبقى كذلك حتى يموت [١]

وكذلك التعذيب بواسطة الدفن على قيد الحياة ، وآلات لتكسير العظام وسحق الجسم ، وكان يبدأ بسحق عظام الأرجل ، ثم عظام الصدر والرأس واليدين ، كل ذلك على سبيل التدريج ، حتى تأتى الآلة على كل الجسد فيخرج من الجانب الآخر لها كتلة واحدة ، وكذلك آلة أخرى للتعذيب تسمى بالسيدة الجميلة ، وهى عبارة عن تابوت تنام فيه صورة امرأة جميلة الصورة ، مصنوعة وهى على هيئة الاستعداد لعناق من ينام معها ، وقد برزت من جوانبها عدة سكاكين حادة وكانوا يطرحون المعذب الشاب فوق هذه الصورة وتقطعه إربا إربا ،وعذاب اختص به النساء العنيدات اللواتى كن يشتمن رجال المحكمة عند المحاكمة ،وذلك بتعرية المرأة ،وكانوا يأخذونها إلى مقبرة مهجورة يجلسونها على قبر من القبور ويضعون رأسها بين ركبتيها ويشدون وثاقها وهى على هذه الحالة السيئة ولا يمكنها الحراك ، وكانوا يربطونها إلى القبر بسلاسل حديدية ويرخون شعرها فيجعلوها تظهر لمن يراها عن كثب كأنما هى جنية سيما إذا ما أرخى الليل سدوله وتترك المسكينة على هذا الحال إلى أن تجن أو تموت جوعا أو رعبا [٢]

أما الجثث التى مات أصحابها تحت وطأة التعذيب ،فإنها تترك فى زوايا السجن يقع عليها الذباب ،ويتصاعد منها كريه الروائح ليزيد كل ذلك من خوف المساكين الذين وقفوا أمام محاكم التفتيش ،وقد أحاط بهم رهبان فى ثياب سوداء وأغطية سوداء تغطى وجوههم ورؤوسهم لا تظهر منها إلا عيونهم وقد وقفوا وفى أيديهم كتب صلاة يرددون منها أنغاما محزنة ومخيفة وبأصوات كلها الخشونة ، وكان بعض هؤلاء الرهبان يجلس إلى جوار رئيس المحكمة يدونه

(١) نهاية الأندلس ص / ٣٣٥ ، ٣٣٦ بتصرف
(٢) محاكم التفتيش ص / ١٢٥ - ١٢٩ ومذابح وجرائم محاكم التفتيش ص / ١١٣ - ١١٩ بتصرف ، والتعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، للشيخ / محمد الغزالى ص / ٣١٢ - ٣١٨ - بتصرف .

بالنصائح، والإرشادات فى مسائل التعذيب والحكم على المضطهدين ،وكان من بين هؤلاء القوم راهب يحمل بيده صليبا رسمت عليه صورة المسيح مصلوبا ، يأمر هذا الراهب المعذبين بإدامة النظر إليه !! وكان يحضر التعذيب طبيب ،عمله أن يفحص كل معذب حتى إذا أغمى عليه أمر بإيقاف التعذيب وإنعاش المسكين بشراب ما ليتحمل العذاب ،فيعاد تعذيبه من جديد .

وكان يحظر على المعذب إبداء أى حركة أو صراخ أو أنين ،وكان يكلف بأن لا يرفع صوته وقد اخترعوا لذلك آلة حديدية ،كانوا يضعونها فى فم المعذب المسكين عوضا عن المناديل التى توضع لمنع الصياح ، وقد جعلوا فى تلك الآلة مربعا على هيئة الصليب ليتنفس منه المعذب ولا يمكنه الصراخ منه ، ومن المستحيل عليه أن لا يصرخ ولا يتألم وكيف يمكن ويتسنى أن يعذب مسكين مثل ذلك العذاب ، ولا يبدى حراكا أو يصيح من الألم الذى يمزق جلده . ؟!!

وناهيك عن موكب الحريق الذى يقام فى ميدان عام لتنفيذ حكم الإعدام حرقا على هؤلاء المعذبين بعد ذلك . الخ [1] فقد أمر فيليب « رئيس أساقفة ريمس » عددا كبيرا من النبلاء ورجال الدين والفرسان والفلاحين والنساء المتزوجات والأرامل إلى حيث أحرقوا وهم أحياء بعد مصادرة أملاكهم [2] يقول ول ديورانت: « إن أقل ما يحكم على محاكم التحقيق أنها فى مستوى حروب هذه الأيام واضطهاداتها ونحكم عليها جميعا بأنها أشنع الوصمات فى سجل البشرية كله ، وبأنها تكشف عن وحشية لا نعرف لها نظيرا عند أى وحش من الوحوش[3].

* وفى محاكم التفتيش أهلك « توراكماد الدومنيكى » الأسبانى ،ستة آلاف

---

(١) انظر بتوسع ،صورا وأمثله من ألوان التعذيب فى كتاب محاكم التفتيش ص ٧٩ - ١٣٢ .
(٢) قصة الحضارة ، ول ديورانت ج ١٦ ص ، ٩٢ - ٩٨ بتصرف .
(٣) نفس المصدر ج ١٦ ص / ١٠٤ بتصرف .

بالنار وأهلكت الامبراطورة «ثيودورا» وحدها نحو مائة ألف من المانويين ، وأهلك الكاثوليك من البروتستانت فى مذبحة «سانت بارتلمى» مائة ألف يوميا أيضا أما ديوان التحقيق فى أسبانيا فقتل وحدة نحو مائة ألف كما يقول «ربناخ» فى كتابه «تاريخ الأديان فى حرب الكاثوليك مع البروتستانت ، المعرضين عن طلب الإصلاح منهم من أحرقوا أحياء ومن أعدموا شنقا .

وحكمت محاكم التفتيش فى ثمانية عشر عاما على عشرة آلاف ومائتين شخصا بالحرق وهم أحياء ، كما حكم على ستة الآف وثمانمائة وستين بالشنق بعد التشهير، فشهروا وشنقوا ، وعلى سبعة وتسعين ألفا وثلاثة وعشرين شخصا بعقوبات مختلفة ،فنفذت ، ثم أحرقت كل توراة بالعبرية [1] كما صدرت أحكام بإحراق التلمود وبعض كتب أرسطو وغيرها من كتب الفلسفة فى العهد القديم»[2].ا هـ

***

(١) معالم التاريخ الإسلامى المعاصر ، أنور الجندى ص . ٩٤ ط دار الاعتصام
(٢) نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ص / ٣٢٩ .

* المبحث الثالث
مقارنة بين الأقليات المسلمة في البلاد المسيحية والأقليات المسيحية في البلاد المسلمة

الأقليات المسلمة فى البلاد المسيحية

إن الأقليات المسلمة فى عالمنا المعاصر ، حقيقة واقعة ، لا سبيل إلى تجاهلها ، فضلا عن الجهل بها ، وفى حالة تجاهلها نكون مثل النعام الذى يواجه الحقائق بدفن رؤوسه فى الرمال ، وفى حالة الجهل بها تكون المصيبة أعظم ،فلا نكون - كمسلمين - غير جديرين بالحياة ، وإن عدم إحساسنا بهذا الواقع المرير لا يعنى عدم وجوده ،لأن عدم رؤية الأشياء عن طريق حاسة البصر لا تعنى عدم وجود هذه الأشياء ، ولأن عدم سماع الأصم للصيحة لا يعنى أن الصيحة لم تحدث .

ومن منطلق الإحساس الذى ينبغى أن يشمل الأمة المسلمة أنظمة وشعوبا نكون فى حاجة إلى معرفة دقيقة عن حجم المحنة التى تعيشها الأقليات المسلمة ، جذورها وفروعها ، وثمارها ،والأيدى الخفية التى تخطط لها ، والتى تمارس التنفيذ بطريق مباشر أو غير مباشر ، ثم الإحاطة التامة بالأقليات المسلمة كما وكيفا، وأعنى بالكيف هنا ظروف الأقليات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والنفسية وروحها المعنوية .

وكم نحس بالأسى المرير ، إذ ليس لدينا حتى الآن إحصائية دقيقة عن عدد الأقليات المسلمة فى عالمنا المعاصر، تيسر لنا الوقوف على حجم المحنة ، برغم كثرة المؤسسات الإسلامية التى تبدى لنا اهتمامها بالمشكلة ، على العكس تماما بالنسبة للأقليات غير المسلمة فى ديار الإسلام، فإن لها مؤسساتها الجادة التى تعنى بها، لأنها

لأنها تعمل وتتحرك وتخطط من منطلق العقيدة لا العاطفة أوالإعلان والدعاية .

والمأساة هو أننا نجيد كثرة الكلام ،ولا نجيد أدنى قدر من الأفعال ،لأنه ليس لدينا خطة عمل ، أما غيرنا فيجيد كثرة الأفعال فى صمت ،عازفا عن الثرثرة والإعلان، لأن لدية خطة عمل ومشروعا يسعى بجدية فى تنفيذه.

إذا نحن اعتبرنا الإحساس بمحنة الأقليات المسلمة إحساسا شاملا يستوعب الأمة المسلمة ،أنظمة وشعوبا ،هو بداية الطريق ، فإن مثل هذا الإحساس يجب أن يكون مبعثه تجسيد الواقع المرير الذى يشكل محنة الأقليات المسلمة والذى يكشف عن عدم المبالاة بالقضية ، ولكى نقف على حقيقة محنة الأقليات المسلمة فى عالمنا المعاصر ، يجب ألا يغيب عن أذهاننا الدور الذى لعبه الاستعمار الصليبى فى ديارنا وأرسى قواعد المحنة لتظل باقية إلى أن يشاء الله ، أو الدور الذى يلعبه النفوذ الصليبى فى الوقت الحاضر ، أما الدور الذى لعبه ولا يزال يلعبه فهو دور التبشير ،الذى مهد للاستعمار ، وليس مثيرا للدهشة أن يمارس التبشير نشاطه فى الدول التى تستوعب أقليات مسلمة، ولكن المثير للدهشة أن يمارس التبشير نشاطه فى الدول ذات الأكثرية بل الغالبية المسلمة ، وفى كثير من التحدى مثل ما يحدث فى أندونيسيا وفى بنجلاديش فى آسيا ، وما حدث فى العديد من دول أفريقية ، والحق أنه لا حاجة بنا إلى شيء من الدهشة ، لأن التبشير فى الدول ذات الأقليات المسلمة ليس فى حاجة إلي حماية ، أما فى الدول ذات الأكثرية المسلمة فإنه يعمل فى ظل النفوذ الصليبى الغربى بزعامة أمريكا ومخططات الفاتيكان وهيئة الكنائس العالمية وهيئات التبشير الدولية ، وينبغى أن ندرك أن الأقليات المسلمة فى عالمنا المعاصر ، تواجه تحديات ليست سياسية فحسب ، بل كذلك تحديات فكرية وحضارية ، دون أن تتمتع الأقليات المسلمة بمقاومة تذكر لهذه التحديات .[1]
ولنضرب أمثلة لمحنة الأقليات المسلمة « على سبيل المثال لا الحصر » :-

(١) محنة الأقليات المسلمة فى العالم - للأستاذ / محمد عبد الله السمان ص / ٥ - ١٢ بتصرف ، تصدرها الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف

● أولا : المحنة الأفريقية

«القارة المسلمة» : لأن أكثر من ٥٠٪ من سكانها مسلمون ،وفى أفريقية أكثر من ستين دولة ، وتمثل الدول ذات الأكثرية المسلمة أكثر من ٣٠٪ وفيها تبلغ نسبة المسلمين زهاء ٨٠٪ وتبلغ نسبة المسلمين فى الدول غير الإسلامية أكثر من ٣٠٪ ، والإحصاء هنا غير دقيق ،وليس فى صالح تعداد المسلمين لأننا لانزال نرجع إلى المصادر الغربية ، وهى تعتمد على الهيئات التبشيرية فى المقام الأول .

إن الدول ذات الأغلبية المسلمة هى : (مصر - السودان - ليبيا - المغرب - تونس - الجزائر - موريتانيا - تشاد - السنغال - مالى - النيجر - الصومال - نيجيريا - جيبوتى - غينيا - كوناكرى - بيساو -أثيوبيا - أريتريا - تنزانيا - ليبريا - سيراليون - ساحل العاج - جزر القمر - ثم جامبيا) ومن الدول التى تزيد نسبة المسلمين فيها على ٣٠٪ داهومى بنين ، كينيا - أوغندا - ملاوى - ثم جمهورية أفريقية الوسطى .

وفى الدول ذات الأكثرية المسلمة أكثر من ١٧٠ مليون تمثل ٧٠ ٪ من عدد السكان بينما فى الدول ذات الأقلية المسلمة يبلغ عدد المسلمين زهاء ٧٥ مليونا ، تمثل أكبر من ٣٠٪ من عدد السكان.

ونتيجة لذلك ، فإن مجموع نسبة المسلمين فى أفريقية زهاء ٥٢٪ من عدد سكانها ولا غرابة فى أن تعتبر أفريقيا قارة إسلامية [1] ومن الدول الأفريقية :

شرق أفريقية

وتكثر نسبة المسلمين فى المناطق الساحلية ، وتضعف فى المناطق الداخلية لأن الإسلام قد تأخر وصوله إليها حتى منتصف القرن الماضى ، عندما قامت دولة عمان الساحلية فى زنجبار ،ثم امتد نفوذها إلى الداخل ، وأهم هذه المناطق «كينيا»

(١) محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص ٢١ - ٢٣ بتصرف .

يقـدر عدد السكان بأحـد عشـر مليونا ، وتقـدر نسبـة المسلمين بينهم بـ ٣٠ ٪ أى ٣،٣٠٠،٠٠٠ مسلم ، وترتفع هذه النسبة فى « قـسمات العالم الإسلامى » إلى ٥٧٪ ، ويزداد المسلمـون على طوال شـاطىء المحـيط الهندى وينتـشـر النصـارى الكاثوليك فى وسط البلاد ، وكـذا البروتستانت ، ثم الكنيسـة الأنكليكانية ، ولا زالت الوثنية عقـيدة بعض القبائل فى الداخل ووسط الأحـراش وفى بعض القرى والبلدان ، واللغـة هى السواحلية ،كـما أن هناك لغات محلية قبـلية ،وإمكانات التعليم والصحة ضعيفة لدى المسلمين ، بينمـا الإرساليات التبشيرية النصرانية تملك الإمكانات الضخمة ولها مشافيها ومدارسها وليس للمسلمين ما يماثلها [١]

هذا وكينيا قد استعمرتـها بريطانيا سنة ١٨٨٨ م واستقلت بعد ثلاثة أرباع القرن أى فى عام ١٩٦٣ م ، وتعتبر مساحتـها أوسع من مساحة فرنسا ،وتقع أوغندا فى الغـرب وتنزانيا فى الجنـوب والحبـشة من الشـمال ، ثـم الصومـال من الشمـال الشرقي، ويمثل احتلال بريطانيـا لكينيا حقيقة مخططات الاستـعمار الصليبى الذى يعتـمد على الحيـلة ،ثم تمزيق الدولة إلى دولتين أو دويلات ، وتشجـيع التبشـير المسيـحى ليقف فى وجه المد الإسلامـى ، والإمساك بذمام الأمـور فى ظل النفوذ الأجنبى ، ممثلا فى الغرب الصليبى ،والنفوذ الداخلى ممثلا فى الهـيئات التبشيرية التى تستمـد وجودها من الفاتيكان ومجلس الكنائس العـالمى ولا يمكن أن نتجاهل دور الصـهيـونية الحديثة التى تسـهم بأوفر قـسط فى العـمل على تقليص الظل الإسلامى فى أى مكان من أفريقيا .

إن الأقلية المسلمة فى كينيا - شأنها شـأن سائر الأقليات المسلمة لا فى أفريقيا ، بل فى العالم بأسره - واجهت ولا تزال تواجه تحديات لا أول لها ولا آخر .

ففى عام ١٩٠٠ عقـدت هيئات التبشير فى كينيـا مؤتمرا كنائسيا ،واتخذ المؤتمر

---

(١) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية / محمود شاكر ص / ١٤٧ ، ١٤٨ بتصرف طبعة المكتب الإسلامى ١٩٨٢ .

عدة قرارات تفرض على السلطات البريطانية المستعمرة سرعة المبادرة بالعمل على وقف المد الإسلامى فى كينيا ، وكانت الاستجابة أمرا طبيعيا حتى فى المجال الاقتصادي، حيث صودرت أراضى المسلمين ،فضلا عن المجال التعليمى ، وهو المجال الطبيعى الذى يحقق التبشير فيه أهدافه ،وأهم إنجازات الاستعمار البريطانى هو بث التفرقة بين المسلمين فى شرقى أفريقيا . واستطاعت هيئات التبشير بالمعونات الكثيرة التى كانت تأتيها من الخارج وبخاصة مجلس الكنائس العالمى ،أن تنشيء كثيرا من المدارس ، أما الهيئات الإسلامية كثيرة العدد فلم تتمكن إلا من إنشاء الكتاتيب وبعض المدارس الأولية بجهدها الذاتى المتواضع ماديا ،وشاء الاستعمار البريطانى أن يجعل للإرساليات التبشيرية الهيمنة على التعليم فى كينيا ، وزاد الطين بلة أن كان قصر الوظائف الحكومية على الذين تلقوا تعليمهم فى مدارس الإرساليات والتى عزف عنها أبناء المسلمين ، وفى كينيا اليوم مركز تبشيرى له أهميته القصوى فى مجال الدعوة والفكر وفى مجال السياسة - وهو الأخطر- حيث يتم التعاون مع الحبشة وجنوب السودان وتنزانيا وأوغندا على تطويق الإسلام [1]

أوغندة

إن الإحصائيات فى أفريقية كلها لا يمكن الركون إليها ،ومنها أوغنده ، يقدر عدد سكانها بخمسة عشر مليون نسمة تقريبا منهم ٣٥٪ مسلمون أى ما يزيد على خمسة ملايين و ١٠٠ ألف نسمة ، ويشكل النصارى ٣٠٪ أما الوثنيون فيشكلون ٣٥٪ أيضا ، ويزداد المسلمون بكثرة إذ يدخل فى الدين الإسلامى أعداد من أصحاب الديانات الأخرى باستمرار [2]

هذا «وأوغندة» ، استعمرتها بريطانيا فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر واستقلت أخيرا عام ١٩٦٢م وقبل الغزو البريطانى لها بسنوات زحف المبشرون من

(١) محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص (٣٠ - ٣٣) بتصرف
(٢) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص (١٤٨ ، ١٤٩)

البروتستانت البريطانيين والكاثوليك الفرنسيين ، وكان للتجار العرب سبق ، حيث تركوا آثارا إسلامية قوية ، ولكن الاستعمار البريطاني كان له أسلوبه في طمس هذه الآثار ، والاستعمار أيا كان لونه ومصدره ، فإن مهمته لا تقتصر علي السيطرة السياسية والاقتصادية ، بل تتجاوز ذلك إلى تحقيق أهداف دينية ،من منطلق الرواسب التى خلفتها الحروب الصليبية ،ولك أن تتصور أن عدد البريطانيين فى أوغندا قبل نهاية النصف الأول من هذا القرن بلغ ٧٠٠٠ بريطاني،من بينهم ١٢٠٠ مبشر بروتستانتى ،ولقد حرص الاستعمار البريطانى ، بكل أساليبه ووسائله المعروفه على عرقلة أى نشاط للحركة الإسلامية ، وبخاصة فى مجال التعليم إلى حد أن أغلق المدارس الإسلامية ،وأنشأ معاهد تبشيرية وجامعة « ماكريرى » كبديل عن جامعة الخرطوم ،وذلك ليحول دون اتصال مسلمى أوغندا بالشمال ، ثم إنه عهد للبعثات التبشيرية التنصيرية بالإشراف على التعليم لقطع الصلة بين المسلمين والثقافة الإسلامية .

وقبل استقلال أوغندا بلغ عدد المدارس الثانوية التى تمتلكها الهيئات التبشيرية (٢٨٢) مدرسة « بينما كان عدد المدارس الإسلامية (١٨) مدرسة ، وهذا يؤكد اختلال موازين العدل ، وحتي ما بعد الاستقلال ١٩٦٢ م ظل الوضع فى اضطهاد الإسلام كما كان لأن الحكومة الوطنية كانت قد رضعت من ألبان الاستعمار ونشأ أعضاؤها بين أحضانه ،ولا يمكن أن نتجاهل أن الإستعمار الصليبى فى أفريقيا - بالذات - قد عمل على أن تكون السلطة الحقيقة للمؤسسات التبشيرية .

وفى عهد « عيدى أمين » الرئيس الأوغندى السابق ، بدأ المسلمون يتنفسون الصعداء ، ولكن ما كان الاستعمار الصليبى ومؤسساته التبشيرية أو الفاتيكان أو مجلس الكنائس العالمى أن يدعوا هذا الرجل الذى أعلن إسلامه ، وجعل أوغندا عضوا فى المؤتمر الإسلامى ، فاطيح به عام ١٩٧٩ م ، وقد تولى الحكم بعده

حـاكم مسلم هو « يوسف والـى » ولكنه أقصى عن الحكم لـيتـولى مكانه محـام مسـيحى هو « جود فيـرى بنيـا » وعـاد الاضطهاد ضد الإسـلام والمسلمين يأخذ مكانه من جديد .

ولم يتم اقـصاء « عـيدى أمين » فى هـدوء ، حيث كـاد أن تنشب فى أوغندا حـرب أهليـة ، لولا تدخل القس « فـيريـرى » الرئيس التنزانى السـابق ، الذى أرسل قواته لإبادة المسلمين المؤيدين لعيدى أمين ، ولا يعـرف على التحديد ضحايا المجزرة التى حدثت فى مسلمى أوغندا على أيدى قوات تنزانيا ،وحسبك أن تعلم أن أكـثر من خـمـسين ألف من مسلمـى أوغندا قتلوا علـى أيدى قوات تنزانيـا ، وحـسبك أن تعلم أن أكـثـر من خمـسين ألف من المسلمين اسـتطاعوا الهـرب ، وأصـبحـوا حتي اليـوم لاجئين فى السـودان ، والمحنة لا تزال قـائمة ، بل لقـد ازدادت شراهة وشـراسة ، وقـد نشرت الصحف أن الانقـلاب العسكرى الأخـير كشف عن أن ثمانين ألفا من الأوغنديين وجدوا فى المعتقلات والسجون ،معظمهم من المسلمين[1]

موزمبيق

ويشكل المسلمون فـيها ٣٠٪ إذ يبلغ عـددهم أكثر من مليونى نسـمة من أصل السكان البالـغ عددهم سبـعة ملايين ،ويكثـرون فى المناطق الساحليـة « ملاوي» ويقـدر عـدد السكان بأربـعـة مـلايين ، بينهم مليـون من المسـلمين ، أى يشكل المسلمون ٢٥٪ من السـكان ،وهناك من يرفع نسـبة المسلمين إلى ٥٥٪ وكانت هذه المنطقـة تسمى سابقـا « نيا سـلاند » وتنتشر الـنصرانية أيضـا ، كمـا أن عددا من السكان لا يزالون علي الوثنية .

وهناك أقليات أخرى فى شرقى أفريقية من المسلمين أهمها فى :

(١) محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص ؟ (٢٧ - ٣٠) بتصرف .

مالاجاش : ويشكل المسلمون ٢٥٪ من أصل ٦,٠٠٠,٠٠٠ نسمة

جزر ريونيون : ويشكل المسلمون ٢٠٪ من أصل ٤٠٠,٠٠٠ نسمة

جزر سيشل : ويشكل المسلمون ١٪ من أصل ٥٠,٠٠٠ نسمة

جـزر مـوريـشـيس : ويشكل المسلـمـون ١٣,٣٪ من أصل ٩٠٠,٠٠٠ نسمة[1]

غربى أفريقيا

يسود الإسلام أفـريقيا الغربية كلها عـدا أقسام منها لا يزال المسلمون فيـها أقلية منها (الغابون) ويقدر عدد سكانها بستمائة ألف وتتضارب نسبة المسلمين ، فمنهم من يعدها ٥٥٪ وبـذا يكون عدد المسلمين ثلاثمـائة وثلاثين ألف نسمـة وقد تكون النسبـة أقل من ذلك ولا تتجاوز ٣٥٪ وبذا يكـون عدد المسلمين مائتين وعـشرين ألفا، وقد اعـتنق رئيس الجمهورية « البرت برنارد بونجـو » الإسلام عام ١٣٩٣ هـ وتسمى باسم « عمـر بونجو » واللغة الفرنسيـة هى الرسمية ،بينما لغـة البانتو هى السائدة شعبيا .

غينية الاستوائية -

وهى تضم جـزيرة :« فـرناند دوبو» وأرض «ريومونى » وكـانت تحت سـيطرة الاستعمار الأسبانى ، ثم استقلت عام ١٣٨٨ هـ ويقدر عدد السكان بثلاثمائة ألف بينهم عدد من المسلمين لا يتجاوزن ٢٥٪ أى أقل من سبعين ألفا ، بينما يصل عند بعض المؤلفين إلى ٦٥٪ أى ما يقرب من مائتى ألف .

وإضافة إلى هذه المجموعات ،فهنـاك بعض الأقليات القليلة الشأن يقيم أكثرها فى الجزر وهى جزر الرأس الأخضر ،ويشكل المسلمون فيها ١١٪ أى ٥٢٧ ألفا

(١) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص (١٤٩) بتصرف .

جزر ماديرا : ويشكل عدد المسلمون فيها ١٠٪ أى ٣٠ ألفا .

جزر آصور : ويشكل المسلمون فيها ٠٥٪ أى ٥١٦ ألفا .

جزر برنسيب وساتومى : ويشكل عدد المسلمين فيها ٢١٪ أى ١٥٧٥٠ .

جزر أنويون : ويشكل عدد المسلمين فيها ٢٥٪ أى ٣٠ ألفا.

جزر الخالدات (كنارية) :ويشكل عدد المسلمين فيها ٠٧٪ أى ٧٠ ألفا .

جزيرة سانت هيلانة : ويشكل عدد المسلمون فيها ٠١٪ أى ٦٠ ألفا .

كابيندا : ويشكل المسلمون فيها ٠٣٪ أى ٢٥٥ ألفا [١]

وسط أفريقية

أهم دول وسط أفريقية التى تعيش فيها جالية مسلمة هى «بورندى» ويعيش مليون مسلم من أصل خمسة ملايين أى يشكلون ٢٠٪ من السكان ويسير الإسلام فيها بشكل بطيء نتيجة الصراع القبلى .

رواندا

وتبلغ نسبة المسلمين ٢٠ ٪ من السكان، وسكانها لا يزيدون عن ثلاثة ملايين نسمة [٢]

زائير

ويبلغ عدد سكانها ٢٠ مليون ، و نسبة المسلمين بينهم ١٠٪ أى ما يقرب من مليونى مسلم [٣] يعيش أكثرهم فى المنطقة الشمالية الشرقية من البلاد وقد وصل إليها الإسلام أيام دولة عمان فى زنجبار التى وصل نفوذها إلى شمال شرقى زائير [٤] وقد نشأت مدن بل وبعض ممالك إسلامية فى زائير ، لكن الاستعمار البلجيكى الذى بدأ يتسلل إلى البلاد فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر وبرغم ما تتمتع به زائير من خيرات، إلا أن مستوى المعيشة منخفض للغاية - لوجود الاستعمار

(١) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص (١٤٦ ، ١٤٧)

(٢) المرجع السابق ص (١٥٠) بتصرف

(٣) هذه الاحصائية منذ عشر سنوات على الأقل قبل طبع الكتاب الذى بأيدينا ١٩٨٢

(٤) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص (١٥٠)

البلجيكى الذى قام بالنهب والسلب شأنه شأن أى استعمار صليبى فى أفريقيا بأسرها .

والذى يهمنا هو وضع الإسلام والمسلمين فى زائير . وهو وضع عليه أن يواجه التحديات ، فالاستعمار البلجيكى الكريه فتح الباب على مصراعيه للهيئات التبشيرية والتنصيرية ، وحسبك أن تعلم أن « كنشاسا العاصمة بها خمسة عشر ألف من القساوسة والرهبان ، وفى زائير أكثر من عشرين ألف مدرسة تبشيرية فى المرحلة الابتدائية فقط ، ويشرف المبشرون على معاهدها وجامعاتها ، ولأمريكا وبلجيكا وفرنسا وإيطاليا أكثر من خمس عشرة بعثة وإرسالية للتنصير ، وليس فى زائير إلا ترجمة واحدة للقرآن الكريم وهى ترجمة مزيفة ومشوهة ، ولا يمكن إلا أن يكون للصهيونية دور رئيسى فى التضييق على الدعوة الإسلامية [1]

الكونغو

وتعيش فيها جالية مسلمة صغيرة لا تزيد عن خمسين ومائة ألف، ومع هذا فإن نسبتها تصل إلى ١٥٪ لأن عدد السكان الكلى لا يزيد عن المليون نسمة [2]

جنوبى أفريقية

ومنها «ملاوى» كانت فيما مضى محمية بريطانية ، «نياسالاند» بعد صراع بين الاستعمار البريطانى والاستعمار البرتغالى ، وانتصر الأول، وأعلن عن قيام محمية «نياسالاند» البريطانية عام ١٨٩١م، و قد حصلت على استقلالها تحت اسم«ملاوى» عام ١٩٤٦ م ، ومما هو جدير بالذكر : أن جنوبى أفريقيا نصف سكانه من الوثنيين ، وهذا جعل الصراع محتدا بين الإسلام والمسيحية التى نزلت بكل ثقلها ، من هيئات تبشيرية وتنصيرية ، ويبلغ عدد سكان ملاوى زهاء سبعة ملايين ، ونسبة المسلمين تربو على الثلث ، وقد وصلها الإسلام مبكرا فى القرن العاشر الهجرى أيام دولة آل سعيد فى شرقى أفريقيا -

---

(١) محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص ٣٦ ، ٣٧ بتصرف

(٢) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ١٥٠

عندما بدأ تسلل الأوربيين إلى ملاوى ، بدأت البعثات التبشيرية والتنصيرية تخترق ربوعها ، ولقد فشلت فشلا ذريعا ، وأخيرا تدخلت السلطات البريطانية ، فأضفت عليها حمايتها من جانب ،ومن جانب آخر أطلقت يدها فى التعليم ، وجعلته تحت إشرافها ، وكان أن فرض تعليم الدين المسيحى على سائر المدارس دونما مراعاة لوجود أكبر جالية إسلامية ، وكان لابد أن يواجه المسلمون تحديات السلطات وهيئات التبشير معا ، لكن أول مندوب سام لبريطانيا بعد إعلان الحماية سنة ١٨٩١م هو « هنرى جنستون » الذى قابل التحدى بالإرهاب والتنكيل ، وكانت النتيجة أن عدد المسلمين كان يمثل أكثر من ٦٠٪ فى أولى سنوات الحماية ، ثم هبط إلى أكثر من الثلث ، وكما يحارب الإسلام فى ملاوى تحارب الثقافة الإسلامية واللغة العربية والمشكلة هى : بينما تقف السلطات إلى جانب الهيئات التبشيرية، والتى تتلقى معونات لا حدود لها من أمريكا وأوربا ، نجد السلطات تبذل جهدها فى وضع العراقيل فى طريق الدعوة الإسلامية ، والتى تعتمد على الجهود الذاتية ، ولا يصلها من المدد إلا أقل ما هو مطلوب [١] وكذلك « زامبيا » ويشكل المسلمون نسبة ٧٪ من أصل ٤,٠٠٠,٠٠٠ نسمة .

روديسية ويشكل المسلمون نسبة من أصل ٤,٠٠٠,٠٠٠ نسمة

اتحاد جنوب أفريقية ويشكل المسلمون نسبة ٣٪ من أصل ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة .

ناميبية ويشكل المسلمون نسبة ٢٪ من أصل ٦٠٠,٠٠٠ نسمة

ليسوتو ويشكل المسلمون نسبة ٥٪ من أصل ١٠٠٠,٠٠٠ نسمة

بتشوانا ويشكل المسلمون نسبة من أصل ٦٠٠,٠٠٠ نسمة

أنغولا ويشكل المسلمون نسبة ١٥٪ من أصل ٦,٠٠٠,٠٠٠ نسمة [٢]

(١) محنة الأقليات المسلمةفى العالم ص ٣٨ ، ٣٩
(٢) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ١٥٠

● ثانيا : المحنة فى آسيا

إن محنة الأقليات المسلمة فى آسيا ، أسوأ حالا وأشد خطرا من أفريقيا فالعدو الصليبى يعمل في أفريقيا على استحياء ، ولكنه خلع برقع الحياء فى آسيا ليس من الأقليات المسلمة فقط ، بل ومع الأكثرية كذلك ،كما هو فى أندونيسيا ،وإذا نحن تمسكنا بظاهر اللفظ بالنسبة للأقليات المسلمة فى مواجهة المسيحية ، فإن اختيارنا للأقليات المسلمة فى « الفلبين » هو النموذج الأمثل للمحنة ،**لأنه فيها يجتمع على** الأقلية المسلمة هناك الفكر والسيف معا ،يمثل الفكر إرساليات التبشير والتنصير ويمثل السيف الجيش الرسمى ، والفكر والسيف معا يسعيان لتحقيق تصفية الوجود الإسلامى واقعا عن طريق القوة ، ومعنى عن طريق التبشير .

تقع « الفلبين» فى الشرق الأقصى وفى المحيط الهادى - أرخبيل يتكون من ٧١٠٠ جزيرة ، ويبلغ عدد السكان زهاء خمسين مليونا، ويصل عدد المسلمين إلى أكثر من خمسة ملايين ،ويطلق على الجماعات الإسلامية « المورو » وينتشرون فى ثلاث عشرة ولاية فى الجنوب والغرب ،وقد وصل الإسلام مبكرا نسبيا فى أواخر القرن السادس الهجرى .

صور من المحنة :

الغزو الأسباني عام ١٥٢١ م

ولقد بدأ غزو الأسبان للفلبين فى صورة من مجموع سفن الكشوف الجغرافية بقيادة الرحالة « ماجلان » ، قدم الأسبان يحملون فى أحشائهم حقد الصليبية على الإسلام ،الذى سبقها بقرن بعد مصرع « ماجلان » على يد بطل مسلم ، وبرغم ما كان يملكه الأسبان الغزاة من قوة واستسلام سائر المناطق التى زحفوا إليها ، إلا أن جزر الجنوب المسلم قد استعصت على جميع المحاولات التى بذلها الأسبان لغزوها .

أجل لقد صمد المسلمون من سكان هذه الجزر صمودا بطوليا ، جعل الأسبان ييأسون نهائيا من السيطرة على المناطق الإسلامية فى الفلبين ، ولذلك انصرفوا إلى المناطق الأخرى يوطدون بها سلطانهم ،ويبشرون فيها بالكاثوليكية ، فقد كان الاستعمار والتبشير يسيران جنبا إلى جنب ،ويلاحظ دائما أن التبشير المسيحى كان يسبق الاستعمار ممهدا له ، فإذا تمكن الاستعمار أصبح ظلا للتبشير ،ولكن ما حدث فى الفلبين ، كان التبشير يسير مع الاستعمار خطوة خطوة ، كان فى إحدى يدى « ماجلان » المكتشف الأسبانى الإنجيل ، ويحمل السيف فى الأخري، وبالوعد والوعيد ، أو بسيف المعز وذهبه ،مكن « ماجلان » للكاثوليكية أن تطأ أقدامها أرض الفلبين .

وجاء دور أمريكا

ظل الاستعمار الأسبانى حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ،ويعتبر أطول استعمار فى التاريخ ، إذ مكثت قواته فى الجزر الفلبينية ٣٧٧ سنة، كانت أمريكا قد فرغت من القضاء على النفوذ الأسبانى فى أمريكا الجنوبية، وكان أن يممت وجهها شطر الشرق للقضاء على النفوذ الأوربى ، وكعادة أمريكا أخفت مطامعها وارتدت رداء المخلص الذى يأخذ بيد الشعوب المغلوبة ،لجأت إلى الثوار من أهل البلاد تستعين بهم على طرد الأسبان ، وفى نفس الوقت كانت تفاوض أسبانيا فى باريس على شراء الجزر الفلبينية منها مقابل خمسة ملايين من الدولارات،وفى عام ١٨٩٨ م سقطت مانيلا، واستولت أمريكا على مقاليد الامور، وعندما افتضح أمر أمريكا عادت الثورة الفلبينية تمارس نشاطها ضد الغزاة الجدد ، إلا أن الفارق الشاسع بين القوتين كان كبيرا ،وفى عام ١٩٠١ م استقر الأمر نهائيا لأمريكا ، وقامت أول حكومة مدنية برئاسة أحد القادة الأمريكان الذين أسهموا فى توطيد أقدام أمريكا فى البلاد .

لكن فى عام ١٩٤١ م احتلت اليابان الفلبين ،بعد أن دمرت الأسطول الأمريكى فى « بيرل هابر » ولم يستسلم الشعب الفلبينى لليابان ، الذين لم يجلوا

عن البلاد إلا بعد أن ألقت أمريكا القنبلة الذرية الأولى على « هيروشيما » ثم الثانية على« نجازاكي» .

– وبعد أن استقلت الفلبين عام ١٩٤٦ م ، تعرضوا لحرب إبادة ، تميزت بالعنف والوحشية ،دون مراعاة لأى تقاليد حربية أو إنسانية ، فقد كان القضاء على الخصم ومحوه هو الهدف الأكبر مهما تكن بشاعة الوسائل التى تحققه .

ولم يعد مجهولا أن الكاثوليكية فى الفلبين هى من وراء شن حرب الإبادة الشرسة التى لا هوادة فيها ضد خمسة ملايين مسلم أو يزيدون برغم أن الإسلام قد استقر فى الفلبين سلميا قبل الكاثوليكية التى دخلت البلاد بقوة المدفع والسيف مع الاستعمار الأسبانى ، زهاء قرن ونصف قرن ، وصارت اليوم حاكما مستبدا، تؤازرها أمريكا زعيمة الصليبية فى العصر الحديث ،وأصوات المجازر البشرية فى مسلمى الفلبين يطرب لسماعها الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى . أما صرخات الضحايا بعشرات الألوف ،فليست إلا صرخات فى واد ،إنها تطرق أسماع الأمة المسلمة فترتد خائبة ، لأن بآذانها صمما ،وكان الله فى عون جبهة تحرير مورو الإسلامية ، إنها تسعى إلى سائر المحافل الدولية وتشترك فى سائر المؤتمرات الإسلامية ، فلا الأولى تستجيب ،ولا الأخرى تسمع [١].

– زحف النصارى بدعم من اليهود والولايات المتحدة نحو أراضى المسلمين فى جزر « مندناو » و « بالاوان » و « سولو » بغية طردهم واحتلال أراضيهم وبخاصة بعد أن رأى اليهود والنصارى التقاء المسلمين فى الفلبين مع إخوانهم فى بقية جهات العالم حيث شكلوا لجان تطوع بمساعدة العرب أثناء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٣٧٦ هـ ، وكذا إثر الهجوم الإسرائيلى عام ١٣٨٧هـ على البلاد

---

(١) محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص ١٠٥ - ١١١ بتصرف ، وانظر بتوسع « حاضر العالم الإسلامى تأليف لوثروب ستودارد الإمريكى ،تعليق الأمير شكيب أرسلان - ترجمة عجاج نويهض ج١ / ص ٣٥٨ - ٣٦٣ ط / دار الفكر العربى ،الثانية ،١٣٥١ هـ .

العربية ، ثم شكلوا جيشا سريا للغاية نفسها .

بدأت المعارك بين الطرفين وكانت القوتان غير متكافئتين ،وقد ارتكب النصارى أبشع الأعمال الوحشية التى شهدها التاريخ من قتل جماعى ، وإحراق المزارع وتهديم المساجد فوق المصلين ، والمنازل فوق الأهلين ،وإحراق الناس وهم أحياء وانتهاك للأعراض والحرمات ،وصمد المسلمون صمودا قويا ، وكان رئيس جمهورية الفلبين « ماركوس » كلما شعر بأن الدول الإسلامية يمكن أن تقوم برد فعل بدأ يخادع ويعلن أنه سيعطى المسلمين حكما ذاتيا ، وتارة أخرى يصرح بأن جيش الحكومة قد انسحب من المناطق الإسلامية ،وتصدق الدول الإسلامية هذه الأقوال لعدم جديتهم فى الأمر(١).

وجاء فى عريضة منظمة تحرير شعب النوبة المرفوعة إلى لجنة حقوق الإنسان اتهمت فيها حكومة الفلبين بقتل وجرح ما لا يقل عن مائة ألف مسلم ، وشردت نصف مليون واغتصبت مليون هكتار من أرض المسلمين ، وحرقت المساجد والمدارس والمنازل .

وجاء فى تقرير جبهة تحرير مورو ، أن عدد الحوادث التى ارتكبها جيش الفلبين ضد المسلمين فى النصف الأول من عام ١٤٠٠ هـ ، ٧٩ حادثة ، وبلغ عدد المعارك ٩٩ معركة ضارية (٢).

الهند

وصل الإسلام إلى شبة القارة الهندية عن طريق الفتح على يد «محمد بن القاسم الثقفى » عام ٨٩ هـ ، وعن طريق التجارة ، وانتشر الإسلام فى ربوع الهند، وعلى الرغم من أن المسلمين كانوا هم الحكام للبلاد ،إلا أنهم بقوا فى عددهم دون الهنادك .

(١) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ١٣٣

(٢) محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص ١١١ - ١١٣ بتصرف

وجاء المستعمرون البرتغاليون فالهولنديون فالفرنسيون والإنجليز ، وقامت الثورة في وجه الإنجليز الذين استأثروا بالقسم الأكبر من البلاد عام ١٢٧٠ م واستولى الثوار على « دهلى » وأصدر السلطان قرارا بمنع الاعتداء على الإنجليز من عسكريين وغيرهم ومعاملة الناس معاملة حسنة ، ولكن الثورة فشلت في النهاية ، وكان عاقبتها أن اضطهد المسلمون ،وصودرت أملاكهم ، وهدمت مساجدهم أو أصبحت ثكنات للجيش ، وشرد المواطنون ورحب الهندوس بالإنجليز ، فاستلموا الوظائف وحصلوا على الثروة ، واشتروا الأرض حتي لم يبق للمسلمين سوى ٥٪ من الأراضي التي كانوا يملكونها من قبل ، وتقدم المستعمرون الهندوس في التعليم أيضا ، وامتنع المسلمون عنه ، لأن المدارس كانت بأيدى المبشرين ،وبأمر المستعمرين ،وتوجيه الحكام، وتأخرت أحوال المسلمين نتيجة هذا ، وقام الهنود بتوجيه من انجلترا بالدعوة إلى القومية الهندية لعطف خط سير المسلمين الذين بدأ يقوى عندهم الاتجاه الإسلامي ،ونشأ حزب المؤتمر الهندى ونادى الغلاة فيه بقتل المسلمين ،وعدوهم من الأنجاس الذين لا يمسون ، كما نادوا بضرورة وحدة العقيدة وإجبار كل السكان عليها ، أي إرجاع المسلمين إلى الهندوكية ،وحدثت خلافات بين الطرفين ، ثم قسمت البلاد وشكلت المناطق المتجاورة والتي يشكل فيها المسلمون أكثرية « دولة باكستان » ، وما بقي كان دولة الهند ، وبقي في الهند عدد من المسلمين يشكلون ١٥٪ من السكان ، يتوزعون في أرجاء الهند كافة ويبلغ تعدادهم اليوم ثمانين مليون وبقيت منطقة « كشمير » منطقة صراع بين الطرفين، وعلى الرغم من أن أكثرية سكانها من المسلمين إلا أن الهند احتلت معظم أراضيها بالقوة ولا تزال نقطة خلاف ، كما ارتكب الهنود أبشع الجرائم يوم الانفصال ، وانتقل السكان تجاه باكستان .

تألفت باكستان من جزئين ، غربي وشرقي ، وعملت الهند كل جهدها لانفصال القسمين حتى تم لها ذلك بعد حرب الهند وباكستان عام ١٣٩١ هـ

وبدأت تدعم الهند بنجلاديش « باكستان الشرقية » ثم وقع الخلاف ، وابتعدت بنجلاديش عن الهند بعد عدة انقلابات تمت فى الأولى.

أما المسلمون الذين يعيشون فى الهند فإنهم يلقون الاضطهاد الكثير والعنت الشديد من قبل الهنادك ، وعلى الرغم من أن رئيس الجمهورية قد يكون من المسلمين ، وقد حلت جمعياتهم ، ومنها « الجماعة الإسلامية » وصودرت أملاكها واعتقل رجالها ، ويخطط الهنود للخلاص من المسلمين نهائيا .

ويجتمع المسلمون فى الهند فى مناطق أكثر من مناطق أو من الجهات التى يدخلون فيها فى شمالى الهند ،وفى غربى الهند ، وجنوب غربى ، وجنوب شرقي، وفى وسط الهند ، وفى مدارس الشيعة التى أهمها الجامعة النظامية فى « لكنو » ، وكلية الشيعة فى لكنو ، ومدارس البوهرة الذين يبلغ عددهم ١٠ ملايين نسمة ، يقيم معظمهم فى بومباى وهم أغنى طوائف الهند [١]

« سيلان » :- وصل المسلمون إلى جزيرة سيلان عن طريق التجارة سواء من جنوبى جزيرة العرب أم من سواحل الهند،وبعد أن ضعف المسلمون جاء الاستعمار البرتغالى عام ٩١١هـ وكان بداية فصل مظلم للتاريخ الإسلامى فى الجزيرة وحياة شاقة ومحنة صعبة بالنسبة للمسلمين ،إذ جاء البرتغاليون إلى سيلان مزودين بالحقد والصليبية والكراهية ضد الإسلام والمسلمين ، ومن ثم بدأوا فى اضطهادهم وتعريضهم لشتى أنواع القتل والعذاب ، فقد أباد البرتغاليون قرى مسلمة كاملة ، وحاولوا إزالة أى أثر للوجود الإسلامى فى الجزيرة .

ثم جاء الهولنديون عام ١٠٦٩ هـ فاتبعوا سياسة البرتغاليين نفسها تجاه المسلمين، فأسسوا مدارس تبشيرية لنشر النصرانية ، ومحاولة وقف النفوذ الإسلامى وإطفاء شعلته وهذا ما جعل المسلمين يلجأون إلى المناطق الداخلية ، علهم يجدون بعض المساعدة من أصدقائهم الحكام المحليين .

---

(١) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ١٣٧ - ١٤١ بتصرف .

وفى عام ١٢١١ هـ جاء الإنجليز إلى سيلان واتبعوا السياسة السابقة نفسها من حيث المدارس التبشيرية والتعليم ، ولكن المسلمين وجدوا شيئا من الحرية فخف عنهم الضغط والعذاب نسبيا ، ومع ذلك فقد قابلوا سياسة التعليم الإنجليزية بحذر شديد ورفضوا التعليم الحكومى ، لأنهم لم ينسوا شدة البرتغاليين والهولنديين واكتفوا بمدارسهم الخاصة ، وهذا ما نتج عنه تأخر كبير لدى المسلمين وتخلف واضح .

استقلت سيلان عام ١٣٦٧ هـ ، مع استقلال الهند وباكستان ، ويعيش اليوم فى سيلان ما يقرب من مليون مسلم ، وبذا تكون نسبتهم أكثر من ٨٪ ، إذ إن سكان سيلان « سيريلانكا » أكثر من اثنى عشر مليونا ، ويتكلم المسلمون فى سيلان لغة « تاميل » وهى لغة مسلمى جنوب الهند ،وتوجد المؤلفات الإسلامية العديدة بهذه اللغة ، ولكن الآن أصبحت اللغة السنكلية وهى لغة الغالبية فى سيلان هى اللغة الرسمية فى الدولة وهناك عدد من الجمعيات الإسلامية ، وهناك منظمة خاصة بفلسطين غايتها المساعدة للفلسطينيين ،وللمسلمين ثلاث صحف تصدر شهريا ويشعر مسلمو سيلان بالعزلة للضغط الذى تمارسه عليهم الحكومة البوذية [١].

بورما

يعيش فى بورما عدد من المسلمين يزيد على ١,٦٨٠,٠٠٠ نسمة ، وهم يشكلون ٧٪ من السكان البالغ عددهم ٢٤,٠٠٠,٠٠٠ نسمة ،ويتجمع أكثر المسلمين فى العاصمة « رانغون » ومدينة « ماندلى » التى تقع شمال العاصمة ، ويلقى المسلمون اضطهادا كبيرا لأن الحكومة بوذية ، وتحاول أن تحتفظ بوضعها كبقية الدول .

(١) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ١٤١ - ١٤٣ بتصرف

وإضافة إلى هذه الأقليات تعيش مجموعات صغيرة من بقية الدول التى تخضع للسيطرة الرأسمالية ، وهى « سنغافورة » وفورموزا ، ونيبال ، وبوتان ، وكوريا الجنوبية وهونج كونج ، ومكاد ، وكذا فى اليابان ،[١] والمسلمون فى سنغافورة يمثلون ٢٠٪ من السكان إذ يبلغ عددهم ٤٠٠ ألف وهم فى حالة جيدة ، ولا يعانون اضطهادا فيما أعلم[٢] .

● **ثالثا : المحنة فى أوربا**

فى سائر دول أوربا لنا أقليات مسلمة ، وأكثريات مسلمة أصبحت وقد تحولت إلى أقلية واقعا ، كما هو الشأن فى « ألبانيا » وبعض الجمهوريات التى اغتصبتها الشيوعية فى يوغسلافيا .

وأقليات مسلمة من مغتربين مسلمين ، ومن مواطنين اعتنقوا الإسلام ، وأقليات من مواطنين تخلفوا بعد أن رحل الإسلام عن بلادهم ، كما هو الشأن فى صقلية وقبرص وفى أسبانيا على وجه أخص .

وهناك مسألة يجب ألا تغيب عن أذهاننا ، هى مسألة الأقليات القليلة العدد نسبيا ، وعلى سبيل المثال فى النرويج عشرة آلاف مسلم ، وفى السويد خمسة وعشرون ألفا ، وفى فنلندا أقل من ثلاثة آلاف مسلم ، وقد اعترفت الحكومة بالإسلام فى الأخيرتين ، أقول : إن محنة مثل هذه الأقليات هى محنة « إهمال » أكثر منها محنة اضطهاد ، ومعظم الذين يشكلون الأقليات المسلمة من المسلمين المهاجرين من تركيا وباكستان ، ويوغسلافيا وألبانيا وليس من المنطق عدم الاهتمام بمحنة الإهمال من العالم الإسلامى ، لأن فى هذا تقليصا لظل الإسلام فى تلك البلاد ، وليس معنى هذا أن هذه الأقليات لا تواجه أية تحديات على الاطلاق ،

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٤ بتصرف

(٢) على لسان الأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الجيوشي

ومن أى نوع كان ، من القوى المعادية للإسلام التى تتحرك دائما لتعوق مسار الإسلام فى أى مكان ،ولها عاملون نشطاء فى سائر الأجهزة الرسمية وغير الرسمية [١]

ولنذكر على ذلك أمثلة :

بريطانيا :

ويبلغ عدد المسلمين أكثر من مليون ونصف ، ومعظمهم من دول الكومنولث البريطانى ،بينما يبلغ عدد اليهود زهاء نصف المليون ، والقانون البريطانى يكفل حرية العبادة ، ولكن إزاء انتشار الإسلام هناك صدرت القوانين ابتداء من عام ١٩٦٥ ميلادية وما بعدها بالحد من هجرة دول الكومنولث التى يهاجر المسلمون منها إلى بريطانيا .

والحق يقال ، إن فى بلاد الإنجليز العديد من المؤسسات الإسلامية التى تعمل فى بريطانيا ،لكن هناك العديد من التحديات التى تواجه الدعوة الإسلامية هناك ،

وقد أشار إلى بعضها كتاب « الأقليات المسلمة فى أوربا » للأستاذ سيد عبد المجيد بكر ، نقلا عن جريدة الشرق الأوسط ١٩٨٢ م ، قال « يواجه المسلمون فى بريطانيا العديد من التحديات من أبرزها العنصرية والتعصب ، ولقد جاهد المسلمون طويلا من أجل اعتراف بريطانيا بالأقلية المسلمة ، وهذا الاعتراف سيوفر على المسلمين حل مشكلة طالما عانوا منها ، وهى مشكلة عدم تدريس الدين الإسلامى لأبنائهم فى المدارس الحكومية ، وهذه مشكلة لها خطورتها على أبناء المسلمين فى بريطانيا [٢]

وإن كان حاليا لا يمنع القانون الإنجليزى من ذلك ، وهناك بالفعل من يقوم

---

(١) محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص ١٧١ - ١٧٣ بتصرف
(٢) محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص ١٧٣ - ١٧٤ بتصرف

بتدريس الدين الإسلامى فى بعض المدارس ، إلا أن العيب فى المسلمين أنفسهم ، إذ ليس بينهم من يقوم بهذه المهمة وأكثرهم يتخذ ذلك ذريعة للحصول على منافع مادية [١].

ومن التحديات ، الزواج المختلط ، وهذا له تأثيره على الطفل المسلم ، ومن أبرز التحديات جهود التنصير ، ونشاط اليهودية والقاديانية .

وأضيف هنا أن القاديانية تجد صدرا رحبا من السياسة الإنجليزية ، منذ أن كانت بريطانيا تستعمر الهند قبل الفصل ، وهى أخطر - فى رأيى - من الصهيونية والصليبية معا ، لأن عداوتهما للإسلام سافرة لا تنطلى على مسلم ، على عكس القاديانية التى تنسب نفسها إلى الإسلام زورا [٢].

فرنسا :

وفيها يعيش مليونان من المسلمين ، وبعضهم يرفع العدد إلى ثلاثة أو خمسة ملايين ، يمثلون المرتبة الثانية من حيث عدد السكان ، يليهم « البروتستانت » حوالى مليون ،ثم اليهود حوالى سبعمائة ألف ، ولقد بدأ الإسلام اتصاله بفرنسا عن طريق وجود الإسلام فى الأندلس فى أواخر القرن الأول ، وأوائل القرن الثانى الهجرى ، ثم تجدد الاتصال بفرنسا عقب الحرب العالمية الاولى أو قبل ذلك منذ النصف الأول من القرن الماضى عقب احتلال شمال أفريقيا ، وقد هاجر بعض مسلمى شمال أفريقيا إلى فرنسا وهم يمثلون سبعة أعشار عدد المسلمين ، والباقون من تركيا ويوغسلافيا والبلاد العربية الأخرى .

والتحديات التى تواجه الأقلية المسلمة فى فرنسا هى تقريبا نفس التحديات التى تواجه الأقليات المسلمة فى غربى أوربا ومنها فرنسا .

(١) على لسان الأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الجيوشى

(٢) محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص ١٧٤ - ١٧٥ بتصرف

إلا أن فى فرنسا ظاهرة مميزة ، ظاهرة التعصب المقيت ومصدره العناصر الفرنسية الأصل التى عادت إلى فرنسا بعد استقلال دول شمالى أفريقيا بعد استقلالها عن فرنسا وشيء بديهى ، أن تكن هذه العناصر العداوة للإسلام ، وكانت تتوهم أنها ستظل إلى الأبد فى أرض الإسلام التى نبذتهم ،وفى كتاب «المسلمون فى أوربا وأمريكا للكتانى » ،وهناك أى فى فرنسا صليبية لا تزال عالقة بالأذهان وتعود جذورها إلى الحرب الصليبية ،والتى شاركت فيها فرنسا بنصيب وافر ، وتركز البعثات التنصيرية جهودها على أبناء الأقلية المسلمة ولا شك أن الصهيونية والقاديانية والبهائية تلعب أخطر الأدوار فى محاولة منها لتصفية الوجود الإسلامى فى فرنسا أو على الأقل تقليص ظله وهى لا تعدم أخس الوسائل لتصل إلى غايتها[١].

المجــــر :

وفيها أقلية مسلمة تعرضت للاضطهاد المسيحى ، فعندما خرج الأتراك من المجر تعرض المسلمون والمنشآت الإسلامية إلى التعصب الدينى ،فأرغم المسلمون على الهجرة أو اعتناق المسيحية ، وحطم المتعصبون الآثار الإسلامية ، ثم ازداد الاضطهاد للمسلمين عندما حكمت الشيوعية المجر ، وهذا شيء طبيعي[٢]

اليــونــان :

التاريخ يذكر لنا أن الأتراك حكموا اليونان عدة قرون وقد هاجر إليها الكثيرون من مسلمى الأتراك والبلغار والألبان ، وفى القرن الثالث عشر الهجرى انحازت الصليبية الأوربية إلى جانب اليونان فى حروبها مع تركيا ، وانتهت باستقلال اليونان وفى معاهدة « لوزان » نص على تبادل السكان بين الدولتين ، فعملت الدولة المتنصرة « اليونان » على طرد المسلمين الألبان والمقدونيين ،حتى بلغت

(١) محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص ١٧٥ - ١٧٧ بتصرف وعلي لسان الأستاذ الدكتور ./ ابراهيم الجيوشي
(٢) الأقليات المسلمة فى أوربا ، نقلا عن محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص ١٧٧ بتصرف

هجرة المسلمين إلى تركيا وحدها أكثر من مليون وربع من المسلمين ، وتعرض المسلمون الباقون باليونان لأشرس ألوان الاضطهاد .

ونتيجة لتبادل السكان بين الدولتين ، تناقص عدد المسلمين باليونان ، كانوا مليونا ونصف المليون أى أكثر من ربع السكان وهم اليوم مائتا ألف مسلم .

وتشير المراجع التى بين أيدينا إلى أن وضع المسلمين اليوم فى اليونان ، وضع لا يحسدون عليه ، فاليونان تحاول تفسير معاهدة « لوزان » بينها وبين تركيا من طرف واحد ، لتمارس الضغوط على مسلمى اليونان لدفعهم إلى الهجرة ،إن هؤلاء المسلمين مواطنون يونانيون ،ولكن اليونان الصليبية تعتبرهم رعايا أجانب وتطبق عليهم قوانين تعسفية ، حسبنا أن نعلم أن المسلم لا يملك أن يبيع أرضه لمسلم ، بل ليونانى وقانون التعليم يمنع أن يتلقى أطفال المسلمين تعليما دينيا إلا ساعتين أسبوعيا [١]

جزيرة كريت

وهى من الجزر الإسلامية ، منذ فتح مسلمى الأندلس لها عام ٨٢٥ ، ثم احتلها البيزنطيون عام ٩٦١ م ، وبدأ الاضطهاد الصليبى الشرس للمسلمين فى الجزيرة وبيعت الجزيرة إلى إيطاليا ، وضاعف الكاثوليك من اضطهاد المسلمين مما اضطر الكثير منهم إلى الهجرة ، بل لقد هاجر الكثير من الأرثوذكس إلى الدول المسلمة ، وهناك اعتنقوا الإسلام ، وعندما عاد الحكم الإسلامى عن طريق آل عثمان إلى الجزيرة عام ٩٦٩ م ساد التسامح الدينى ، وعاد المذهب المسيحى اليونانى مرة أخرى إلى الجزيرة ، وفى ظل التسامح الدينى الإسلامى ، اعتنق أكثر من نصف السكان الإسلام طواعية واختيارا .

ولم يهدأ للتعصب الصليبى الأوربى بال ، منتهزا ضعف الدولة العثمانية

(١) المسلمون فى أوربا وامريكا نقلا عن محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص ١٧٧ - ١٧٩ بتصرف .

فتدخل إلى جانب اليونـان ،وفى خلال السنوات الأولى من حكم اليونان للجزيرة بدأ الاضطهاد الدينـى ضد المسلمين ، مما اضطر إلى الهجـرة منها أكـثر من نصف مليون مـسلم إلى تركيا وليـبيا ومـصر ، ولا يزال المسلمون البـاقون الذين تقلص عددهم إلى أقل من الثلث يعانون الاضطهاد والتعسف [١]

مأساة قبرص

إن مأساة كشمـير فى آسيا ، قريبة الشبه من مـأساة قبرص فى أوربا ، والفارق بينهما هو أن التحدى فى مأساة كشميـر تمارسه الهندوكية ممولا أدبيا وماديا وسياسيا من الغرب الصليـبى والشرق الشيوعى ، بينمـا التحدى فى قبـرص يمارسه الغرب الصليبى مباشرة بشتى أنواع الأساليب والقوى والمناورات ،ولا يمكن أن ننسى دور الثعلب البريطانى الذى وضع جذور المأساة ورواها بخبثه ودهائه قبل أن يرحل عن قبرص .

والدور الذى لعبـته السـياسة البـريطانية الصليبـية فى قـبرص ،هو نفس الدور الوقح الذى لعبـته فى فلسطين ، فى أواخـر القرن التـاسع عشر ، وفى أعـقاب احتلال بريطانيا لقبرص ، كان عدد القـبارصة الأتراك ثلاثة أضعاف عدد القبارصة اليـونانيين ، لكن السيـاسة البـريطانيـة عمـدت إلى تشجـيع هجرة اليـونانيين إلى الجزيرة، وتهـجير الأتراك منها ازاء أسـاليب التضيـيق والإرهاب ،وقبل أن ترحل بريطانيا كان عدد القبارصة اليونانيين أكثر من أربعة أضعاف القبارصة الأتراك .

وهكذا شاءت سـياسة التـفرقة العنصـرية التى مارستـها بريطانيـا أن تعمل على تقسـيم الجزيرة إلى شطرين : الـشمال حـيث يسكنه المسلمون ، والجـنوب حيث يسكنه المسيحـيون الذين استولوا على نصـيب الأسد من الأرض فى عام ١٩٧٥ م وبعد عـامين اعترف بـها مؤتمر وزراء الخـارجية الإسـلامى الذى انعقـد فى مدينة

(١) محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص ١٧٩ - ١٨٠ بتصرف .

«فاس» بالمغرب عام ١٩٧٧ م وقبل ذلك ذاق المسلمون الأتراك ٠- وبخاصة فى عهد القمص «مكاريوس» - ألوانا من الاضطهاد ، والذى بلغ شكل الإبادة وتدمير المساجد والمنشآت الإسلامية .

إن تركيا وحدها هى التى تقف إلى جانب القبارصة الأتراك فى دولتهم الناشئة وإن كان ذلك باسم التركية ، لا باسم الإسلام ، أما بقية العالم الإسلامى فهو لم يقدم شيئا ، سوى بعض القرارات والتوصيات التى لا تغنى ولا تسمن من جوع ، وبرغم أن رابطة العالم الإسلامى بمكة ، ناشدت الدول الإسلامية أن تتخذ موقفا حاسما تجاه قبرص اليونان ، ولكن يبدو أن هذه الدول غير مستعدة لأن تعمل شيئا، أى شيء [1].

ويستعرض المخطط التخريبى ضد مساجد قبرص التى تعرضت لوابل من الأخطار المسيحية، والتى شارك فيه - ويالالأسف - قساوسة وأساقفة حملوا السلاح وقذفوا القنابل واشتركوا فى إبادة المسلمين الآمنين، بدلا من أن يعلموا الناس تعاليم المسيح عليه السلام «من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر» .

ولقد نظم القبارصة الروم فى ٢١ ديسمبر ١٩٦٣ م هجوما عسكريا واسع النطاق ضد القبارصة الأتراك المسلمين شمل جميع أنحاء الجزيرة مستهدفين إبادتهم ووصف الروم هجومهم الوحشى هذا بأنه حرب دينية ضد الكفرة ،وشبهوها بالحروب الصليبية ،وكان الروم يقتلون كل تركى يقع بين أيديهم بوحشية لا مثيل لها .

وقد وصف البروفسير هـ .د بورجل « فى كتاب قبرص » الجرائم الوحشية التى اقترفها الروم بحق الشعب القبرصى التركى البريء ، لا لسبب إلا كون الأتراك

(١) محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص ١٨ - ١٨٢ بتصرف

يؤمنون بدين غير دين الروم كما قال : فى ١٣ يناير ١٩٦٤ م تم الكشف عن جريمة تقشعر لها الأبدان وقعت فى قرية « أى واصل » شمال غرب لفكوشا ، حيث عثر على ٢١ جثة لأتراك ربطت أيدى بعضهم قبل قتلهم بشكل وحشى ، وكما فجرت قنبلة فى بطن أحدهم حيث تمزقت بشكل فظيع ، هذه الجثث تم إخراجها ، وعثر ما بينها على جثة لطفلة لا يتجاوز عمرها العاشرة ، وجثتى أخويها الشابين ، وعلم فيما بعد بأنهم قتلوا أمام عينى والدهم كما عثر على جثة طفل صغير فى العاشرة من عمره وجثتى والده وجده ، دفنوا جميعا فى نفس المقبرة الجماعية .

كما تم نسف ١١٧ جامعا وتحويل بعضها إلى مواقف للسيارات، وتخريب ضريح أم حرام خالة النبى ﷺ وأحرقت الكتب المقدسة . . .الخ [١]

إن مائة وخمسين ألف مسلم قبرصى تعرضوا للعبودية ولحروب الإبادة الصليبية وشتى صنوف التعسف والظلم على أيدى عصابات « أيوكا ومكاريوس » المتعصبة والتى تحاول إبادة الأتراك المسلمين وتحويل قبرص كما صرح من قبل مكاريوس جزيرة مسيحية ملحقة باليونان ،كما سيفسح التأييد الاسلامى المجال أمام القبارصة الأتراك للاستمرار فى مساعيهم من أجل تحقيق سلام عادل ودائم فى الجزيرة ، لأن تطور العلاقات ومجالات التعاون بين القبارصة الأتراك والدول الإسلامية سيعرقل مساعى اليونانين فى عزل مسلمى قبرص وفرض الوحدة عليهم ، وبذلك سيتم تحقيق وسط ملائم سليم ، وقال مسئول إعلامى : ولو أن الدول الإسلامية تفى بعهدها لاضطر قساوسة الكنيسة الرومية الأرثوذكسية ومسئولو التربية والتعليم الرومى اليونانى إلى التخلى عن إصرارهم فى تعليم الأطفال الأبرياء أناشيد عنصرية تقول أولى كلماتها على سبيل المثال « تعالوا لننتقم من الأتراك المسلمين ونقتلهم بسيف ناعم »و عند وفاء الدول الإسلامية بوعدها للقبارصة الأتراك

(١) صحيفة النور الإسلامية ، العدد ٩٢ بتاريخ ٩ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ ١٤ ديسمبر ١٩٨٣ م ص ٢ بتصرف .

المسلمين ، عندئذ سيضطر القساوسة الروم الأرثوذكس ورئيس أساقفة قبرص الجنوبية إلى التخلى عن موقفهم العنصرى المتزمت والتوقف فى إطلاق نعرات الحرب مع دقات النواقيس ، ولربما سيمكنهم حينئذ إدراك واجبهم الحقيقى كرجال دين ووظائف الكنيسة تجاه مريديها [١]

المحنة فى بولندا

فالمسلمون فى بولندا يواجهون خطر الانقراض والتنصير ،أما عن خطر الانقراض فقد تقلص عددهم خلال العقود الأربعة الأخيرة من ١٥٠ ألفا إلى ١٥ ألفا فقط حسب الاحصائيات الرسمية ، وذلك بعد ما قتل منهم الكثير وهاجر الآخرون ،و اضطهد الباقى من الصامدين ،وإن كان أعظم الاضطهاد وقع على يد زعماء الشيوعية ، فإن الصهيونية والصليبية قد أسهمتا بدور كبير فى ذلك ، وبمزيد الاضطهاد يضطر المسلمون إلى الهجرة إلى أمريكا وغيرها من بلاد العالم المتاحة لهم ، وقامت الكنيسة فى هذا المجال بالتواطؤ مع الحزب الشيوعى بتسهيل الهجرة لمن يتنصر من المسلمين.

وأما عن خطر التنصير : فإن الكنيسة قد تضامنت مع أعدائها الشيوعيين ضد المسلمين ، وقدمت الدعم فى مقاومة حركات الثوار المسلمين ، وازدرت الدور النضالى للعمال المسلمين بأن أخذوا يوجهون لهم الإهانات والشتائم والاضطهادات ، ومن ناحية أخرى زادت الكنيسة من نشاطها التنصيرى لأبناء المسلمين البولنديين بوسائل الإغراء والقمع والحرب الثقافية والإعلامية ، كما أغلقت المدارس فى وجه أبناء المسلمين منذ عام ١٩٧٥ م وتسبب ذلك فى ضعف الثقافة الدينية بين المسلمين ، فتقلص عددهم كما وكيفا ،وهم الآن يواجهون خطر الانقراض بعد أن حلت الصهيونية العالمية فى أوربا الشرقية محل شقيقتها السابقة الشيوعية [٢]

---

(١) صحيفة النور الإسلامية عدد ٩٠ بتاريخ ٢٥ صفر ١٤٠٤ هـ - ٣٠ نوفمبر ١٩٨٣ ص ٢ بتصرف ، ومجلة الاعتصام عدد ٥ بتاريخ ربيع الثانى ١٣٩٨ هـ - مارس ١٩٧٨ ص ٤-٦ بتصرف .

(٢) مجلة العالم الإسلامى ، السنة السابعة ، السبت ١٣ اكتوبر ١٩٩٠ م - ٢٢ ربيع الأول ١٤١١ هـ العدد ٣٤٨ ص ٣ ، ٤ بتصرف

يوغسلافيا :

« اتجاه محموم فى يوغسلافيا لضرب المسلمين بحجة الحفاظ على وحدة الدولة»
عادت مشكلة المسلمين اليوغسلاف ، ومـا يتعرضون له من اضطهادات تطفو على سطح الأحداث من جـديد بعد مظاهرات عدائيـة قامت بها الأقليـة المسيحيـة ضد الأغلبية المسلمة بجمهورية « الصرب » كبرى الجمهوريات اليوغسلافية تحت دعاوى كاذبة تتـهم المسلمين بالقيـام بممارسـات من شأنها تهـديد وجود الأقليـة المسيحـية الصربية .

واستغلت السلطات الشيوعيـة هذه الفرصة جيدا لمواصلة دورها الذى بدأته منذ قيـام الحكم الشيوعى فى يوغسلافيـا عام ١٩٤٥ م فى قمع المسلمين ، فأرسلت قوات ضخـمة من الجيش والبولـيس إلى جمهورية الصـرب ، ومقاطعة كـوسوفو بالذات معقـل المسلمين بالصرب بحجة أن الاضطرابات بين المسلمين المتمردين من أصل ألبانى ومسيحى الصرب تهدد وحدة يوغسلافيا .

ورغم أن قادة المسلمين بالصرب طالبوا الحكومة بعدم إرسال قوات فيدرالية لأن البـوليس المحلى يمكنه السـيطرة على الموقف ، وأن إرسـال قـوات أخـرى كفـيل بإشعال الموقف وليس تهدئته نتيجة التجارب التى لا تزال عالقة بأذهان المسلمين من وجود قوات فيـدرالية وممارساتهم العقيـمة خاصة ما كان يحـدث فى عهد الرئيس اليوغسلافى الراحل « جوزيف بروزتيتو ».

لكن السلطات الفيـدرالية فى بلجراد رفـضت الاستجـابة لنداءات قادة المسلمين واستـجابت لنداءات الـقمع الصربـية التى أعلنت عن فـرصتـها بوصـول القوات الاتحادية لقـمع ما أسمـوه بالاتجاهات الإسـلامية المتطرفـة ، ولم تكتف السلطات اليوغـسلافيـة بذلك، بل فرضت حـالة تعتيم إعـلامى شامل على مـا يحدث فى الصرب، وأصبحت وكالة تانيوج اليوغسلافية هى المصدر الرئيسى للمعلومات بشأن هذه القضية ،وفى آخر نبأ لها بهـذا الشأن ذكرت على لسان المتحدث باسم مجلس

الرئاسة اليوغسلافى أنه سيتم إرسال مزيد من قوات الشرطة والقوات شبه العسكرية إلى كوسوفو ، لأن القوات الموجودة هناك لم تتمكن من إحلال الاستقرار والنظام والأمن بجمهورية الصرب .

واستعرضت القيادة اليوغسلافية عضلاتها فى مواجهة المسلمين ، بعد أن شنت عليهم عدة حملات مقصدها التشوية والتشكيك ، حتى جعلوا صورة المسلمين كقطاع طرق مغتصبين إلخ .

ووثقت الحكومة اليوغسلافية أن الدول الإسلامية لن تبدى معارضة فعلية ، وأنها ستكتفى فقط بالبيانات مثلما فعلت فى المرات السابقة التى تعرض فيها المسلمون خلال عهد تيتو لحملات كانت تستهدف إبادتهم ، كما كانت واثقة أن الدول الغربية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة لن تعترض على ذلك ما دامت تحارب المسلمين وتبتعد عن المسيحين .

ومما هو جدير بالذكر أنه فى بداية العام الحالى ، انتشرت دعاوى قوية فى جمهورية « سلوفينيا » اليوغسلافية تطالب بالانفصال عن يوغسلافيا ، وإعلان استقلالها ونظمت مظاهرات مؤيدة لهذه الدعاوى ، ولم تتحرك القيادة الشيوعية فى بلجراد بمثل هذا الحماس الذى تبديه ضد المسلمين حاليا ، رغم أن سلوفينيا هى أعتى الجمهوريات اليوغسلافية وأقواها اقتصاديا ، واكتفت بإجراء مفاوضات مع القادة الداعين للانفصال ووعدتهم بإعطاء بلدهم مزيد من الحريات فى كافة شئونهم المحلية ،ولكن عندما يذكر المسلمون تتحرك قوات الأمن والجيش بدعوى أن ما يفعلونه تهديد لوحدة يوغوسلافيا » .

« تاريخ طويل »

ولم يكن تحرك الجيش إلى الصرب بالأمر الجديد ، فكثيرا ما تحركت قواته إلى الجمهوريات الإسلامية وقمعت كل الأصوات المطالبة برفع اسم الله والإسلام عاليا

ففى أوج العلاقات المتميزة بين مصر ويوغوسلافيا أثناء فترة حكم «جمال عبد الناصر» «وتيتو» تعرض المسلمون لأقصى الضربات، حيث دمرت المساجد والمدارس الإسلامية ومنع القرآن من التداول، بل ومازال حتي الآن من الأشياء التى يتعرض حاملها لاستجوابات كثيرة إذا وجدت ضمن محتويات حقيبته فى مطار بلجراد .

ورغم أن المسلمين اليوغسلاف يبلغ عددهم خمسة ملايين شخص من بين٢٣ مليون شخص هم عدد سكان يوغسلافيا ، فإنهم لا يتمتعون بأية حقوق ، فالسلطات الشيوعية رفضت الاعتراف بالأعياد الإسلامية ،ورفضت منح المسلمين أجازات فى المناسبات الدينية وتمنع تعليم اللغة العربية ، بل وأحرقت كتبا لتعليم اللغة العربية لأنها تحتوى على نصوص من القرآن ، وأعاقت بناء المساجد ، لدرجة أنها دبرت حريقا لأحد المساجد الكبرى فى مدينة « سرايفو » فى العام قبل الماضى سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م حيث وقف رجال البوليس يتفرجون دون أن يتدخلوا لإطفائه ، ورفضت إعادة بنائه .

وتعانى الجمهوريات الإسلامية من إهمال على كافة المستويات ، حيث تفتقد إلى الخدمات الأساسية ، ويعيش المسلمون خاصة فى جمهورية الصرب فى ظل ظروف اقتصادية بالغة السوء ، ويعانون من الفقر الشديد ، فى الوقت الذى توفر فيه السلطات الشيوعية للأقلية الصربية المسيحية كل الخدمات فى المناطق التى يعيشون فيها ، مما خلق حالة مستمرة من التوتر نتيجة الفوارق الطبقية الهائلة ، رغم أن المسلمين هم القوة العاملة الأساسية فى جمهورية الصرب ، بصفتهم أغلبية سكان الجمهورية ، ومع ذلك ورغم الظروف الاقتصادية والسياسة السيئة التى يعيش فيها مسلمو يوغوسلافيا ،فإنهم من أكثر المسلمين تمسكا بدينهم ويرفضون التخلى عن معتقداتهم ويقوم مجموعات كبيرة منهم بالحج لبيت الله الحرام معتمدين فى ذلك على أنفسهم وعلى إيمانهم القوى .

ومسلمو يوغوسلافيا الذين ينتمون لأصول ألبانية ،مثلهم مثل مسلمى شرق

أوربا دخلوا الإسلام طواعية فى أوائل القرن السادس عشر بعد أن رأوا وشاهدوا وسمعوا عن سماحة الإسلام والمسلمين من التجار الذين كانوا منتشرين فى هذه المنطقة وساعد الوجود التركى بعد ذلك فى ترسيخ دعائم الإسلام فى هذه المنطقة من العالم التى لم يتخل أبناؤها عن الإسلام رغم الحملات الشيوعية المناهضة لوجوده.

ويتطلب كل ذلك من الدول الإسلامية سرعة التدخل لوقف الحملة الشيوعية الشرسة ضد مسلمى يوغوسلافيا، خاصة وأن لكثير من هذه الدول علاقات قوية مع يوغوسلافيا [1]

المحنة فى البوسنة والهرسك

وأخيراً - وليس آخراً - محنة المسلمين فى البوسنة والهرسك: لقد عز على الصليبية الدولية أن يتكون أكبر تجمع إسلامى وسط أوربا، فإن هناك أكثر من ستة ملايين مسلم فى يوغسلافيا يقيمون شعائر الإسلام ويرفعون شعار «لا إله إلا الله ، محمد رسول الله» وكان تمركزهم فى البوسنة والهرسك وعاصمتها «سراييفو» ولقد ظل نظام الحكم الشيوعى فى يوغسلافيا .. يخفى هذا الرقم ويحيطه بالغموض ، ويعلن أن عدد المسلمين فى يوغسلافيا لا يزيد على مليونين من البشر ، واستمر التعتيم حتى حلت محنة البوسنة والهرسك إحدى جمهوريات يوغسلافيا السابقة ، وهى التى تحتل أخبارها الآن حيزاً كبيراً جداً من مساحات الصحف ووكالات الأنباء العالمية والمحلية وتشغل أذهان الكثيرين من أرباب الفكر والرأى وتطغى على كل البرامج الإذاعية والتليفزيونية فى القارات الست وإن كانت محنة المسلمين فى يوغسلافيا ليست وليدة الساعة ولا حديثة ، بل هى متكررة على مدى التاريخ الإسلامى فى أوربا فى أيام الرئيس . «جوزيف بروزتيتو» هذا الرجل الذى لم يعبأ بمشاعر

(١) جريدة النور الإسلامية الأسبوعية ، العدد ٣٤٣ بتاريخ ١٧ من صفر ١٤٠٩ هـ ٢٨ سبتمبر ١٩٨٨ .

المسلمين فى يوغسلافيا الذين يشكلون ثلث السكان فأغلق معظم مساجدهم ، وقلص مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم ، وضيق عليهم فى الوظائف العامة ، أبعدهم عن مراكز الثقل فى المناصب الهامة ، ومكن للصرب [مع أنه كرواتى الأصل] من اضطهادهم ، وعقد لهم المحاكمات الظالمة بتلفيقهم التهم ، واختلاق الأحداث كما عانى المسلمون فى يوغسلافيا ـ خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها ـ أشد المعاناة ، من القتل والتشريد والتضييق والتجهيل، ومع مجئ الحكم الشيوعى ، بدأ المسلمون يفقدون الكثير من الحريات الدينية القليلة التى كانت لهم ، بل إن الحقد الأعمى حرك حكام المجر لغزو المسلمين فى البوسنة والهرسك فى أوئل القرن السادس الهجرى ، الثانى عشر الميلادى، ولكن السيطرة للمجريين لم تطل . وتكررت الحروب بين الصرب والمسلمين أيام الدولة العثمانية ؛ ثم تكررت المحنة فى ظل الحكم النمساوى الحاقد الذى كان شديد القسوة على المسلمين يعمل على اضطهادهم وتشريدهم ، ويحاول تنصيرهم ، مما حمل الكثيرين منهم إلى الهجرة من البلاد إلى أراضي الدولة العثمانية ، ومحنة أخرى وهم تحت حكم صربيا، إذ غدر بهم الصرب ، وقد ظنوا فيه الخلاص من الاستعمار،وظل المسلمون ينتقلون من سئ إلى أسوأ ، حتى كانت الحرب العالمية الثانية .

وخلال هذه الحرب حدثت مذابح بين الأرثوذكس والمسلمين من جهة ، وبين الكاثوليك والمسلمين من جهة أخرى . حتى كان الحكم الشيوعى ولم يكن إلا أسوأ من غيره، وكثرت المذابح ، وهدمت المساجد والمدارس الدينية، وسادت موجة عنيفة ضد الدين عامة، وضد المسلمين بشكل خاص . حتى انهار النظام الشيوعى بصفة عامة مما أدى بالتالى إلى تفكك الاتحاد اليوغسلافى فى عام ١٩٩١م،ثم كانت هذه المحنة الأخيرة على يد الجزار الشهير «سلوبودان ميلوسيفيتش» بعد سقوط النظام الشيوعى،وهذه الفترة هى

التى جرت فيها للمسلمين أشهر مذابح التاريخ .

وهو فصل من التاريخ الملطخ بالدماء والملئ بالقهر والقسوة والتشريد .

وإذ أشرنا إلى ذلك ليُعلم أن المؤامرة ضد الشعب المسلم فى البوسنة والهرسك مؤامرة قديمة لها جذورها التاريخية فلم يقتصر الجرم فيها على دول أوربا الصليبية ، وإنما شاركهم فيها زعامات تظاهرت بالإسلام ، وتسمت بأسماء المسلمين وهى تبطن غير ما تظهر، والسجل ملئ بأمثال هؤلاء وأولئك.

وها هو التاريخ يعيد نفسه ، فرأينا بأبصارنا ، وسمعنا بآذاننا كيف يذبح شعب مسلم وكيف تغتصب نساؤه ، وكيف تهدم بيوته ومتاجره ، وكيف تدك بالصواريخ مساجده ومدارسه ، وكيف تحرق مزارعه ومصانعه ، وكيف تبقر بطون الحبالى ، فإذا خرج حيًا أطلق عليه الرصاص أمام أعين والديه .. وكيف ألقيت الجثث فى الشوارع تنهشها الكلاب المسعورة حتى انتشرت الأوبئة والأمراض ... كل ذلك والعالم كله يتفرج على المأساة !!

أين منظمة الدول الإسلامية ؟ أين جامعة الدول العربية ؟ وأين الأمم المتحدة ؟ [1]

بل أين المسلمون ؟ لقد كتب [ستيفن روزنفلد] فى الواشنطن بوست ـ ينعى على المسلمين خذلانهم لإخوانهم الذين يذبحون فى البوسنة ، ويقول : لم نر لهذه الأخوة الإسلامية المزعومة أثرًا يذكر ، وإلى هذه اللحظة ما زالت المذابح مستمرة والقتل والطرد والاغتصاب يجرى .. وعلى الجانب العربى لم نجد إلا الشجب والتصريحات ، بل إن من بين الدول الإسلامية من وجدناه يبيع بتروله للصرب .

---

(١) راجع بتوسع كتاب : الصربيون .. خنازير أوربا ، يحاولون إبادة الوجود الإسلامى فى البلقان د / عبدالحى الفرماوى

ثم فى سخرية وقحة يقول : «... كان هناك كلب ولكنا لم نسمعه ينبح ليدفع الذئاب عن غنمه ولا شك أن النمر الإسلامى الذى صورته لنا الصحافة الغربية فى الماضى لم يكن سوى قطة أليفة تموء !! إلى هذه الدرجة بلغت الشماتة .

تُرى هل آذن الليل بانتهاء ؟ [1]

إنه التعصب الصليبى . مهما اختلف الباحثون ، وتعددت التعليلات ، فى محاولات اكتشاف السبب الداعى لهذه المجازر المتعددة على المسلمين فى بلاد البلقان ، وبالرغم من توارى السبب الرئيسى لها خلف ما قد يفهم من رغبة الصربيين فى إيجاد منفذ لهم على البحر «الأورياتى» عبر بلاد البوسنة والهرسك !!

وكذلك بالرغم من ادعاء بعض الباحثين أن خلف هذه الحروب نزاعات عرقية أو خلافهما !!

فإن الذى تؤكده الدلائل وترشد إليه الشواهد وتثبته الأحداث : أن المسلمين فى بلاد البلقان عمومًا ، وفى يوغسلافيا خصوصًا ، ومنها «البوسنة والهرسك» يعدون شوكة فى حلوق أهل البلاد بصفة خاصة ، وأهل أوربا والغربيين بصفة عامة ، ولذلك اجتمعت عليهم الأحقاد، ونزلت بهم البلايا، ودبرت لهم المكائد ، وفتحت لهم السلخانات عبر التاريخ الطويل من هؤلاء وهؤلاء ، وبالرغم مما بين هؤلاء ـ الأعداء ـ وهؤلاء من عداوات وخلافات ، فإنهم اجتمعوا على اضطهاد المسلمين وإيذائهم وتصفية وجودهم بهذه الديار، فى مسلسل من المجازر الصليبية وكل ذلك : خوفًا من ظهور جمهورية إسلامية أصولية فى أوربا ، كما صرحت «الصنداى تليغراف» وهذا الخوف

(١) من مقال مصطفى محمود بجريدة الأهرام بتاريخ ٣ رجب ١٤١٣هـ ٢٣ / ١ / ١٩٩٣ صـ١٥ .

كان يدفعهم إلى إرضاع أطفالهم البغض للإسلام والمسلمين ، ويبث فيهم عقيدة ذبح المسلمين .

إذ تدرس فى المدارس الصربية الابتدائية ملحمة شعرية ، باسم «إكليل الجبل» كتبها أرثوذكسى متعصب ، وتقول : سلك المسلمون طريق الشيطان ، ودنسوا الأرض ، ملؤوها رجسًا ، فلتعد للأرض خصوبتها ، ولنطهرها من تلك الأوساخ ، ولنبصق على القرآن ، وليطر رأس كل من يؤمن بدين الكلاب ويتبع محمدًا ، فليذهب غير مأسوف عليه .

* بل إن الكنائس الأرثوذكسية الصربية أوحت إلى شباب الصرب بأن عملية ذبح المسلم إذا تمت مقرونة بشرب النبيذ، تعد أمرًا يجلب مرضاة الرب.

«وحقًا : لا تسأل عن أى رب هذا الذى يبارك قتل الأبرياء» !!

وتتبنى كلية «اللاهوت المسيحى» فى صربيا هذا المنطق وتدرسه لمن سيكونون قساوسة ورهبانًا فى المستقبل .

* كما أصدرت هذه الكنائس فتوى تبيح أعراض المسلمات لكل من يدين بالديانة المسيحية الأرثوذكسية، وقد أرسلت الميلشيات الصربية بعض هؤلاء النسوة من معسكر السبايا المسلمات ، حيث يقام معسكر لهن فى كل منطقة تسيطر عليها هذه الميليشات إلى مناطق المسلمين ، وهن يعانين من الأفعال الوحشية الناجمة عن هذه الفتوى . ومنها : تقطيع أثدائهن .

والأغرب من ذلك أن برلمان صربيا يشرع ويقنن ذبح المسلمين .

ولذلك فإن الادعاء بأن المعارك التى تدور فى البوسنة والهرسك ، هى معارك بين طوائف .

ادعاء غير صحيح ، لأن الهجمات الصربية الوحشية ، تجد لها سندً

قانونيًا يدفعها من الهيئة التشريعية لصربيا ، ويصرح زعماء الصرب ـ دون مواربة أو خجل ـ بهذه الأحقاد، فى دعوة لممارستها، بمناسبة ومن غير مناسبة.

فهذا زعيم حزب التجديد الصربى يصرح فى ٩ / ٩ / ١٩٩٠م قائلاً لأهل «سنجق» ـ وهو إقليم تابع لصربيا ـ «أما أنتم أيها المسلمون؛ فسوف نمهد لكم الطريق للرحيل إلى مكة، والمدينة المنورة ، وإيران ، وتركيا، إذ لا يمكن لكم أن تعيشوا هنا ، فهذه ليست أرضًا إسلامية» .

* والتركيز ـ فى الحروب ـ على نزع الهوية الإسلامية ، إذ أن نظرة مدققة على القائمة الأولى للمناطق قد اختيرت بعناية فهى تمس المواريث الرمزية والتاريخية الإسلامية هناك .

فحرب الإبادة تزيد تجريد الذاكرة الجماعية لشعب «البوسنة والهرسك» من رموز الهوية والإنجاز الحضارى الذى نشأ من الفكر والعقيدة الإسلامية .

بل ما هى إلا حملة شرسة بالحديد والنار لطمس الوجود الإسلامى فى شبه جزيرة البلقان كلها .

وانتهاز الفرص لممارسة التنصير فى مسلمى هذه البلاد ، وقد مارست السلطات ذلك مع المسلمين أيام الأحداث الدامية التى وقعت لهم ونفذت فيهم أيام الحرب العالمية الثانية . حيث كانوا يجبرون على التنصير ، وإلا فالطرد خارج البلاد أو الاعتقال والتعذيب الوحشى ، ثم التصفية الجسدية .

ولم تشهد المنطقة مذابح صليبية بهذا الشكل ، ولا بهذه الاستمرارية عبر العصور المختلفة ، حتى يومنا هذا إلا ضد المسلمين فقط .

إنهم مارسوا العنف بكل صورة سواء كان ذلك قبل الاستفتاء أو أثناءه حيث قاموا بتفجير المساجد قبل كل شئ ، ثم ألقوا القنابل على مقار المسلمين ، ودارت المذابح ، وتحولت الأحداث إلى مجازر ، وصمت العالم

بكل مؤسساته أمامها ، ولم نسمع عن الشرعية الدولية المزعومة !!

وأخذت حدة هذه المذابح تزداد حتى وصلت أعداد القتلى من المسلمين إلى عشرات الآلاف ، والجرحى أضعاف ذلك ، وامتلأت شوارع وحوارى وقرى ومدن المسلمين . بجثث الرجال والنساء والأطفال الذين أعدموا لرفضهم الخضوع للهيمنة الغربية .

وحفرت المقابر الجماعية ليقذف فيها بجثث المسلمين ، كما شوهد أحد قادة الجيش الصربى وهو يسحق رأس اثنين من المسلمين بالرصاص ، كما شوهد مسئولان من الحكومة الصربية المجرمة وهما : وزير الإعلام «أوستشتش» وأحد أعضاء البرلمان «مكسيموبيتش» وقد شاركا بأيديهما فى ذبح رجال المدينة وفصلوا رؤوسهم ثم لعبوا بها الكرة فى الشارع ، وهم فى غاية النشوة والفرح !! [1]

لقد صاروا يتلذذون برؤية الدماء تسيل من المسلمين فى وحشية مجنونة ، بل صاروا يمثلون بالجثث على نحو لم يسمع به التاريخ من قبل .

ناهيك عن تعمد قتل العلماء أمام جموع المسلمين ، والأبناء أمام الآباء وخطف الأطفال من الأمهات ، بخلاف الطرد والتشريد ، والذبح بعد الحصار والتجويع ، والعمل على تنصير المسلمين.ماذا أقول ؟ لقد استغل الصربيون الأطفال فى تفجير الألغام ، مرة بإجبار الأطفال على السير وسط الألغام لتنفجر فيهم ، ومرة أخرى بجعل حزام ملغم حول وسط الأطفال، ثم يقومون بإرسالهم إلى أهليهم الذين تجمعوا لانتظارهم ، فإذا التقوا انفجرت الألغام فى الجميع .

(١) صحيفة الشعب ٢٣ / ٦ / ١٩٩٢ م

كـل هـذا غيض من فـيض ، وقطرة من بحر، يتم على مرأى ومـسمع من العالم إن كـان له آذان يسمع بها آهـات المسلمين أو عيون يرى بهـا أنهار دمائهم !! وكان هذا القتل وهذه الإبادة تتم فى صورة يندى لها جبين العالم، إن كان له جبين!!

آلمنـي وآلـم كـل حـر ... سؤال الدهر أين المسلمون؟[1]

(١) راجع بتوسع:
- الصربيون خنازير أوربا - د/ عبد الحى الفرماوى.
- قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام ، أبيدوا أهله
- الصحف والمجلات والإذاعات ....

● رابعاً : المحنة فى أمريكا

تشير كثير من الأخبار إلى وصول المسلمين إلى أمريكا قبل معرفتها من قبل الأوربيين ،وأن بعض الآثار لتدل على ذلك ، وهذا يعنى أن المسلمين قد أبيدوا هناك بوصول الأوربيين إليها ، نتيجة لحرب الإبادة التى حدثت فى الأندلس بعد سقوطها بيد الأسبان ، ومن المعلوم أن خروج المسلمين من الأندلس ومعرفة أمريكا كانا فى عام واحد واتجاه الأسبان نحو الغرب كان خطة لتطويق المسلمين .

وعاد الإسلام مرة جديدة يصل أمريكا عن طريق المهاجرين من البلاد الإسلامية كرها أو بحثا عن عمل ، ثم عن طريق الأمريكيين بالذات الذين اعتنقوا الإسلام.

ويعيش المسلمون فى كل أنحاء أمريكا ، فى الولايات المتحدة ، وإن كان قد وصل إليها الإسلام متأخرا نسبيا ، وفى عدد قليل أو غير مؤثر بالقدر الكافى ،مع ضآلة ثقافة المسلمين الذين هاجروا وهم يقصدون العمل أولا ، أوعن طريق اتصال الولايات المتحدة بالعالم الإسلامى ، ثم وصل إلى الولايات المتحدة مهاجرون آخرون من شتى البلاد الإسلامية ،و من روسيا ،وبخاصة من قبائل التتار الذين أصابهم أذى كثير لإسلامهم ودعوتهم الدينية ،ومن اليوغوسلافيين الذين هاجروا إثر الاضطهاد الذى حاق بهم ، وبخاصة عند قيام الشيوعيين بتسلم أمور البلاد ،وبدأ الإسلام يدخل فى صفوف الزنوج كغيرهم من بني البشر ، وقد رأوا فيه متنفسا لما كان يحل بهم من اضطهاد على يد البيض يفوق حد الوصف من حرق وتقتيل وتعذيب ، وأن هذه الأعمال الوحشية من البيض كانت السبب من نفور السود منهم ، ومن ديانتهم النصرانية لأنهم لم يشاهدوا من النصارى من ردعهم عن هذا الظلم ، فأرادوا اعتناق دين يخالف النصرانية ، فوجدوا فى الإسلام ملجأ وملاذا ، وللزنوج السود سبعون مسجدا موزعة فى أنحاء الولايات

المتحدة كلها وعددهم يصل إلى نصف مليون ، ويتوزعون فى بلدان الولايات المتحدة فى الشمال والشرق ، وأهم المناطق التى يتجمع فيها المسلمون هى نيويورك، شيكاغو ، توليدو ، ديترويت ، كالفورنيا ، فلادلفية ، واشنطون.وفى الولايات المتحدة عدد من المراكز الإسلامية الكبيرة فى : شيكاغو ، ديترويت، كالفورنيا ، واشنطون ، وهذا الأخير من أكبر المساجد فى الولايات المتحدة ، ومن أجمل المساجد فى العالم ، وكذلك يعيش المسلمون فى أمريكا الوسطى ، يتوزعون على دولها المختلفة ومنها المكسيك ، جزر الأنتيل الهولندية - جزر برمودا - كوبا - هايتى ،وغيرها ، وأيضا فى أمريكا الجنوبية حيث البرازيل تضم أكبر عدد من المسلمين فى قارة أمريكا كلها والأرجنتين ،والشيلى ، وكولومبية ، وفنزويلا وسورينام [1].

المسلمون فى كندا

تواجه الجالية الإسلامية فى كندا ، تحديا من الجمعيات والمؤسسات المعادية للإسلام مما تنشره من أخطاء بهدف تشويه العقيدة الإسلامية لدي المواطن الكندى وتنشط وسائل الإعلام فى تزييف الحقائق حتى وصل التحدى إلى الكتب الدراسية التى تدرس بالمدارس والجامعات الكندية .

ففى مقاطعة أونتاريو ضمت هذه الكتب العديد من المغالطات والتهجم ضد النبى ﷺ وتسيء إلى الإسلام والمسلمين ، ولم تسكت الجالية الإسلامية على ذلك ، حتى انتهت إلى أحقية علماء المسلمين فى مراجعة الكتب التى تؤلف عن الإسلام بمعرفتها .

وقد أعلنت الجمعية الإسلامية فى كندا أن ما تم التوصل إليه ما هو إلا مؤامرة صامتة ضد الإسلام والمسلمين ،قد أصدرت الجالية الإسلامية بيانا قال فيه: « إن

(١) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ١٥٧ - ١٦٧ بتصرف .

تصرفات وزارة التربية بالنسبة للدين الإسلامى يعتبر تعصبا ضد الإسلام والمسلمين.»

وقد جاء فى التقرير : «إن المسئولين الكنديين قد فرضوا سياستهم المضللة لتقاليد الديانة الإسلامية ، وتمادوا فى تجاهل مطالب الجالية الإسلامية ، وبعد فالجالية الإسلامية فى كندا ، تواجه تحديا واضحا ومحققا [1]» .

● خامساً : المحنة فى استراليا

وهى قارة جديدة وبعيدة ، سكانها خمسة عشر مليونا تقريبا ، وتبلغ فى الحجم حجم الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكن تعداد سكانها أقل من عشر تعداد سكان الولايات المتحدة الأمريكية ،و هى أكبر خمسة وعشرين مرة من بريطانيا وايرلندا وهى أصغر قارات العالم ، ولكنها أكبر جزائره ، فى نفس الوقت أقل قارات العالم والجزائر كثافة للسكان.

وأكبر الولايات الاسترالية هى ولاية غرب استراليا ، التى تساوى تقريبا ثلث مساحة استراليا برمتها ومساحتها ٩٧٥,٩٢١ ميلا مربعا .

وخلال الحرب العالمية الثانية وأثناءها شهدت استراليا أكبر حركة هجرة إليها وكان هؤلاء المهاجرون يسمون بالاستراليين الجدد .

وفى بداية استعمار الرجل الأبيض لهذه القارة على نحو مستقر فى سنة ١٧٨٨ كانت توجد (خمسمائة لغة) أبو ريجنية ، وحوالى ٦٨٠ لهجة من لهجات القبائل .

وكان متوسط عدد كل قبيلة يتراوح بين ٤٠٠,٤٠ وعددها الإجمالى ٣٠٠,٠٠٠ ثلاثمائة ألف ، وقصة إبادة الأبوريجنين خصوصا فى تسمانيا تلطخ الرجل الأبيض المستعمر بوصمة عار أبدية ، والمجتمع الاسترالى جسم أنهكته

(١) صحيفة النور الإسلامية ، العدد ٤٥ بتاريخ ٥ من ربيع الثانى ١٤٠٣ هـ ١٩ يناير ١٩٨٣ م

العلل ، وتمكنت منه الأمراض التى تعرض بقاءه للزوال والخطر .

وأول هذه العلل شرب الخمر وثانيها لعب القمار وثالثها الإجرام ، وأن الملل والكسل فى استراليا ظاهرتان تلفتان النظر ، وفى البيوت والشوارع ومحطات السكك الحديدية تلتقى بكثير من الناس الذين يتحركون أو يجلسون إلى غير هدف .

إن استراليا بدأت تعرف فى تاريخنا الحديث منذ عام ٢٧٧٠ م ، ثم اتخذتها بريطانيا منفى للمجرمين والخارجين عن القانون فى عام ١٧٨٨ م ، إلا أن الصورة تغيرت بعد ذلك حين أعلنت استراليا بلدا حرا مفتوحا فى عام ١٨٤٠م [١]

دخول الإسلام إلى استراليا

كان أول من وصل إلى استراليا من المسلمين ثلاثة رجال من أهالى كشمير نزلوا فى ميناء « ملبورن » ومعهم أربعة وعشرون جملا ، ثم جاء من بعدهم اثنا عشر مسلما ومعهم مائة وعشرون جملا ، ثم تتابع وصول هؤلاء المسلمين فى موجات متتابعة ومعهم الألوف المؤلفة من الجمال .

وكان لهؤلاء المهاجرين الفضل كل الفضل فى اكتشاف أعماق هذه القارة ،وفى الربط بين أجزائها المختلفة ، كما كان هؤلاء المسلمون شريان الحياة فيها وفرسان الأمل والنجاة .

وقد حافظ هؤلاء المسلمون على عقيدتهم بحرارة ،وراحوا يبنون المساجد فى كل مدينة حتى بلغ عددها ستة وعشرين مسجدا ، وحمل هؤلاء الإسلام إلى كل بلد سافروا إليه .

لقد قرىء القرآن فى صحراء « فيكتوريا » قبل أن تقرأ الترانيم المسيحية ، وارتفع صوت الآذان فى « كوينزلاند » قبل أن يدق الناقوس فوق الكنائس فى

(١) التزوير المقدس ، د/ عبد الودود شلبى ص ٩ - ١٩ بتصرف دار الشروق ، الثالثة ، ١٩٨٧ م

اليس سبرنج .

ومنذ ذلك التاريخ والإسلام ينتشر فى استراليا ، وكان هذا الانتشار مرتبطا بحركة هؤلاء المرشدين الأدلاء من مسلمى الأفغان والهند ، ثم جاءت فترة ركود توقفت فيها هذه الحركة ، وانحسر فيها هذا المد ، وذلك بعد صدور القانون الذى يحرم على الملونين والآسيويين دخول استراليا فى سنة ١٩٠٢ م

لقد ارتفعت صيحات تطالب باستمرار استراليا كدولة بيضاء ، وطغت موجات العنصرية البغيضة لأى كائن ملون.

وكان هذا القانون بمثابة رتاج أحكم إغلاقه على (٦٠١١) ستة آلاف وأحد عشر مسلما هم جملة من وصل إلى هذه القارة ، وبمرور الزمن ، والبعد عن الوطن ، وفقدان الرائد المسلم ، وضغوط الحياة المادية وإغراءاتها الشرسة ، بدأت هذه الألوف تتوارى وتنكمش ثم تذوب وتتأقلم حتى تزوجت المسلمة بغير المسلم ! ونشأ جيل مخلط ومهجن وشيئا فشيئا ، اختفت الشعائر ، وخفت صوت المؤذن من فوق المنابر ، ولم يبق للإسلام فى نهاية هذه المرحلة سوى ثلاثة مساجد لم يكن يدخلها سوى قلة لم تتجاوز العشرات [١]

وبعد الحرب العالمية الأولى ، وبالضبط فى عام ١٩٢٤ م بدأت مرحلة جديدة من الهجرة الإسلامية إلى استراليا ، فقد سمحت الحكومة لعدد من الأوربيين الذين شردتهم هذه الحرب بالهجرة إليها ، فجاء مع من جاء عدد محدود من المسلمين فى شبه جزيرة البلقان ، بلغاريا ، البانيا ، يوغوسلافيا ، تركيا ، ولم يكن هؤلاء القادمون أحسن حالا من المستوطنين الأوائل - كانوا أشتاتا من المشردين التائهين ، فقد كانت معرفتهم بالدين وتعاليمه محدودة وكان جل همهم موجها إلى البحث عن لقمة العيش.

وبالرغم من تماسك البعض أمام مغريات الحياة الجديدة إلا أن البعض الآخر آثر

(١) التزوير المقدس ، ص ١٩ - ٢٤ بتصرف

الدعة والاندماج فى المجتمع الاسترالى بكل مفاهيمه وعقائده

لقد حدث أن مسلما تركيا من استانبول • هاجر بأسرته الكبيرة ، لقد طرق الرجل هناك كل الأبواب الموصدة فلم يوفق ، فعرض عليه التنصير هو وأسرته فوافق ، وإن عدد أفراد أسرة هذا الرجل بلغت مائتى رجل وامرأة منها مائة وستون من الكاثوليك وأربعون من البروتستانت !!

إن استراليا دولة علمانية ، والحرية الدينية فيها مكفولة ، ولكن الجمعيات التبشيرية تعمل هناك بنشاط وهمة ، إن الكنيسة الكاثوليكية مثلا - تملك إذاعة خاصة ولها مدارسها وجامعاتها الخاصة هناك ، ستجد من يطرق بابك ، ثم يستأذنك فى الدخول لحظة ، وهناك تفاجأ بهذا الزائر يعرض عليك إيمانه ، ويغريك باقتفاء أثره ، وقبل أن ينصرف يترك لك كتابا أو صليبا على سبيل البركة

إن للكاثوليك نشاطا واسعا ، وبخاصة بين المهاجرين المسلمين ، وهم أول من يستقبلك ويستضيفك ، هذا وقد وضعت الكنائس الاسترالية خطة لتنصير المسلمين فى العالم كله ورسمت لذلك خريطة [1]

ثم توالت الهجرة لاستراليا وأقبل المهاجرون من كل جهة ، لم يكن يسأل المهاجر عن دينه أو عقيدته أو ماضيه أو حاضره ، كل ما كان يهم فقط هو انتماء المهاجر السياسى فإن كان شيوعيا منع لذلك السبب ، وفى موجات هذا المد من الهجرة إلى استراليا جاءها مسلمون من لبنان وقبرص وفلسطين وسوريا وألبانيا ومصر وروسيا ويوغوسلافيا وتركيا وهؤلاء الموجة الثالثة من الهجرة الإسلامية إلى استراليا ، والتى ما زالت متواصلة ، ومسلمو المرحلة الثالثة من المهاجرين يمثلون الدم الجديد الذى يتدفق اليوم فى شرايين الحياة فى الجاليات الإسلامية فى استراليا، فقد جاءت وفود هذه المرحلة من المهاجرين المسلمين تملأهم الحماسة

---

(١) التزوير المقدس ص ٢٥ ، ٢٦ بتصرف

والثقة فى دينهم ، وتدفعهم عناصر الاستجابة إلى التطور الذى طرأ على العقلية المسلمة فى فهم الدين فهما صحيحا خاليا من الشوائب والجمود فى التقليد الذى لحق الإسلام فى عصور الظلام الفكرى ، وهؤلاء اليوم هم السواد الأعظم الذى يسود الجاليات الإسلامية فى الولايات الاسترالية [١].

وفى جزيرة فيجى إحدى الجزر القريبة من استراليا التى نالت استقلالها أقرب منطقة إلى الإسلام الصحيح وأكثرها شبها بالعرب ، وقد انتشر الإسلام فى هذه الجزر على أيدى العمال المسلمين القادمين من باكستان والهند ، والذين كانوا يعملون فى مزارع المطاط وقصب السكر وحين رآهم الناس يصلون سألوهم عن أصل هذه العبادة التى رآها سكان هذه الجزر أول مرة ، ومن ثم بدأ تعرفهم على الإسلام واعتناقهم لهذا الدين ، كما يوجد فى جزيرة « نيوكالدونيا » التى تقع بين استراليا وبين جزر فيجى حوالى ٢٥٠,٠٠٠ مائتان وخمسون ألف مسلم يرجع معظمهم إلي أصل صومالي أو جيبوتى ويتعرضون لغزو تبشيرى لا يملكون إزاءه حولا ولا طولا [٢].

الخطر المحاق

إن هجرات المسلمين إلى استراليا مستمرة ، وإن قلة سكانها وسعة أراضيها التى لم تستعمر بعد مما يجذب اليها المهاجرون ، والمسلمون مع طول الزمان أو بدون طوله يذوبون فى الوسط المحيط بهم ويذوب معهم الإسلام واللغة العربية ، وتنشأ أجيالهم الجديدة ولا تعرف ما هو الإسلام ولا ماهى اللغة العربية .

ومعنى هذا أن الإسلام يخسر كل يوم بعضا من أبنائه ومن تعاليمه ومن لغته . فإذا أضفنا إلى هذا عوامل الهدم السافرة من المبشرين وأصحاب المذاهب المنحرفة وجدنا أن الإسلام أمام خطر ماحق حقا .

(١) التزوير المقدس ص ٢٦ ، ٢٧ بتصرف
(٢) التزوير المقدس ص ٢٨ ، ٢٩ بتصرف

والأزهر بوصفه أكبر وأشهر هيئة تقوم بتعليم الإسلام ونشره ، عليه أن يتدارك هذا الخطر الداهم وأن يقوم بواجبه ويؤدى دوره ، فيرسل بمبعوثيه إلى هناك من الدعاة والأساتذة والمدرسين ، فإنه من الإثم حقا أن تترك هذه القارة نهبا للدعاة المضللين ولا يرتفع فيها صوت الحق الذى لاحق غيره والدين الذى رضيه الله لعباده .

إن عدد المسلمين فى استراليا يتروواح بين ١٨٠,٠٠٠ وبين مائتى ألف ، والبعض يصل بهم ٣٠٠ ألف أو أكثر ، أى أن الإسلام هو الدين الثانى فى أستراليا بعد المسيحية لأن عدد اليهود لا يزيد عن سبعين ألفا ، سبعون ألفا فى العدد ، وإن كان أثرهم أكثر من سبعين مليونا فى الواقع .

ولأضرب لذلك مثلا : فهل سمعتم بقصة التايمز اللندنية ،؟ لقد اشتراها اليهودى الاسترالى «مردوخ» فمن يكون مردوخ ؟ إنه يملك فى استراليا شركة طيران « أنست » ومحطة تليفزيون ويصدر عدة صحف فى استراليا ، وبريطانا ، والولايات المتحدة ، كما يملك مصانع ضخمة ، ويشكل الرأى العام فى استراليا على مزاجه ، إنه نموذج فقط لهؤلاء السبعين ألفا ، ومثل آخر ، إن الحاكم العام لاستراليا ،وممثل الملكة فيها يهودى أيضا ، أما المسلمون على كثرة عددهم فحالهم حال بقية المسلمين فى أنحاء الدنيا [١]

تلك نماذج من الاضطهادات والمحن التى لقيتها الأقليات المسلمة أمام الأغلبية المسيحية ، وما ذكر كان على سبيل المثال لا الحصر وبمثابة مواقف وأحداث لا كل المواقف أو جميع الأحداث ، وما سطر هنا فى باب المقارنة بين الأقليات المسلمة والأقليات المسيحية لوحظ معه الوقوف عند هذا الحد ، فلم نتحدث عن الأقليات تحت السيطرة الشيوعية وإن كانت هذه ليست بأقل من تلك .

---

(١) التزوير المقدس ص ٣٦ - ٣٨ بتصرف

ومثالها : مالاجاش مدغشقر سابقا . أنجولا ، ألبانيا ، تركستان الشرقية ، والغربية ، وكمبوتشيا ، قازاقستان ، أذربيجان ،قفقاسيا ، سيبيريا باشكيريا ، تتاريا ، أوزبكستان ، تركمانستان ، قيرغيريا ، طادجسكتان ، أفغانستان ، أثوبيا ، أرتريا ، بنجلاديش ، يوغوسلافيا ، بلغاريا ، تشيكوسلوفاكيا ، الخ .

وهناك أقليات مسلمة أخرى تحت نفوذ الصهيونية ومثالها فلسطين وتحت نفوذ الهندوكية ومثاله كشمير وتحت نفوذ البوذية ومثاله تايلاند وبورما وغيرها .

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الدول ليست جميعا أقليات ، ولكن فيها دول أكثريتها من المسلمين ، ولكن أقلية من حيث الكيف لا الكم ، أو أنها صارت أقلية بعد أن كانت أكثرية ،أو بوضعها فى قالب جغرافى معين يمثل شكل هرمى لدولة كبرى صارت أقلية ، ونحو هذا .

وكان من الممكن أن نتحدث ،ولو مختصرا ، عن تلك الأقليات ،لولا أنها خارج نطاق بحثنا ، إذ ليست الشيوعية داخلة فيه .

الأقليات المسيحية فى البلاد المسلمة

فى الوقت الذى ترزح فيه الأقليات المسلمة تحت نير وظلم البلاد المسيحية وحقدها الصليبى الدفين ،تعيش الأقليات المسيحية فى ظلال الإسلام والمسلمين فى غاية السعة والراحة والرغد ، يظللهم عدل الإسلام ويتمتعون بسماحته .

ولقد طالبت بعض الأقليات المسيحية بحقوقها أياما ، حتى صارت الأكثرية المسلمة بعد ذلك تطالب بشيء من الحقوق التى يتمتع بها الأقليات المسيحية فى بلاد المسلمين وصارت كلمة المساواة تتردد ،لاسيما على ألسنة المغبونين والمضطهدين ، وغير المسلمين كذلك يطالب بالمساواة بالمسلمين فى كل شيء .

وبعد أن ألقينا نظرة على معاملة الغرب الصليبى لغيرهم من الشعوب المغلوبة على أمرها ، نضع بجوار هذا ما كان يعامل به المسلمون الحاكمون رعاياهم من الدول المفتوحة من العدل والرأفة وعدم تمييز الفاتحين العرب عليهم ، وسوف نذكر لذلك أمثلة رائعة من تصرفات الولاة المسلمين فى البلاد التى فتحوها ، فظهر سماحة المسلمين مع المسيحيين ، ورضى الله عن الفاروق عمر بن الخطاب ، وهو يضرب لنا مثلا فى قولته الشهيرة لعمرو بن العاص ، أيا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا !!

وهذا الأساس العادل الذى تقوم عليه دولة الإسلام ، فأين من هذا العدل وما تفعله الدول الغربية فى الأمم المغلوبة على أمرها ومع ذلك لا يستحيون [1]

هذا وقد رأيت كيف فتح المسلمون مصر وأسبانيا ،وكيف كانت معاملة المسلمين أصحاب الحكم للمسيحيين أصحاب البلاد المغلوبين على أمرهم ، وبسماحة الإسلام وجمال نظمه ،ووضوح عقيدته ،وحسن معاملته يدخل الناس فى دين

---

(١) المساواة بين الإسلام والغرب د / عبد المنعم النمر ص ٨٦ ، ٨٧ بتصرف ط (سلسلة الثقافة الإسلامية) دار الثقافة العربية

الله أفواجـا حتى تنقلب الموازيـن كلها لصالح الإسـلام والمسلمين فتنقلـب الكثرة المسيحـية إلي أقلية مسيحية وكثـرة مسلمة ، مع ذلك تعامل تلك الأقـليات بغاية العدل ومنتـهى التسامح ، ومع ذلـك أستطيع أن أقول : إنه مع وجـود الأقليات المسيحية فى كثير من البلاد الإسلامية ، فإنها لا تستشعر هذا حيث إنها تحس بما لها من حماية ،ولما لديها من قوة ، فهى تعلم أن من ورائها تلك القوى المسيطرة على العالم أجمع ، من ورائها هيئات التبشير بالمعونات الكثيرة التى تأتيها من كل العالم المسيحى ، وكذلك مجلس الكنائس العالمى ،والمخططات الصليبية لضرب الإسلام، وقرارات الفاتيكان ،ونفوذ أمريكا وأوربا الغربية .

إن الحقيقة الواقعة ، أن الكثرة المسلمة فى كثير من الدول تطالب بحقوقها أمام القلة المسيحية ، ومثاله فى الحبشة ، وأثيوبيا ،و أرتيريا ، وأوجادين ، وزنجبار ، وأندونيسيا ،ولبنان ، وبنجلاديش ، الخ.

إن الحقيقة المرة : أن الأقليـات المسيحية لا تتمتع بحقوقهـا فحسب ولكنها فوق ذلك تضطهد المسلمين ،وهم الأكثرية ، ولماذا ؟

لأن المسـلمين كـثرة كمـا وليس كيـفا ، وتتـساوى مع الأقليات فـى الضعف ، والحق أنه ليس مـثيـرا للدهشـة أن تقع الأقـليـات المسلمـة تحت ظلم العـدوان الصليبي، وتبشيـر أو تنصير المسيحية ، لأن ذلك لا يحتاج إلى حـماية ولكن المثير للدهشـة فعـلا أن يقع العـدوان على الدول ذات الأكـثرية المسـلمة ، بصـور من العنف، وألوان من الاضطهاد . ، وأن يمارس التبشير نشاطه فى تلك الدول، وفى كثير من التـحدى ،مثل ما يحدث فى أندونيـسيا ، وفى بنجـلاديش فى آسيا ، وما يحدث فى العديد من دول أفريقيا ولما لا ؟

فإنه يعمل فى ظل النفوذ الصليبى الغربى بزعامة أمريكا ، ومخططات الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى ،وهيئات التبشير الدولية !!

ولما لا ؟ والأمـة المسلمة فى بعـد عن دينهـا وتفرق وتمزق ، وفى غـيبـوبة عن

بعضها البعض ، وعدم اهتمام المسلمين بأمرهم ،أو أمر دينهم ،وكذلك لأن الأنظمة التى تحكمها أنظمة معادية للإسلام بطبيعتها !

ولم لا ؟ والأمة المسلمة المعاصرة عاجزة اليوم عن الجهاد والكفاح ،وإذا كان الضمير العالمى اليوم عاجزا كذلك عن أن ينتصر للشعوب المغلوبة على أمرها ؛ لأن القوى الكبرى شرقية كانت أم غربية قد أصابت الضمير العالمى بالشلل ، وبخاصة إذا كانت الشعوب المعرضة للإبادة شعوبا مسلمة ولو شكلا ، فأى أمل يرجى بعد ذلك فى أن تقوم للأخوة الإنسانية قائمة [١]

يقول : لوثروب ستودارد الأمريكى «مؤلف كتاب حاضر العالم الإسلامي»:

مازلنا نؤكد أن الأوربيين فى عهد الحروب الصليبية وفيما بعدها بقرون لم يكونوا أقل من الترك تعصبا ولاجفاء ،وأن تاريخهم فى الحروب الصليبية وما جرى منهم عند فتح القدس من ذبح ٧٠ ألف مسلم فى المغرب الأقصى ،حيث سبح الخيل إلى صدورها فى الدماء ، ومن استئصالهم شأفة المسلمين من الأندلس، وصقلية، وجنوبى فرنسا ،وسردانية ، مع أنهم كانوا يحصون فى هذه البلدان بالملايين تاريخ شاهد بصحة ما نقول ، فقد عفى الأوربيون كل أثر للإسلام فى أوربا ، ولم يرضوا أن يبقى فيها مسلم واحد ، حال كون الترك الذين يقال إنهم برابرة بقى تحت ولايتهم ملايين من المسيحيين ، من جميع الأجناس كانوا يقدرون فى أوقات عديدة أن يستأصلوهم أو أن يحملوهم على الجلاء ، كما فعل ملوك أسبانيا وفرنسا بالعرب .

وقد يقال إن الذى منع الترك عن حمل النصارى الذين كانوا تحت سلطانهم علي الإسلام أو الجلاء هو الشرع الإسلامي الذى يمنع الإكراه فى الدين ويرضى من المعاهد بالجزية ، وقالوا إن السلطان سليمان القانونى كان فكر فى سوء المغبة

(١) محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص ١٢ ، ٤٢ ، ٤٣ بتصرف

من بقاء الملايين من الاروام والبلغار والأرمن وغيرهم فى الممالك العثمانية وأحب إخراجهم ، وقيل بل السلطان سليم وكان كل مرة يعترض فى ذلك شيخ الإسلام، ويقول ليس لنا عليهم إلا الجزية ، والجواب قد يكون ذلك ويثبت أن الإسلام هو الذى هذب المسلمين ، وحال بينهم وبين طرد المسيحين من ديارهم ، فلماذا - ياليت شعرى - لم يهذب الإنجيل أقوام أوربا ولم يمنع البابا اسكندر الثالث وأساقفة الكنيسة فى أسبانيا ، والملك « فرديناند » والملكة «ايزابيلا » وغيرهم من الملوك المشهورين بالكثلكة من نصب ديوان التفتيش ، و ارتكاب تلك الفظائع فى العرب واليهود ممن بقى على ديانته سرا إلى أن جلوهم بأجمعهم عن ذلك القطر الذى أوطنه العرب زهاء ٨٢٠ سنة ، مع أن الإنجيل كما لا يخفى لا يجيز شيئا من هذه الأفعال بل يوصى الناس بحب الأعداء ، فكيف تتألف مع شريعة الإنجيل التى هى مبلغ وداعتها وتسامحها قضية تحريق الناس بالنار لأجل عقائدهم [1]

ويعلق الأمير شكيب أرسلان بقوله :ولا نريد أن نعزو إلى هذا المؤلف التحامل أو التعصب فيما جعله نتيجة عمل الترك ، بل نشهد بكونه من أوفر المؤلفين الأوربيين إنصافا وتحريا ، ولكن ثمة أمور لا يزال الاوربى مهما بلغ من إنصافه وحرية فكره غافلا عنها أو هو لما يعتنده من علو قومه وكونهم مجبولين من طينة هى غير طنية الآخرين ، لا يقدر أن ينظر إلى عيوب قومه وآثام بنى جلدته بالعين التى يرى بها عورات غيرهم من الأقوام.

فقد جرت لنا مباحثات طويلة مع كثير من علماء الإفرنجة فى موضوع التسامح وعدمه فكنا نراهم يعتقدون أنه لا يوجد فى الدنيا أقل تسامحا وسماجة من أهل الشرق ، فإذا ذكرناهم بما فعلوه بعرب الأندلس قالوا : ذلك شيء آخر ، وإلى الآن لا نفهم لماذا هو شيء آخر ؟؟ وبعضهم يقول هذه حوادث جرت فى القرون الوسطى فإذا سلمنا بكونها جرت فى القرون الوسطى فماذا يقولون فى الموبقات

(١) حاضر العالم الإسلامى تأليف لوثروب ستوداره الامريكى ج١ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

والفظائع التى جرت من الجنس الأبيض الأوربى فى هذا العصر نفسه سواء فى القرن التاسع عشر أو القرن العشرين مما فعلوه فى مستعمراتهم بأفريقيا الوسطى وشمالى أفريقية والكونغو والسودان المصرى وبما فعلوه فى الهند وغيرها من آسية، بل بما وقع بمعرفة منهم فى الروملى أثناء الحرب البلقانية بل بما أوقعه بعضهم ببعض فى الحرب العالمية وما يحدث الآن فى البوسنة والشيشان وغيرهما .

هذا كله لم يقع فى القرون الوسطى ولا فى الجاهلية الأوربية ، بل جرى فى عصر النور وبحبوحة الحضارة ، وعنجهية التهذيب الأوربى ، نعم لا نفهم كيف إذا ذبح الترك الأرمن يكون ذلك توحشا وبربرية ، وتمتلىء الصحف بألفاظ القسوة والوحشية ، والهمجية وتقوم القيامة ، فإذا ذبح البلقانيون مسلمى الروملى واستباحوا حرمهم أو الأروام مسلمى غربى الأناضول أو مسلمى البوسنة والهرسك ، لم نجد شيئا من تلك القيامة ولا هاتيك النعرة ، وإن عبر عنها بشيء يجتهد كل الاجتهاد فى تغطيتها وجر ذيول النسيان عليها . هذا الذى نعترض عليه،وقلما نجد عليه جوابا سديدا، ولكن ليس صاحب هذا المكان الذى تعمد تعمية الحقائق [1]

من يصدق ؟ أن الحبشة وأكثرية أهلها مسلمون بنسبة تزيد عن ٦٥٪ أن يتحكم النصارى فى البلاد ويصبح المسلمون حتي اليوم مجرد رعايا لا مواطنون ، بل رعايا من الدرجة الثانية[2] ، وأن الإسلام واجه حروبا فى الحبشة على مسار خمسة قرون أو تزيد ،ثم ازدادت ضراوتها على يد زعيم الحبشة « هيلاسلاسى » الذى أقام خطة لإبادة المسلمين والقضاء على الإسلام كان من بنودها : -

١- حرمان المسلمين من التعليم وتلقى الثقافة الإسلامية واللغة العربية ، باعتبارها لغة القرآن .

---

(١) حاضر العالم الإسلامى جـ١ ص ٢٣٩ .
(٢) محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص ٢٠ بتصرف .

٢- مصادرة أموال المسلمين وأملاكهم بهدف إفقارهم.

٣- هدم ما تبقى من مساجد المسلمين وإقامة الكنائس على أنقاضها .

٤- تنصير أبناء المسلمين بالقوة ونشر الهيئات التبشيرية فى جميع المناطق الإسلامية وفرض تقديم العون المالى لها على المسلمين.

٥- الفتك بالمسلمين وقتلهم فى مجازر جماعية بحجة العصيان ضد الدولة ، وتدمير قراهم وتشريدهم فى الجبال .

٦- ابتلاع معاقل الإسلام المحيطة بالحبشة لسد الطريق أمام أية عملية لإنقاذ مسلمى الحبشة ، وبالتالى استئصال شأفة الإسلام نهائيا .

٧- حرمان المسلمين من الاتصال الخارجى - بالعالم العربى الإسلامى - والحيلولة دون اتصال المسلمين من الخارج بمسلمى الحبشة .

٨- حرمان المسلمين من وظائف الدولة برغم أنهم يمثلون ٦٥٪ من عدد سكان الحبشة ، فليس منهم وزير أو حاكم أو حتى ضابط فى الجيش .

٩- فرض الضرائب الباهظة على المسلمين والسماح للكنيسة بالتسلط على المسلمين ومصادرة أموالهم وأملاكهم لصالحها .

١٠- فرض ضريبة خاصة على المسلمين تسمى ضريبة الكنائس ، ولقد سئل «هيلاسلاسى» فى أمريكا من أحد الصحفيين عن وضع المسلمين فى أثيوبيا .

فقال : إن المسلمين فى أثيوبيا قلة دخلت الإسلام عن طريق التجار العرب ، وقريبا سيعودون إلى دين آبائهم وأجدادهم - ونحن لن نسمح بأن يكون فى أثيوبيا دينان.

وناهيك عن المذابح التى نفذها « هيلاسلاسى » بالمسلمين كل واحدة منها أشرس من الأخرى ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن عداء هيلاسلاسى للإسلام يكشف عن حقد دفين ، دفعه إلى ارتكاب أعمال وحشية لم يسبق لها

مثيل حتى فى أحط عصور الهمجية ، ونترك المزيد من الكشف عن جرائمه ، لأن الطغمة الفاشية العسكرية التى استولت على السلطة بعده فى عام ١٩٧٤م ليست أقل شراسة منه، وليس حال المسلمين فى داخل أثيوبيا أو فى أريتريا أو أوجادين خيرا من حالهم أيام سبط يهوذا ، هيلاسلاسى ، وأن واقع المسلمين اليوم فى الحبشة ليس إلا امتدادا للماضى ، ولكى يعرف هذا الجيل أن رواسب الحروب الصليبية القديمة كانت ولا تزال تعشعش فى أدمغة حكام الحبشة ،هذه الرواسب هى التى أفرخت فى صدورهم أحقادا صليبية علي الإسلام ،ولكى يعرف هذا الجيل المسلم المعاصر : الفرق بين روح الإسلام فى معاملة رعاياه من غير المسلمين، وبين روح الصليبية فى معاملة الأقليات المسلمة التى تعيش فى بلادها ، بل الأكثريات أيضا .

كان كل من أسد يهوذا والطغمة الفاشية التى أطاحت به ، يعتنق مذهب ميكيافيللى « الغاية تبرر الوسيلة » والغاية عند كليهما تدمير المسلمين وتصفية الإسلام فى الحبشة وما حولها ، بيد أن هناك فرقا ، فأسد يهوذا كان يعمل من منطلق العقيدة ليشبع شهوة التعصب ،ونزعة التسلط معا ، ومن ناحية أخرى لكى يظفر بالقبول لدى الصليبية الدولية والصهيونية العالمية .

أما الطغمة العسكرية الفاشية بقيادة (منجستو) فهى تعمل من منطلق المصالح الحيوية ، الاستقرار من ناحية ، ولن يكون هناك استقرار مع وجود الإسلام والمسلمين ومن ناحية أخرى إرضاء أمريكا وروسيا معا .

ولم تحتج أمريكا من قبل فى عهد « أسد يهوذا » على حرب الغازات السامة التى أهلكت الحرث والنسل فى أريتريا ، ولم يحتج على هذه الطغمة العسكرية التى تشن حرب إبادة على شعب أريتريا بلا هوادة ، لقد أفرخت محنة الأكثرية المسلمة فى أثيوبيا مأساتين : هما مأساة أريتريا الشهيدة ومأساة أوجادين الشهيدة أيضا ،وكلتاهما تضم أكثرية مسلمة تصل إلى نسبة ٨٠٪ من عدد السكان والمأساة

تمثل أبشع صور القرصنة على الأرض ، ولقد باركتها قوى الاستعمار من قبل وتباركها اليوم المحافل الدولية ، وفي مقدمتها هيئة الأمم ومجلس الأمن[1]

وكذلك فطاني

وهي المنطقة الواقعة بين الملايو في الجنوب ، وتايلاند في الشمال ، وقد وصل إليها المسلمون عن طريق التجارة البحرية في القرن الخامس الهجري ، وزاد انتشارهم في القرن التاسع عن طريق « مالاقا » حتي تسلموا حكم البلاد ، وتزيد نسبتهم اليوم على ٨٠٪ من السكان أي ما يقرب من مليونين نقلوا من المنطقة إلى جهات بانقوك ، إثر أسرهم أو احتلال أراضيهم خلال الحروب المتواصلة بين المسلمين والبوذيين ، وبخاصة عام ١٢٠٥ هـ ، بعد استيلاء البوذيين على فطاني عام (١٢٠١) هـ ، وبعد ثورة المسلمين التي اشتعلت عام ١٢٠٢ هـ ، وغاية هذا النقل هو إذابتهم في بوتقة المجتمع البوذي هناك ، ولم يرضخ الفطانيون لهذا الاستعمار فقاموا بعدة ثورات إثر الاحتلال مباشرة ، واستمرت حتى الانتفاضة الأخيرة القائمة اليوم .

سمحت انجلترا لتايلاند أن تبتلع فطاني عام ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م في الوقت الذي كان الفطانيون يطلبون المساعدة من إنجلترا ، ويفضلون أن يكونوا تحت سيطرتها من أن يكونوا تحت سيطرة التايلانديين البوذيين ولم يعلموا أن إنجلترا كانت سبب المشكلات كلها ووراء الأحداث القائمة جميعا ، إذ تفضل أن تذيق المسلمين الويلات وأن تكون الضربات بأيد غير نصرانية ، خوفا من ردود الفعل ، واستمر القتال بين الطرفين حتى احتل اليابانيون البلاد أثناء الحرب العالمية الثانية ، وهيأت إنجلترا مقاومة أرضية لطرد اليابانيين واعتمدت في تعاونها على الأمير محمود محيي الدين الذي اقتنع أن فطاني ستنال استقلالها بانتصار الحلفاء وانتصر الحلفاء ، ولم يحصل الفطانيون على شيء من الوعود التي قطعت لهم ، بل إن اقتصاديات بلادهم قد وضعت تحت تصرف إنجلترا .

---

(١) محنة الأقليات المسلمة في العالم ص ٤٥ إلى ٤٢ بتصرف

فقام الحاج « محمد سولونج » رئيس الهيئة التنفيذية لأحكام الشريعة الإسلامية بحركة مطالبا بتعيين حاكم عام مسلم لفطانى ، وإعطاء ٨٠٪ من وظائف الدولة للمسلمين ، وتدريس اللغة الملاوية ، والاعتراف بشرعية المجلس الدينى للمنطقة وفصل القضاء الشرعى عن المدنى ، ولكن الحركة فشلت ، وقبض على محمد سولونج ورفاقة الأربعة فسجنوا ثم أطلق سراحهم ، وأخيرا اغتيلوا سرا عام ١٣٧٤ هـ.

واستمرت الحروب التى قامت بين الطرفين على مدى الأيام وازدادت اشتعالا فى الأيام الأخيرة ، الفطانيون يريدون الاحتفاظ بشخصيتهم بإعلان إسلامهم والدعوة له والنطق والكتابة بلغتهم الملاوية بالأبجدية العربية ،والبقاء علي زيهم ، والمحافظة على ثقافتهم وحكم بلادهم ، والتايلاند يريدون إذابة المسلمين ضمن المجتمع التايلاندى البوذى وقبول ثقافتهم ، واستعمال لغتهم ، وإلباسهم زيهم ، واتخاذ أسمائهم ،واعتقاد عقيدتهم ، وتحريم الدعوة إلى الإسلام ،وكل يصر على موقفه والحرب دائرة رحاها .[1]

ومن يصدق ؟ « أن نيجيريا التى تتمتع بأغلبية ساحقة مسلمة تزيد على ٨٠ ٪ وذات المائة مليون اليوم ، لاتتمتع إلا باستقرار نسبى ،قد يتلاشى ليواجه مفاجآت العواصف بسبب القلة المسيحية فى الأقليم الشرقى ، ووراءها الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى ونفوذ أمريكا وأوربا الغربية وقد وردت الأخبار أن الطغمة المسيحية تعارض فى انضمام نيجيريا إلى المؤتمر الإسلامى ، وبينما لا ترى الكثرة المسلمة شيئا فى زيارة بابا الفاتيكان لنيجيريا ،وتمتعض القلة المسيحية لمجرد التفكير فى دعوة شيخ الأزهر لنيجيريا [2].

ومن يصدق ؟ أن أندونسيا أكبر دولة مسلمة عددا ومساحة على وجه الأرض

---

(١) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص ١٣٤ - ١٣٧
(٢) محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص ٨٤ ، ٨٥

والتي يزيد عدد المسلمين فيها على ٩١٪ لا تتبع السياسة الإسلامية ،وقد أصبحت الآن في قبضة الإرساليات التبشيرية ! أأيقاظ نحن أم نيام ؟

إن الإسلام في الدنيا في خطر ، الإسلام في الدنيا يتراجع ، فهذا حال كثرة مسلمة أو قل حال أقلية مسيحية في دولة مسلمة سيطرت على مقاليد الأمور [١].

إن الدولة الإسلامية يوم أن كانت تعيش عصرها الذهبي كانت الأقليات من أهل الكتاب تعيش في كنفها في مضمون العدل - لا في شكله - وبمنتهى السماحة من الإسلام التي تقابل اليوم من المسيحية بالعكس ،فهي تضع يدها في يد أعداء الإسلام والمسيحية بل وأعداء الإنسانية والبشرية لتقضي على الإسلام [٢]

ولك أن تتصور أن أندونيسيا أكبر دولة إسلامية تشترك في حلف يضم بين أعضائه الفلبين وتايلاند ، وهاتان الدولتان بالذات تمارسان أشرس الأساليب في حربهما ضد الأقلية المسلمة فيهما !!

ومحاولات جادة لتنصير المسلمين ومخططات التبشير أو التنصير تزعم أنها حددت زمنا معينا لتصبح قارة أفريقية ، قارة مسيحية ، بينما المسيحية الآن لا تزيد عن ٢٠٪ تقريبا ، وزمنا معينا لتحويل أندونيسيا أكبر دولة مسلمة إلى دولة مسيحية بينما كانت لا تمثل المسيحية فيها أكثر من ١٪ وسائر الإرساليات أو البعثات المسيحية في أفريقيا على صلة وثيقة بالفاتيكان ،ومجلس الكنائس العالمي وأمريكا ودول أوربا الغربية ![٣].

لقد عقد التبشير مؤتمره في مالانج حيث تقرر فيه يجب أن ينتهوا من تنصير المسلمين في جزيرة جاوه ٦٠ مليونا خلال العشرين سنة القادمة ، وأن ينتهوا من تنصير أندونيسيا كلها خلال الخمسين سنة القادمة ومن أجل تحقيق هذا الحلم تتخذ

---

(١) المصدر السابق ص ٩٩ بتصرف .
(٢) محنة الأقليات المسلمة في العالم ص ١٠٤ بتصرف
(٣) محنة الأقليات المسلمة في العالم ص ١٣ - ٧٧ بتصرف

كل الإجراءات والوسائل المعروفة ، وعول التبشير هناك على أن يصبح دولة داخل الدولة لها مطارات وشبكات إذاعية خاصة ، تتحكم فى الدولة الأصل ،وتملى عليها شروطها وهكذا أصبحت القلة الضئيلة سادة ، والكثرة الساحقة عبيدا ، بل أصبحت الأولى مواطنين والأخرى كالرعايا ، ومنذ سنوات فشلت فى الحصول على تأشيرة دخول إلى أندونيسيا ـ والكلام للأستاذ محمد عبد الله السمان ـ وعبثا حاولت ، لأن النظام هناك لا يرحب بالدعاة الإسلاميين ، فى نفس الوقت قام البابا شنودة بزيارتها بدعوة من مجلس الكنائس العالمى [1]

ولك أن تتخيل ما هو من عجائب الاستعمار وما تتمتع به الأقليات المسيحية أن تكون السلطة فى ليبريا فى يد الزنوج الأمريكيين المسيحيين المهاجرين وهم لا يمثلون أكثر من ٥٪ بينما لا يشترك فى السلطة المسلمون الذين يمثلون أكثر من ثلث السكان ![2]

وهل تصدق أن الأقليات المسيحية فى أفريقيا تشترك فى فرض حصار شديد حول الإسلام فى شرقى أفريقيا ، تشترك فى هذا الحصار تنزانيا ،أثيوبيا ، كينيا ، أوغندا ،ثم جنوبى السودان ، حيث السيطرة للمسيحية ،برغم أنهم لا يمثلون ، أى المسيحيين ، أكثر من خمسة فى المائة ؟

لقد تحولت الأغلبية المسلمة اليوم ٩٥٪ إلى أقلية معنى ومضمونا بسبب السياسة العلمانية التى تتبعها تنزانيا ، برغم أن هذه السياسة لا تنعكس على الأقلية المسيحية الضئيلة ٥٪.

إن إمكانات البعثات التبشيرية التنصيرية المتفوقة فى زنجبار جعلت من الأقلية الضئيلة ذات شأن مثير ، فقد أصبح لكل مائة مسيحى كنيسة ، وفى دولة تبلغ نسبة المسلمين فيها ٩٥٪ !! [3].

(١) محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص ١١٩ بتصرف
(٢) محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص ٣٦ بتصرف
(٣) نفس المصدر ص ٧٤ ، ٧٥ بتصرف .

إن النفوذ الصليبى العالمى جعل من الأقليات المسيحية الضئيلة قادة وسادة وحكاما ووزراء على الأكثريات المسلمة .

فهذا حال الأقليات المسيحية فى الدول المسلمة ، بل يجب أن يقال هذا بلاء الأكثريات المسلمة أمام الأقليات المسيحية ،فإنا لله وإنا إليه راجعون !!

* * *

الخـــاتمة

هذه خلاصة دين المسيحيـة التى تدعوا إليها الكنائس الآن : إنه دين أسس على عبادة الصلبان والصور المدهونة فـى السقوف والحيطان ، وأن رب العالمين نزل عن كرسى عظمتـة فالتحم ببطن أنثى وأقام هناك مـدة من الزمان ، بين دم الطمث فى ظلمات الأحشـاء تحت ملتقى الأعكان ، ثم خرج صبـيا رضيعا يـشب شيئا فشـيئا ويبكى ويأكل ويشرب ويبول وينام ويتقلب مع الصبيان ،ثم أودع فى مكتب هيكل سليمان ، بين صبيان اليهود يتـعلم ما ينبغى للإنسان ، هذا وقد قطعت منه القلفة حين الختان ، ثم جعل اليهود يطردونه ويشردونه من مكان إلى مكان ، ثم قبضوا عليه وأذاقـوه أصناف الذل والهوان ، فـعقدوا على رأسـه الشوك تاجـا من أقبح التيجان ، وأركـبوه قصبة ليس لها لجام ولا عنان ، ثم ساقـوه إلى خشبة الصليب مصـفوعا مـبصوقا فـى وجهه وهم خلفـه وأمامه وعن شـمائله وعن الأيمان ،ثم أركبوه ذلك المركب الـذى تقعشر منه القلوب مع الأبدان ، ثم شـدت بالحبال يداه مع الرجلان ، ثم خالطهما تلك المسامير التى تكسر العظام وتمزق اللحمان ، وهو يستـغيث : يا قـوم ارحمونى ، فـلا يرحمـه منهم إنسان ، هذا وهو مـدبر العالم العلوى والـسفلى الذى يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو في شأن ، ثم مات ودفن فى التراب تحـت صم الجنادل والصوان ، ثم قام من القبـر وصعد إلى عرشـه وملكه بعد أن كان مـا كان ، فمـا ظنك بفروع هذا أصلها الذى قـام عليه البنيان .

وإن المسيحية التى تدعو إلى المحبة والسلام ،والتى قاست ألوانا من الاضطهاد والتنكيل إبان نشـوئها وضعـفها ، لم تلبث حين ملكت زمام السلطة وقـامت لها دولة أن أنزلت بالمخـالفين لهـا من ضروب العنف وصنـوف القسـوة والعذاب مـا تقشعر لحدوثه الأبدان ، وما حدث فى الأندلس والحروب الصليبية خير مثال .

لقد كانت الحروب الصليبية مثالا حيا لانتشار المسيحية عن طريق السيف والقتل، فإما العمادة وإما الموت ، وبها قد أفصحت عن حقدها الدفين ، وتعصبها المكين .

هذا وإن الحروب الصليبية لم تنته بعد وإن جاءتنا تحت أى اسم أو شعار ، ولكنها فيما بعد أخذت تعتمد على العداء غير الظاهر ، سياسيا كان أو ثقافيا أو فكريا ، وركزت على عنصرى التبشير « التنصير » والاستشراق ، محاولة عن طريقهما تحقيق القصد ذاته ، مع مآرب أخرى ، سيطرت بعد ذلك علي الهدف الأول ، وصارت هى كل شيء وهي أهداف استعمارية ، ولقد كان تعصب المسيحية بمعناه القضاء على جميع الأديان الأخرى ، بل والمذاهب الأخرى غير ما يعتقده أصحاب المذهب ،وكذلك إفناء الخصوم .

وكانت الفظائع والمذابح التى قام بها المسيحيون ضد خصومهم تجد لها سندا فى التوراة !!

وكان الذين يقومون بتلك الأعمال الوحشية يزعمون لأنفسهم أنهم يتقربون إلى الله ، وينفذون إرادته ، ويعجلون لأعدائه بعض النقمة التى تنتظرهم فى الآخرة.

إن واقع المسيحية ينوء كاهله بتاريخ شديد الظلمة ، حالك السواد ،ملطخ بدماء العلماء والمفكرين الأحرار ، وحتى المسيحية فى صورتها المثالية مجافية لفطرة البشر، باعتزالها الحياة وانقطاعها عن الدنيا وإعراضها عن الطيبات ، ورهبانيتها التى ابتدعتها ، ما كتبها الله عليهم .

والأخلاق المسيحية أخلاق غير واقعية ، لأنها فوق طاقة البشر المعتادة ، فليس فى مقدور كل إنسان أن يضرب على خده الأيمن فيعطى الأيسر ، أو يسرق قميصه فيعطى إزاره !

هذا وأن المسيحية الأصلية كانت رسالة مؤقتة ،لفترة محدودة ، ولقوم معينين، ولم تكن مهيأة قط لتكون رسالة عامة ولا خالدة ، وقد عبر المسيح عن ذلك بأنه إنما بعث لخراف بنى إسرائيل الضالة ، وأنه لم يقل كل الحق ،كما بشر بمن يأتى بعده ليبين للناس كل شيء، ويكسر عمود الكفر ، فكيف والمسيحية الأصلية نفسها قد غيرت وبدلت ،وذهب كتابها الأصلى ، ودخل عليها من التحريف اللفظى والمعنوى فى عقائدها وشعائرها وأصولها وفروعها ما مسخها وأضاع حقيقتها ؟

إن الحضارة الغربية يزعم لها الكثيرون أنها حضارة مسيحية ،ويحاولون إلصاقها بالمسيح ، وإن كان المسيح منها براء ،ولهذا كله يستبعد المفكرون الغربيون أنفسهم أن تكون المسيحية هى مصدر الخلاص وسبيل النجاة .

إن الجرائم البشعة التى تمارس ضد الأقليات المسلمة فى أكثر بلاد العالم من أى مصدر كان لها ، يندى له جبين الإنسانية فى القرن العشرين ،والحقيقة أننا لا نملك الحق فى أن نثور على مرتكبى هذه الجرائم ضد الأقليات المسلمة ،أو نسخر من الهيئات الدولية كمجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة ، والتى لا تحرك ساكنا ، وما دامت الأمة المسلمة ذاتها لا تحرك ساكنا ، وما دامت الشعوب المسلمة لا تزال تحت وصاية أنظمتها ، والأنظمة نفسها وصاية القوتين العظميين اللتين تعتبران أعدى أعداء الإسلام والمسلمين .

بل إن المحنة تعدت الأقليات المسلمة إلى الأكثريات المسلمة ، فصارت تلك الأكثرية تطالب بأن يكون لها حقوق الأقليات المسيحية ، وكم من بلد بها أقليات مسيحية تملك زمام الأمور ، وترأست البلاد على الرغم من أنف الأكثرية المسلمة .

وإن كان هناك من درس نتعلمه مما حدث فى الأندلس ، فإنه يبدو للباحث أن المسلمين ارتكبوا عدة أخطاء فى سياستهم فى الأندلس ، كان لها أثر بعيد المدى على عدم انتشار الإسلام فى أوربا ، وإليها يرجع السبب فى ذهاب دولتهم من أسبانيا ، ومنها :

١- شيوع الأنانية ، وحب الذات بين القادة والأمراء ، والحرص على الدنيا بين كثير من المسلمين.

٢- وقوع الشقاق الذى كان يضطرم بين قبائل المسلمين ، والفرقة التى كانت تمزق وحدة المؤمنين ولا تسل عن صدى ما وصلت إليه تلك الفرقة وهذه الخلافات بين المسلمين ، وإذ وصلت إلى قتل وصلب بين المسلمين ، إرضاء للنفس الأمارة بالسوء ، وإشباعا لشهوة الحاكمين !! فهل يعتبر المسلمون فى ذلك الحين ؟!!

٣- انشغال المسلمين بخلافاتهم الداخلية ، صرف أنظارهم عن المؤامرات الخارجية التى كانت تدبر لهم ،وانهماكهم فى ملذات الدنيا ، وشهوات النفس ، واغراقهم فى الترف والسرف ، والنساء والغناء ، ونحو هذا مما أكثر لهم الأعداء فيه، حتى بعدوا عن دينهم ، ودب الضعف فى أوصالهم ،وسيطرت الفرقة على صفوفهم ، وبذلك رجحت كفة الأعداء عليهم ، وانتهزت فرصة الانقضاض عليهم فنالت منهم وسيطرت عليهم ، فلما تمكنت قضت عليهم ، وردتهم عن دينهم ﴿ وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ [1] وهكذا ضاعت دولة المسلمين فى الأندلس ولم يبق إلا تاريخها ، عبرة لمن تدبر ، وتعلم ، وأنات الشعراء الذين ورثوها ، تهيج مشاعر المسلمين ، وتذكرهم وتحذرهم .

٤- من أراد أن يعرف فضل التسامح الإسلامى ، ويعرف سماحة المسلمين على بصيرة ، فليقرأ ماذا فعلته الأديان والعقائد الأخرى مع مخالفيها على مدى التاريخ، فالضد يظهر حسنه الضد ،أجل ليقرأ بإمعان ماذا سجل التاريخ للمسلمين حينما فتحوا الأندلس ،ثم ماذا سجله لخصومهم الأسبان المسيحين حينما قدر لهم أن ينتصروا عليهم بعد ثمانية قرون عمروا فيها بلاد الأندلس بالعلم والنور وأقاموا فيها حضارة باهى بها التاريخ .

---

(١) سورة آل عمران : ١١٧

ليقرأ وليدرس كيف يعيش المسلمون فى عصرنا هذا - عصر النور والحضارة والأمم المتحدة ، والمحافل الدولة ، وحقوق الإنسان ،فى البلاد التى تحكمها حكومات نصرانية متعصبة ، أوشيوعية ملحدة ، أو هندوسية متزمتة ،لينظر إلى المسلمين فى الحبشة مثلا وما يقاسونه من عنت واضطهاد وإهدار للحقوق الإنسانية، مع أنهم يكونون أغلبية السكان ، ولهم أقاليم إسلامية خالصة لا يشاركهم فيها غيرهم ، ولينظر كذلك إلى المسلمين فى روسيا وخاصة فى الشيشان وطاجيكستان و أوزدبكستان وغيرهم أو يوغوسلافيا وخاصة البوسنة والهرسك أو الصين أو غيرها من البلاد الاشتراكية الماركسية .

إن المسلمين يكونون فى بعض الجمهوريات فى روسيا وبعض الأقاليم فى يوغوسلافيا والصين أكثرية ساحقة فى عدد السكان،ومع هذا يمنعون من أداء ما يعتقدون وجوبه كالصلوات الخمس والحج إلى بيت الله الحرام، والتفقه فى الدين،وإنشاء المساجد التى تقام فيها شعائر الإسلام، والمعاهد التى تمد هذه المساجد بالأئمة والمعلمين والخطباء، وأن يحكموا أنفسهم بشريعة ربهم التى يؤمنون بوجوب التحاكم إليها دون غيرها، أجل،إن المنصف لا يتبين قيمة ما قدمه الإسلام للإنسانية فى مجال التسامح مع المخالفين فى الدين ما لم يدرس ماذا قدمته العقائد،أو «الأيديولوجيات» العلمانية المعاصرة،والعقائديون الجدد فى هذا الباب.

وأحسب أنه قد تبين لنا بعد هذه الدراسة الموثقة المستمدة من شريعة الإسلام وتاريخه أن التسامح الإسلامى مع غير المسلمين من أهل الأديان الأخرى حقيقة ثابتة ،شهدت بها نصوص الوحى ، من الكتاب والسنة ، وشهد بها التاريخ الناصع منذ عهد الخلفاء الراشدين ، ومن بعدهم من الأمويين والعباسيين والعثمانيين والمماليك وغيرهم ، فى شتى أقطار الإسلام ، وشهد بها الواقع الماثل فى بلاد العالم الإسلامى كله ، حيث تتجاور فيه الجوامع والكنائس ، وتسمع صيحات الأذان ودقات النواقيس وتعيش الأقليات غير المسلمة ناعمة بالأمان

والاستقرار والحرية فى ممارسة حقوقها الدينية والدنيوية ،على حين تعيش الأقليات الإسلاميـة ، بل الأكثريات فى بعض الأحيـان ، فى عديد من دول آسيا وأفـريقيا وأوربا مضطهدين مقهورين لا يسمح لهم أن يقيموا دينا ، أو يملكوا دنيا .

ونحن لا ندعوا إلى المعـاملة بالمثل ، لأن ديننا ينهانا أن نأخذ مواطنيـنا من غير المسلمين بذنب أبناء ملتهم فى بـلاد أخرى ،ولا ناقة لهم معهـم ولا جمل ، كيف وقد قال تعالى ﴿ **ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾[1]

ولكننا نعجب كل الـعجب أن يكون هذا هو موقف الإسـلام الواضح الصريح من غيـر المسلمين ، ثم نجد من الكتـاب الغربيين من يشـوه هذا الموقف الناصع ، ومن يفـتــرى على الحق والتـاريـخ والواقع ، ويتـهم الإسـلام والمسلمين زورا بالتعصب ضد من خالفهم من أهل الذمة .

كما أن هناك من يستغل فكرة التسامح هادفا إلى « تمييع » الأديان ، وحل عرى الاعتزاز بها والالتفاف من حولهـا ، وإطفاء حرارة الإيمان الدينى بدعوى «التسامح المشبوه » أو الوطنية أو القومية أو غيرها من المفاهيم ، نحن دعاة تسامح،لأن ديننا نفسـه يأمرنا به ، ويدعونا إليه ويـربينا عليه ،ولكن ليس معنى التـسامح أن نتنازل عن ديننا ،إرضاء لأحد كائنا من كان . .

فهذا ليس من التسامح فى شيء ، إنما هو إعراض عن الدين أو كفر به ، إيثارا للمخلوق على الخالق ، ونحن لانلزم غيرنا بترك دينه ،حتى يطالبنا بترك ديننا .

(والله يقول الحق وهو يهدى السبيل)

والله مظهر دينه . "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) سورة الأنعام : ١٦٤

الفهرس

الفصــل الثاني

* المبحث الثالث :

مقارنة بين الأقليات المسلمة في البلاد المسيحية والأقليات المسيحية في البلاد المسلمة

رقم الإيداع بدار الكتب
٩٦ / ١١٢٢٨
الترقيم الدولى .I.S.B.N
977 - 19 - 1950-4